

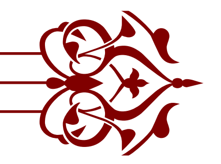
تنوير الفهوم

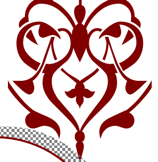
بمقدمات عشرة علوم

تأليف

د. عبد الله بن عبده نعمان العواضي

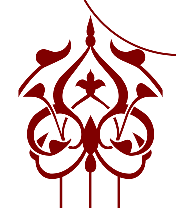


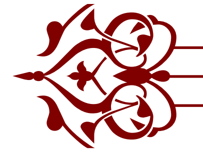


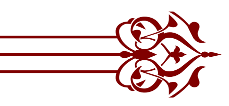
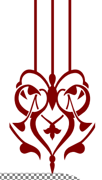


تَنْوِيْرُ الفُهُوْمِ

بِمُقَدِّمَاتِ عَشَرَةِ عُلُوْمِ





العنوان: تَنْوِيْرُ الْفُهُوْمِ بِمُقَدِّمَاْتِ عَشَرَةِ عُلُوْم.

تَأْلِيْفُ: الدُّكْتُوْر: عَبْد اللهِ بن عَبْده العَوَاضِي.

الصفحات: (436صفحة).

الطّبْعة: الأولى، 1445هـ- 2023م.

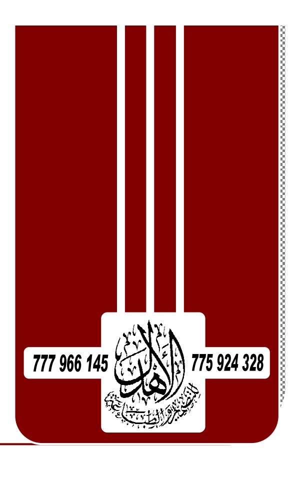
قياس القطع: 17× 24.

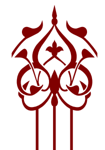
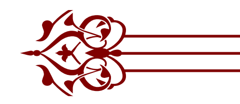
النَّاشِر: غَافِق للدراسات والنشر.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.







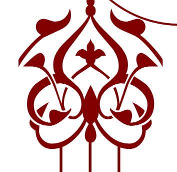


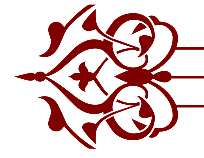

تَنْوِيرُ الْفُهُوْم

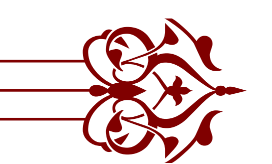
بِمُقَدِّمَاْتِ عَشَرَةِ عُلُوْم

تأْلِيفُ

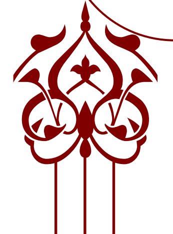
الدُّكْتُوْر: عَبْد اللهِ بن عَبْده العَوَاضِي

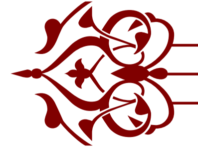


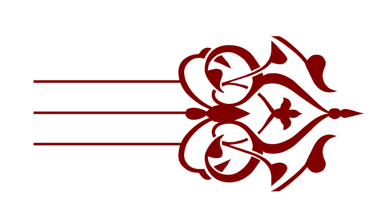





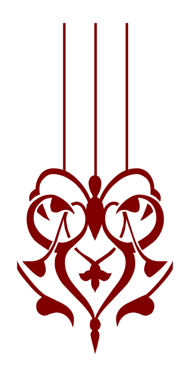
بسم الله الرحمن الرحيم











المقدمة

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما، وقهر كلَّ شيء عزةً وحُكما، أنعم على عباده بالعلم فكانت من أجلِّ نِعمه، واصطفى بعضهم بعطية النبوغ فيه فكانت من أوفر قِسمه، فله الحمد على ما أنعم، وله الشكر على ما تفضل وقسم.

والصلاة والسلام على أعلم الخلق وأتقاهم، وأزكاهم وأخشاهم، نبينا محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

فإن العلوم النافعة كثيرة، ومعلوماتها ثرّة غزيرة، ولن يبلغ المرء سماء بعضها حتى يسلك إليها مسالكها، ويقضي زمانًا في سبيل الوصول إلى مراده منها، متدرجًا من الأدنى إلى الأعلى، ومن القليل إلى الكثير.

وقد جرت سنة العلماء أن يضعوا نافذة بين يدي كل علم يرى الدارس من خلالها ذلك العلم بصورة مجملة، يصل منها إلى التصور قبل أن يبلغ التصديق، ويطل من شرفة مقدَّمة إلى واحات العلم الممتدة، وسمّوا تلك النافذة بالمقدمة -بكسر الدال أو فتحها-.

وقد جعل أهل العلم " المقدمة منقسمة إلى قسمين: مقدمة علم، ومقدمة

كتاب؛ فمقدمة العلم: ما يتوقف الشروع على بصيرة عليها؛ لأنها تكون مشتملة على الحد، والموضوع، والغاية والفائدة. ومقدمة الكتاب: ما يوجب الشروع بها زيادة في البصيرة..."[1].

وكما أن هذا الافتتاح لكل علم بمقدمة في ذلك الفن يكسب الدارس المعرفة المجملة للعلم الذي يرومه؛ فإنه كذلك ينشطه لامتطاء صهوات الهمة العالية إلى السباق في ميدان ذلك العلم على أحسن الطرق وأسلم المسالك، ويرغبه في الاستمرار وترك الفتور.

وأما الذين يتقافزون إلى أمواج الكتب وعبابها من غير منهجية سليمة، ولا إضاءات مرشدة عبر مقدمة علمية عن العلم المرام؛ فإنهم سرعان ما يغرقون في لجج العلوم، فيستصعبون فهمها، فيكرهون البقاء معها، وربما استحسروا فودعوا ذلك العلم مبكرين.

لهذا جعلت من عادتي في أكثر الكتب التي أُدرّسها طلابي أن أقدم بين يدي كل كتاب مقدمة عن ذلك العلم، أتناول فيها المبادئ العشرة له، وأضيف إلى ذلك أحيانًا الحديث عن تاريخ النشأة، ورجال ذلك العلم، وكتبه المهمة ومتونه وشروحها، وذكر مسائل أخرى تدعو الحاجة إلى تقديمها بين يدي ذلك العلم.

فكان أن اجتمع من ذلك الجهد من علوم الآلة وعلوم الغاية: عشر مقدمات في عشرة علوم كنت قد درّست فيها عدة كتب عبر سنوات التعليم، **وهذه العلوم هي:**

(1) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص: 9).

1. النحو.
2. الصرف.
3. البلاغة.
4. العروض.
5. أصول فقه.
6. الفرائض.
7. العقيدة.
8. التفسير.
9. الفقه.
10. السيرة.

وقد سميت النظام الحاوي لهذه المقدمات بـ "تنوير الفهوم بمقدمات عشرة علوم".

وأحب أن أشير إلى أن أكثر هذه المقدمات العشر التي كتبتها قد نُشرت في بعض المواقع الاليكترونية، وبعض وسائل التواصل الاجتماعي، وعلى قناتي في التلجرام، فلما اكتمل عقدها بعشر نظرت فيها مرة أخرى ونقحتها، وزدت معلومات إلى بعضها، فخرجت في هذا الكتاب مزيدة منقحة.

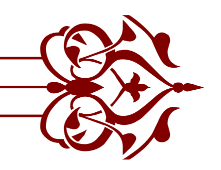
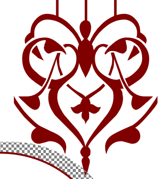
ولا أدعي تمام الوفاء بحق مقدمات تلك العلوم، ولا السلامة من النقص والخطأ فيها، ولكن هذا جهد المقل لصاحبه غنمه وعليه غرمه، وبالله صوابه، وعلى صاحبه غلطه.

فأسأل الله غفران الزلل، والعفو عن الخطل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد الله بن عبده العواضي

9/ 2/ 1445هـ 25/ 8/ 2023م.

تمهيد

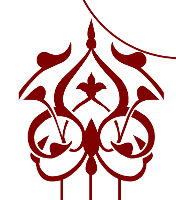
المبادئ العشرة

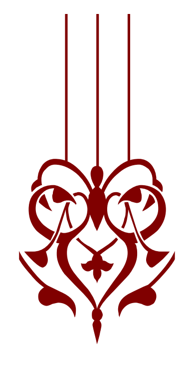
وفي هذا التمهيد ثلاثة مباحث:

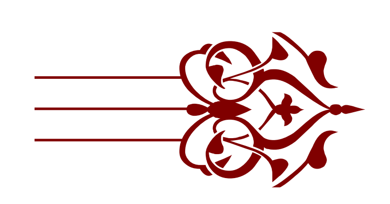
المبحث الأول: معنى كلمة" المبادئ".

المبحث الثاني: تسمية المبادئ العشرة عداً وذكرها نظما.

المبحث الثالث: معاني المبادئ العشرة.





المبحث الأول:

معنى كلمة "المبادئ"

لغة:

يقال: بَدَأَ: بدءًا وبدأة: حدث وَنَشَأ، وبَدَأَ الشَّيْء: قدمه وفضله، وابْتَدَأَ الشَّيْء وَبِه: بدأه، **والبدء:** أول كل شَيْء، يُقَال: فعلته بدءًا وبدءَ بَدْءٍ وَأول بَدْء، **ويُقَال: لَك الْبُدَاءَة:** البدء.

والمبادئ جمع: مبدأ، **ومبدأ الشَّيْء:** أَوله ومادته الَّتِي يتكون مِنْهَا -كالنواة مبدأ النّخل- أَو يتركب مِنْهَا كالحروف مبدأ الْكَلَام.

والمبدأ: مصدر ميمي، **والمصدر الميمي هو:** ما أوله ميمٌ زائدة كمَنْصرٍ ومَعْلَمٍ ومُنطلَقٍ ومُنْقَلَبٍ. وهي بمعنى النَّصر والعلم والانطلاق والانقلاب.

والمحقّقون من العلماءِ قالوا: إنَّ المصدرّ الميميَّ اسمٌ جاءَ بمعنى المصدر، لا مصدرٌ.

والمصدر الميميُّ من المصادر القياسيَّة. وزنه من الثُلاثيّ المُجرَّدِ "مفْعَلٌ"، بفتح الميم والعين.

والمبدأ: مأخوذ من البُداءة لا من البداية، فمِن غلط الفقهاء قولهم: (البِدايةُ) باليمنى. **وصوابه:** البُداءة، بضم الباء، والهمز؛ لأنه من بدأت، فلامه همزة.

وعن الأصمعي في مصدر بدأ: بُدْءاً وبُدْأَةً وبَدْأَةً. وزاد أبو زيد : بُدّاءة، على وزن تُفّاحة.

وَزَاد ابنُ مَنْظُور: البِدَاءَة بِالْكَسْرِ مهموزاً[1]. والمسألة فيها بحث[2].

اصطلاحًا[3]:

يمكن أن نقول في تعريف المبادئ العشرة اصطلاحًا: هي: جملة من المعارف الأولية توصل إلى إدراك خلاصة مقدَّمة عن علم يُراد الشروع فيه.

وقال العلامة زكريا الأنصاري في تعريف مبادئ العلم: " ما يتوقف عليه المقصود بالذات من تعريفه وتعريف أقسامه، وفائدته"[4].

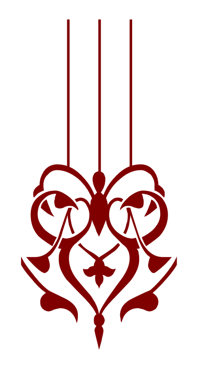
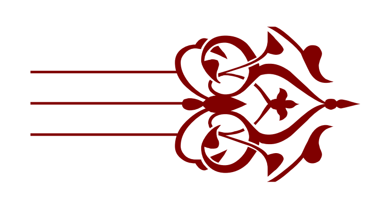
---

(1) ينظر: المعجم الوسيط (1/ 42)، معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 168)، غلط الفقهاء (ص: 14)، تاج العروس (1/ 138)، جامع الدروس العربية (1/ 174).

(2) ينظر: تثقيف الخطيب لغويًا(97).

(3) **الاصطلاح لغة:** الاتفاق. **واصطلاحًا:** اتفاق طائفة مخصوصة على إخراج الشيء عن معناه إلى معنى آخر. أو اتفاق أهل الاختصاص على تسمية شيء باسم معين، سواء وافق ذلك الوضع اللغوي أم لم يوافقه.
ينظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 36)، تاج العروس (6/ 551)، معجم لغة الفقهاء (ص: 71).

(4) غاية الوصول في شرح لب الأصول (ص: 5).

المبحث الثاني:
تسمية المبادئ العشرة عدّاً وذِكرها نظما

المبادئ العشرة لكل علم هي: حده، وموضوعه، وثمرته، وفضله، ونسبته، وواضعه، واسمه، واستمداده، وحكمه، ومسائله.

وقد نظمها بعض أهل العلم؛ فمنهم: العلامة محمد بن علي الصبان، المصري (ت:1206 هـ) في حاشيته علي شرح الملوي على السلم المنورق في المنطق في قوله:

إِنَّ مَبَادِيْ كُلِّ فَنٍّ عَشَرَهْ ... الحَدُّ وَالمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَهْ

وَفَضْلُهُ وَنِسْبَةٌ وَالْوَاضِعْ ... وَالِاسْمُ الِاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعْ

مَسَائِلٌ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَى ... وَمَنْ دَرَى الجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَا[1].

ونظمها الشيخ: أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس، المقرِي، التِّلمساني، المالكي، المؤرخ الأديب المتوفى سنة 1040 هـ، وهو صاحب كتاب "نفح الطِّيب في غصن الأندلس الرطيب"، **قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ** وعفا عنا وعنه في منظومته:" إضاءة الدُّجُنَّة":

مَن رامَ فنًا فلْيُقدِّمْ أولا ... عِلْمًا بحدِّه وموضوعٍ تَلا

وواضعٍ ونِسْبةٍ وما استمدّْ ... منهُ وفضلِه وحُكمٍ يُعتمدْ

---

(1) شرح نظم المقصود، للحازمي (ص4).

واســـمٍ ومـــا أفـــادَ والمـــسائلْ فتلـــك عـــشرٌ للمُنـــى وســـائلْ

وبعـضُهم منها على البعضِ اقتصرْ ومَن يكنِ يـدري جميعَهـا انتـصرْ[1].

ونظمها ابْنُ ذِكْرِيٍّ فِي "تَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ" فِي قوله:

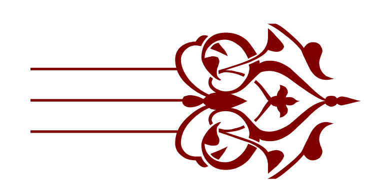
فَـأَوَّلُ الْأَبْـوَابِ فِـي الْمَبَـادِيْ وَتِلْـكَ عَـشْرَةٌ عَلَـى الْمُـرَادِ

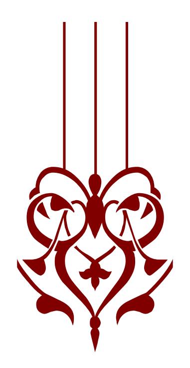
الْحَـدُّ وَالْمَوْضُـوعُ ثُـمَّ الْوَاضِـعْ وَالِاسْـمُ الاسْـتِمْدَادُ حُكْـمُ الـشَّارِعْ

تَـصَوُّرُ الْمَـسَائِلِ، الْفَـضِيلَةْ وَنِـسْبَةٌ، فَائِـدَةٌ جَلِيلَـةُ[2].

(1) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (1/ 22).

(2) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 36).







المبحث الثالث:

معاني المبادئ العشرة

1-الحدّ:

الْحَد لغة: الحاجز بَين الشَّيْئَيْنِ، **وَحد الْأَرْض**: وضع فاصلاً بَينهَا وَبَين مَا يجاورها، **وَحد الشَّيْء من غَيره**: مازه مِنْهُ[1].

اصطلاحًا:

"**حد الشيء**: الوصف المحيط بمعناه. **وعند أهل الميزان**: قول دال على ماهية الشيء. **وعند أهل الأصول**: ما يميز الشيء عما عداه، وهو بمعنى قول الباقلاني وغيره: **الحد**: الجامع المانع"[2].

"**وشرطه**: طرد وعكس، **ومعنى الطرد**: إدخال المحدود، **والعكس**: إخراج ما عداه. فإن لم يطرد وينعكس فليس بحد "[3].

"والبحث في الحدود يرجع إلى مبحث التصورات عند المنطقيين، **والتصور لغة**: ارتسام الصورة في الذهن، **وفي الاصطلاح**: إدراك حقيقة المفرد.

وجرت العادة عند أرباب الفنون بتقديم الحد على غيره من المبادئ؛ وذلك لأنه من باب التصور، وبقية المبادئ من باب الأحكام، **والأحكام**: جمع حكم،

---

(1) المعجم الوسيط (1/ 160).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 137).

(3) حاشية الروض المربع (1/ 8).

وهو لغة: المنع، **وفي الاصطلاح عند المناطقة**: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، **والقاعدة**: أن الحكم على الشيء فرع تصوره، والشأن في الفرع من حيث الترتيب العلمي أن يؤخر في الذكر"[1].

فالحد إذن هو التعريف، الذي يميز كلَّ معرَّف عن غيره.

2-الموضوع:

الموضوع لغة: من الوضع ضد الرفع، **ومن وضع الباني الْحجر**: نضد بعضه على بعض. **والْمَوْضُوع**: الْمَادَّة الَّتِي يبْني عَلَيْهَا الْمُتَكَلّم أَو الْكَاتِب كَلَامه[2].

اصطلاحًا: "موضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية؛ كبدن الإنسان لعلم الطب؛ فإنه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض، وكالكلمات لعلم النحو؛ فإنه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء"[3].

3-الثمرة:

لغة: الثَّمَرَة: وَاحِدَة الثَّمر، وَهُوَ حمل الشَّجَرَة، **وَمن الشَّيْء**: فَائِدَته. **والجمع**: ثَمَر وثُمر وثمار وأثمار وثمرات[4].

اصطلاحًا: هي: المنافع المرجوة التي تنال من دراسة العلم المقصود.

---

(1) ملتقى أهل اللغة (10/ 1147).

(2) المعجم الوسيط (2/ 1040).

(3) التعريفات (ص: 236).

(4) المعجم الوسيط (1/ 100).

ومعرفة ثمرات العلم قبل دراسته لها فوائد كثيرة، منها:

1-التشجيع على دراسة ذلك العلم؛ لأن العاقل لا يشغل نفسه في دراسة شيء لا ثمرة له، أو دراسة شيء فيه مضرة عليه، كحال من يشتغل بعلم الكلام ويدع علوم الإسلام، **كما قال الرازي متندمًا:**

نِهَايَــةُ إِقْــدَامِ الْعُقُــولِ عِقَــالُ وَغَايَــةُ سَــعْيِ الْعَــالَمِينَ ضَــلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَاصِــلُ دُنْيَانَــا أَذَى وَوَبَــالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ: قِيلَ وَقَالُوا[1]

2-الإعانة على النشاط والاستمرار في طلب ذلك العلم؛ فإن النظر في العواقب الحسنة للعلم يثبت المرء عند الكسل، ويزجيه عند الفتور.

4-الفضل:

لغة: يقال: فضل: الشَّيْء فضولاً: اتّصف بالفضيلة. **والْفَضِيلَة:** الدرجَة الرفيعة، **وفضيلة الشَّيْء:** مزيته[2].

اصطلاحًا: هو المزايا الحسنة التي يتميز بها أي علم على سائر العلوم.

وفضل العلم هو: سموه على غيره، وأما ثمراته فهي النتائج المجتناة منه.

وما قلنا في فوائد معرفة الثمرة يقال كذلك في معرفة الفضل.

(1) شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (ص: 177).

(2) المعجم الوسيط (2/ 693).

5-النّسبة:

لغة: يقال: نسب الشيء إلى الشيء: عزاه إليه. **وَيُقَال:** بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَذَا: بِالنّظرِ وَالْإِضَافَة إِلَيْهِ. **والمصدر:** النسبة: **والجمع:** نِسب[1].

وكما تطلق النسبة في الأمور الحسية كالصلة والقرابة في الخلق، كذلك تطلق في المعنويات كالشؤون العلمية.

اصطلاحًا: معرفة صلة كل علم بغيره من العلوم؛ بكونه جزءاً من علم أو مباينًا له.

"والعلوم المدركة كثيرة منها ما هو قطعي، ومنها ما هو ظني، والقطعي منه ما هو ضروري لا يقع عن نظر واستدلال، ومنه ما هو نظري يقع عن نظر واستدلال، وهي أيضًا تنقسم إلى علوم جامعة يندرج تحتها علوم كثيرة، وعلوم جزئية ليست كذلك، ومن الضروري إرجاع العلم الجزئي إلى العلم الجامع، وذلك لأنه ثمة معنى كلي بين تلك العلوم الجزئية – أي: المندرجة تحت العلم الجامع - يدرك عند النسبة"[2].

6-الواضع:

لغة: الواضع: اسم فاعل من الوضع يقال: وضع الشَّيْء فِي الْمَكَان: أثْبته فِيهِ،

---

(1) المعجم الوسيط (2/ 916).

(2) ملتقى أهل اللغة (10/ 1149).

ووضع الْعلم: اهْتَدَى إِلَى أُصُوله وأولياته[1].

اصطلاحًا: واضع العلم: هو أول من تكلم عنه قولاً فيه أو كتابة له.

7- الاسم:

لغة: الِاسْم: مَا يعرف بِهِ الشَّيْء ويستدل بِهِ عَلَيْهِ. **وعِنْد النُّحَاة:** مَا دلّ على معنى فِي نَفسه غير مقترن بِزَمن؛ كَرجل وَفرس[2].

اصطلاحًا: اسم العلم: هو ما تعارف عليه أهل الاصطلاح من أهل العلم في إطلاقه على ذلك العلم من اسم أو أسماء تميزه عن غيره من العلوم.

8- الاستمداد:

لغة: الاستمداد: استفعال، والسين والتاء للطلب، **واستمده:** إذا طلب منه مِداداً، أو مادةً أو مُدَّةً من مداد. **والمِدَادُ:** ما مَدَّ الشَّيءَ[3].

وإذا كان هذا في الأمور الحسية من العطاء والمداد والقُوى، فهو كذلك في الأمور المعنوية كاستمداد العلوم.

اصطلاحًا: يراد بالاستمداد في مبادئ العلوم: معرفة مصادر العلم التي يؤخذ منها، وهي إما نقلية وإما عقلية، وإما نقلية وعقلية.

(1) المعجم الوسيط (2/ 1039).

(2) المعجم الوسيط (1/ 452).

(3) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (9/ 289)، تاج العروس (9/ 155)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (9/ 6205)، مختار الصحاح (ص: 292).

وقال ابن عاشور: "استمداد العلم: يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدونيه؛ لتكون عونـًا لهم على إتقان تدوين ذلك العلم، وسمي ذلك في الاصطلاح بالاستمداد عن تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد، والمدد: العون والغواث، فقرنوا الفعل بحرفي الطلب وهما السين والتاء"[1].

9- حكمه:

لغة: يأتي الحكم لمعانٍ منها: القضاء، **يقال:** حكم بِالْأَمر حكماً: قضى، **يُقَال:** حكم لَهُ وَحكم عَلَيْهِ وَحكم بَيْنهم.

ويأتي بمعنى المنع، قال الشاعر:

أبني حنيفَةَ أحكموا سفهاءكم … إِنِّي أَخَاف عَلَيْكُمُ أَن أغضبا

أي: امنعوهم من السفه[2].

اصطلاحًا: هو مقتضى خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الاقتضاء أو التخيير أو الوضع[3].

والمقصود من هذا المبدأ: أن يعرف الدارس حكم الشارع في تعلم ذلك العلم الذي يقصده: هل هو فرض على الكفاية أو على العين، ومَن أهله الذين يجب عليهم، أو الذين يستحب في حقهم؟.

(1) التحرير والتنوير (1/ 18).

(2) المعجم الوسيط (1/ 190)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص: 276).

(3) مذكرة أصول الفقه – الجامعة الإسلامية (ص: 2).

10 -المسائل:

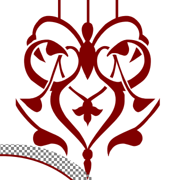
لغـة: المسائل: جمع مسألة، **والمسألة:** مصدر، وتستعار لِلْمَفْعُول يُقَال: تعلمت مَسْأَلَة. **وفِي الِاصْطِلَاح العلمي:** الْقَضِيَّة الَّتِي يبرهن عَلَيْهَا[1].

اصطلاحًا: المراد بالمسائل في مبادئ العلم: المباحث التي يشتمل عليها العلم على جهة الإجمال.

وعرفها الأنصاري بقوله: "ومسائله: ما يطلب نسبة محموله إلى موضوعه في ذلك العلم"[2].

(1) المعجم الوسيط (1/ 411).

(2) غاية الوصول في شرح لب الأصول (ص: 5).

مقدمة في علم النَّحو

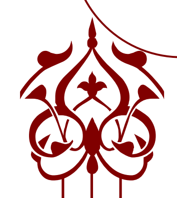
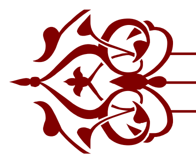
سنتحدث في هذه المقدمة عن الآتي:

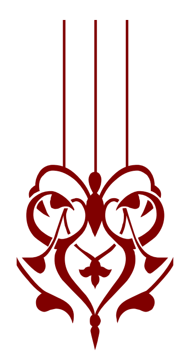
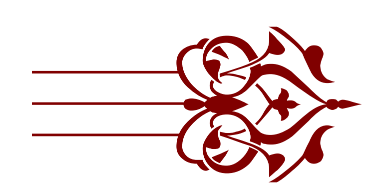
أولاً: المبادئ العشرة لعلم النحو.

ثانيًا: نشأة علم النحو.

ثالثًا: اللحن معناه، وابتداؤه، والتحذير منه.

رابعًا: متون في النحو.

أولاً: المبادئ العشرة لعلم النحو:

1 - حد النحو:

النحو لغة: "مصدر أريد به اسم المفعول أي: المنحو، كالخلق بمعنى المخلوق. وخصته غلبة الاستعمال بهذا العلم، وإن كان كل علم منحوًا، أي: مقصودًا، كما خصت الفقه بعلم الأحكام الشرعية الفرعية وإن كان كل علم فقهًا، أي: مفقوهًا، أي: مفهومًا"(1).

وقال ابن جني: " وهو في الأصل مصدر شائع، أي: نحوت نحواً؛ كقولك: قصدت قصداً، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم"(2).

وهو يأتي في اللغة لمعان:

الأول: القصد، نحو: نحوت نحوك، أي: قصدت قصدك.

الثاني: المِثل، نحو: مررت برجل نحوِك، أي: مثلِك.

الثالث: الجهة أو الناحية، نحو: توجهت نحو البيت، أي: جهة البيت أو ناحية البيت.

الرابع: المقدار، نحو: له عندي نحو ألف، أي: مقدار ألف.

---

(1) شرح الأشموني لألفية ابن مالك (1/ 19).

(2) الخصائص (1/ 35).

الخامس: القِسْم أو النوع، نحو: هذا على أربعة أنحاء، أي: أقسام أو أنواع.

السادس: بعض الشيء، نحو: أكلت نحو دجاجة، أي: بعض دجاجة.

السابع: الطريق، نحو: هذا نحو المدينة، أي: طريقها.

الثامن: الرد والصرف والتحريف والميل، نحو: نَحا بَصَرَه إِلَيْهِ يَنْحاه ويَنْحُوه نَحْواً: رَدَّهُ وصَرَفَه، ونحا الشيءَ يَنْحَاهُ ويَنْحُوه إذا حرَّفه، وَمِنْه سمّي النحويّ؛ لِأَنَّهُ يحرفُ الْكَلَام إِلَى وُجُوه الْإِعْرَاب، ويقال: نَحَوْت بَصرِي إِلَيْهِ أَنْحاه وأنْحُوه صرَفته فَإِذا عَدَلته عَنهُ قلت: أنْحَيته عَنهُ ونَحَّيته[1].

قال أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني:

لِلنَّحْوِ سَبْعُ مَعَانٍ قَدْ أَتَتْ لُغَةً ... جَمَعْتُهَا ضِمْنَ بَيْتٍ مُفْرَدٍ كَمُلَا

قَصْدٌ، وَمِثْلٌ، وَمِقْدَارٌ، وَنَاحِيَةٌ ... نَوْعٌ، وَبَعْضٌ، وَحَرْفٌ، فَاحْفَظِ المَثَلَا[2]

وأوصلها بعضهم إلى عشرة معان فقال:

النحو في لغةٍ: قصدٌ، كذا مثلٌ ... وجانبٌ، وقريبٌ، بعضُ، مقدارُ

نوعٌ، ومثلٌ، بيانٌ، بعد ذا عقبٌ ... عشرُ معانٍ لها في الكل أسرارُ[3]

---

(1) ينظر: الخصائص (1/ 35)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (1/ 264)، شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (1/ 19)، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (1/ 24)، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (1/ 185)، تهذيب اللغة (5/ 163)، تاج العروس (40/ 45)، المخصص (1/ 112).

(2) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل (1/ 10).

(3) فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، لأبي عبد الله الفاسي (1 / 229).

وقال بعضهم جامعًا بعض المعاني لكلمة "نحو" لغةً وممثلاً لها:

نحونـــا نحـــوَ دارك يـــا حبيبـــي ... وجـــدنا نحـــوَ ألـــفٍ مـــن رقيـــبِ
وجـــدناهمْ جياعـــًا نحـــوَ كلـــبٍ ... تمنّـــوا منـــك نحـــواً مـــن شَـــرِيْبِ[1]

اصطلاحًا: عرفه ابن جني بقوله: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها"[2].

ولكن هذا التعريف لا يمنع دخول علم الصرف فيه؛ لتضمنه بعض مباحثه.

وعرفه العيني بقوله: "والنحو في اصطلاح القوم: معرفة كيفية كلام العرب وتصرفاتهم فيه، وما يستحق كل نوع منهم من الإعراب منه؛ كرفع الفاعل ونصب المفعول، وجر المضاف"[3].

وعرفه شهاب الدين الأندلسي بقوله: "علمٌ به يُعرف أحوالُ أواخرِ الكلمات العربية إفراداً وتركيباً"[4].

وعرفه ابن كمال باشا بقوله: "علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم من

(1) أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 (157/ 300).
(2) الخصائص (1/ 35).
(3) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (1/ 185).
(4) الحدود في علم النحو (ص: 434).

حيث الإعراب والبناء"[1].

2- موضوعه :

الكلِمات العربيَّةُ من حيث البحث عن أحوال أواخرها، أو من حيث تركيبها وأحوال أواخرها.

3- ثمرته :

للنحو ثمرات كثيرة، منها:

أ-صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي.

ب-فهم المراد من نصوص القرآن والسنة وحفظ اللسان عن الخطأ فيهما.

قال الخطيب البغدادي: "وَاللَّحْنُ فِي الْقُرْآنِ أَيْضًا غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ حَافِظًا لَهُ، وَلَا عَالِمًا بِالْعَرَبِيَّةِ وَقَدْ حُفِظَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الرُّوَاةِ"[2] ثم ساق أمثلة.

وقال سَالِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ: "كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ هُبَيْرَةَ الْأَكْبَرِ فَجَرَى الْحَدِيثُ حَتَّى جَرَى ذِكْرُ الْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا اسْتَوَى رَجُلَانِ دِينُهُمَا وَاحِدٌ، وَحَسْبُهُمَا وَاحِدٌ، وَمُرُوءَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، أَحَدُهُمَا يَلْحَنُ، وَالْآخَرُ لَا يَلْحَنُ، إِنَّ أَفْضَلَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الَّذِي لَا يَلْحَنُ. قُلْتُ: أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ هَذَا أَفْضَلُ فِي الدُّنْيَا؛ لِفَضْلِ

(1) الفلاح شراح مراح الأرواح في علم الصرف (ص: 3).

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 29).

فَصَاحَتِهِ وَعَرَبِيَّتِهِ، أَرَأَيْتَ الْآخِرَةَ مَا بَالُهُ فُضِّلَ فِيهَا؟! قَالَ: إِنَّهُ يَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللهُ، وَإِنَّ الَّذِي يَلْحَنُ يَحْمِلُهُ لَحْنُهُ عَلَى أَنْ يُدْخِلَ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، وَيُخْرِجَ مِنْهُ مَا هُوَ فِيهِ. قَالَ: قُلْتُ: صَدَقَ الْأَمِيرُ وَبَرَّ "[1].

وقال الواحدي: "قال مالك بن أنس: لا أُوتى برجل غيرِ عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً.

وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة في فصاحة ألفاظه، وبعد أغراضه لخاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ وعلى آله الطيبين، في زمان أهله يتحلون بالفصاحة، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح"[2].

ومتى جاء الحديث ملحونًا من بعض الرواة فإنه يجب تصويبه؛ حتى يصح فهم المراد منه، **قال الخطيب:** "وَالَّذِي نَذْهَبُ إِلَيْهِ: رِوَايَةَ الْحَدِيثِ عَلَى الصَّوَابِ، وَتَرْكُ اللَّحْنِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سُمِعَ مَلْحُونًا؛ لِأَنَّ مِنَ اللَّحْنِ مَا يُحِيلُ الْأَحْكَامَ، وَيُصَيِّرُ الْحَرَامَ حَلَالًا، وَالْحَلَالَ حَرَامًا، فَلَا يَلْزَمُ اتِّبَاعَ السَّمَاعِ فِيمَا هَذِهِ سَبِيلُهُ، وَالَّذِي ذَهَبْنَا إِلَيْهِ قَوْلَ الْمُحَصِّلِينَ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ"[3] ثم ساق بسنده ما يدل على قوله، **فمن ذلك:**

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 25).

(2) التفسير البسيط (1/ 411).

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 22).

قال الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: "لَا بَأْسَ بِإِصْلَاحِ الْخَطَأِ وَاللَّحْنِ وَالتَّصْحِيفِ فِي الْحَدِيثِ".

وقال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْآجُرِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ سُلَيْمَانَ بْنَ الْأَشْعَثِ يَقُولُ: "كَانَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ يُقَوِّمُ كُلَّ لَحْنٍ فِي الْحَدِيثِ".

وقال أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ بُهْلُولٍ: "سَأَلْتُ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيَّ عَنِ الرَّجُلِ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ مَلْحُونًا أَيُعْرِبُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ"[1].

قال شُعْبَةَ: "مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ فَلَمْ يُبْصِرِ الْعَرَبِيَّةَ فَمَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ عَلَيْهِ بُرْنُسٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ"[2].

وقال ابن الأثير: معرفة اللغة والإعراب هما أصلٌ لمعرفة الحديث؛ لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب[3].

ج-فهم المتكلمين بالعربية وإدراك مقاصد كلامهم بلا لبس.

د-أن النحو طريق لفهم سائر العلوم المدونة بالعربية، فهو آلة لفهمها، ولا يستغنى عنه في معرفتها.

قال وكيع: "أَتَيْتُ الْأَعْمَشَ أَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ، وَكُنْتُ رُبَّمَا لَحَنْتُ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا سُفْيَانَ، تَرَكْتَ مَا هُوَ أَوْلَى بِكَ مِنَ الْحَدِيثِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَوْلَى

---

(1) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 23).
(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 26).
(3) جامع الأصول (1/ 37).

مِنَ الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: النَّحْوُ. فَأَمْلَى عَلَيَّ الْأَعْمَشُ النَّحْوَ، ثُمَّ أَمْلَى عَلَيَّ الْحَدِيثَ "[1].

وقال عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ الرَّحَبِيُّ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ: "إِذَا كَتَبَ لَحَّانٌ، فَكَتَبَ عَنِ اللَّحَّانِ لَحَّانٌ آخَرُ، فَكَتَبَ عَنِ اللَّحَّانِ لَحَّانٌ آخَرُ؛ صَارَ الْحَدِيثُ بِالْفَارِسِيَّةِ" قال الخطيب: فَيَنْبَغِي لِلْمُحَدِّثِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّحْنَ فِي رِوَايَتِهِ لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَلَنْ يَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ دَرْسِهِ النَّحْوَ وَمُطَالَعَتِهِ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ"[2].

وقال الكسائي: "من تبحّر في النحو اهتدى إلى جميع العلوم. وقال: لا أُسأل عن مسألة في الفقه إلّا أجبت عنها من قواعد النحو"[3].

وقَالَ الشَّعْبِيُّ: "النَّحْوُ فِي الْعِلْمِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ"[4].

هـ-اكتساب الهيبة والجمال بين المتكلمين بالعربية.

فعن سعيد بن سلم قال: "دخلت على الرشيد فبهرني هيبة وجمالاً، فلما لحن خفّ في عيني. وعن الشعبي قال: حلي الرجال العربية، وحلي النساء الشحم"[5].

وعن أبي توبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه أعرابيّ فلحن، فصرّ الأعرابي أذنيه، فلحن مرة أخرى

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 26).

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 24).

(3) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (2/ 407).

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 28).

(5) معجم الأدباء (1/ 25).

أعظم من الأولى، فقال الأعرابي: أفّ لهذا، ما هذا؟ ثم تكلم فلحن الثالثة، فقال الأعرابي. أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر[1].

وأنشد الْمُبَرِّدُ:

النَّحْوُ زَيْنٌ وَجَمَالٌ يُلْتَمَسْ ... يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ الْعُلُومِ بِالنَّفَسْ
صَاحِبُهُ مُكَرَّمٌ حَيْثُ جَلَسْ ... هَلْ يَسْتَوِي رَبُّ الْحِمَارِ وَالْفَرَسْ؟[2]

وقال بعضهم:

لو لم يكن في النحو إلا أنه ... يذرُ الضئيلَ من الرجالِ مهيبا
يُخشى التكلمُ حيث حلَّ كأنما ... أضحى بأفواه الأنامِ رقيبا[3]

وقال علي بن بسام:

رأيتُ لسانَ الْمَرْءِ رائدَ عقلِهِ ... وعنوانَهُ فَانْظُرْ بِمَاذَا يُعَنْوَنُ
فَلَا تعدُ إصلاحَ اللسانِ فإنَّهُ ... يخبِّرُ عمّا عندهُ ويُبَيِّنُ
ويعجبني زِيُّ الْفَتى وجمالُهُ ... فيسقطُ من عينيَّ ساعةَ يلحَنُ[4]

وقال الكسائي:

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ ... وَبِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعْ

(1) معجم الأدباء (1/ 26).

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 28).

(3) غرر الخصائص الواضحة (ص: 221).

(4) معجم الأدباء (4/ 1865).

وإذا مـــا أبــصر النحـــوَ فتًـــى مرّ في المنطــــق مـــرًّا فاتســــعْ
فاتقـــاه كــــلُّ مــــن جالـــسه مـن جليـــسٍ ناطـــقٍ أو مـستمِعْ
وإذا لـــم يبـــصر النحـــوَ الفتـــى هـاب أن ينطــق جُبنًـا فانقطـــعْ
فتـــراه ينــــصبُ الرفــــعَ ومـــا كـان مـن نـصبٍ ومـن خفـضٍ رفـعْ
يقـــرأُ القـــرآن لا يعـــرفُ مـــا صـرفَ الإعـــراب فيه وصنـــعْ
والـــــذي يعرفـــــه يقـــــرؤه وإذا مـــا شـــكّ في حـــــــرفٍ
نــــاظرًا فيـــــه وفي إعرابـــــه فـإذا مـا عـرف اللحـنَ صـــــدعْ
كـــم وضـــيعٍ رفــعَ النحــوُ وكــم مِـن شـريفٍ قـد رأينـاه وضـــعْ[(1)]

وقال ابْن الطَّبِيب:

النحـوُ يَبـسُط مـن لـسان الألكـنِ والمـرء تكرمـــه إذا لـم يلحـــنِ
وإذا التمـست مـن العلـوم أجلّهـا فأجلّهـا حقّـًا مقيـمُ الألـســـنِ
لحـنُ الـشريفِ يحطّـه عـن قـدرِه فتـراه يَـسقطُ مـن لحـاظ الأعـينِ
وتـرى الـدنيءَ إذا تكلّـم مُعربـًا نــال النباهــةَ باللـــسان المعلـــنِ
فاطلـبْ هُـديت ولا تكـن متأبيـًا فـالنحوُ زيـنُ العـالِم المتفنـــنِ
والنحـــوُ مثـــل الملـــحِ إن ألقيتَــه في كـل صـنف مـن طعـام يحسُنِ[(2)]

---

(1) إنباه الرواة على أنباه النحاة (2/ 267)، تاريخ بغداد وذيوله (11/ 410).

(2) التمثيل والمحاضرة (ص: 161)، الوافي بالوفيات (8/ 267).

4-**فضله :**

اللغة العربية رأس مال الكاتب والمتكلم، وأسّ مقاله، وكنز إنفاقه، والنحو هو ميزان تقويمها وقانونها الذي تُحكَم به في كل صورة من صورها، وهو وسيلة المستعرب، وسلاح اللغوي، وعماد البلاغي، وأداة المشرّع والمجتهد، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية، ومركب الإفهام الذي لا يكبو، وسيف القول الذي لا ينبو، وحَلي الكلام، وهو له كالملح للطعام.

وهو السبيل الذي به تمكنّا من نظم العربية ونثرها كما كان أربابها السابقون، وبه أُطلق لساننا في العصور المختلفة صحيحًا فصيحًا كما أُطلق لسانهم، وأُجري كلامنا في حدود مضبوطة سليمة كالتي يجري فيها كلامهم، وإن كان ذلك منهم طبيعة، ومنا تطبعًا.... والنحو مفتاح العلوم والطريق الأول لفهمها.. عن أبي زيد النحوي قال: "كان الذي حداني على طلب الأدب والنحو أني دخلت على جعفر بن سليمان فقال: ادنه فقلت: أنا دني. فقال: لا تقل -يا بني-: أنا دني، ولكن قل: أنا دانٍ"[(1)].

إن هذا العلم الشريف حمل أهله المحبين له على الحث على تعلمه ومعرفة أهميته، ودعاهم إلى الحفاظ عليه من صيالة اللحن والوقوف في وجه اللحانين بالنصيحة.

مر عمر بن الخطاب على قوم يرمون فيخطئون في رميهم **فقال:** "بئس ما

(1) الجامع لأخلاق الراوي (2/ 27).

رميتم. فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا قوم متعلمين، فقال: والله لذنبكم في لحنكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم "[1].

وقال أيضًا: "تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في المروءة "[2]، ... بل قد غدا النحو أهم علوم العربية وأكثرها حاجة في الكلام، قال بعض أهل العلم: "الذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو؛ إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيُعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجُهل أصل الإفادة. وكان من حق علم اللغة التقدمُ لولا أن أكثر الأوضاع باقيةٌ في موضوعاتها لم تتغير، بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه؛ فإنه تغير بالجملة ولم يبق له أثر؛ فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة؛ إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة "[3].

نقول: وإذا كان النحو ذا أهمية كبيرة في مناحي القول والكتاب؛ فإن أهميته والحاجة إليه في معرفة الإسلام وفهم القرآن والحديث أشد حاجة وأعظم أهمية وآكد مطلبا.

قال الجرجاني -وهو يرد على المهوِّنين من شأن النحو-:" وأمَّا زهدُهم في النَّحو واحتقارُهم له، وإصغارُهم أمرَهُ، وتهاونُهم به، فصنيعُهم في ذلك أشنعُ من صَنيعهم في الذي تَقدَّم، وأَشْبَهُ بأن يكونَ صَدّاً عن كتابِ الله، وعن معرفةِ معانيه؛

(1) الحجة للقراء السبعة (1/ 344).

(2) الجامع لأخلاق الراوي (2/ 25).

(3) تاريخ ابن خلدون (1/ 753).

ذاكَ لأَنهم لا يَجدِون بُدًّا من أنْ يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذا كان قد علم أن الألفاظ معلقة على مَعانيها حتى يكونَ الإعرابُ هو الذي يَفتحها، وأنَّ الأغراضَ كامنةٌ فيها حتى يكونَ هو المستخرِجَ لها، وأنه المعيارُ الذي لا يتبيَّن نقصانُ كلامٍ ورجحانُه حتى يُعرضَ عليه، والمقياسُ الذي لا يُعرفُ صحيحٌ من سَقيمٍ حتى يُرجع إليه، لا يُنكِرُ ذلك إلاَّ من يُنكِر حِسَّه، وإلاَّ مَنْ غالطَ في الحقائقِ نَفْسَه، وإذا كان الأَمرُ كذلك، فليتَ شِعري ما عُذْرُ مَن تَهاونَ به وزَهِدَ فيه، ولم يَرَ أنْ يستقيه من مصبه، ويأخذه من معدنه، ورضي بالنَّقصِ والكمالُ يُعرض له، وآثرَ الغَبينةَ وهو يجد إلى الربح سبيلًا "[1].

وقال أبو القاسم الأصفهاني: "النحو نصاب العلم ونظامه، وعموده وقوامه، ووشي الكلام وحلّته، وجماله وزينته، ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين، ومَن تلاهم من التابعين، يحضُّون على تعلُّم العربية وحفظها، والرعاية لمعانيها؛ إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، فبها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه، وبها بلَّغ رسولُه -عليه السلام- وظائفَ طاعته، وشرائع أمره ونهيه "[2]"[3].

وقال الشافعي : "تعلموا النحو؛ فإنه والله يزري بالرجل أن لا يكون فصيحًا، ولقد بلغني أن رجلاً دخل على زياد ابن أبيه فقال له: أصلح الله الأمير إن أبينا هلك، وإن أخينا غصبنا على ما خلفه لنا. فقال له زياد: ما ضيعت من نفسك

---

(1) دلائل الإعجاز (1/ 28).

(2) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/ 55).

(3) تثقيف الخطيب لغويا(29-33).

أكثر مما ضاع من مالك"[1].

وقال عمرو بن العلاء: "تعلموا النحو؛ فإنه زيادة في العقل، ونموّ في المروءة، وهو من أجلّ مراتب الشرف، وما الناس الى شيء من الأدب أحوج منهم إلى النحو الذي به تقويم ألسنتهم التي يتحاورون بها الكلام، ويستخرجون الغوامض من العلوم المخبأة، ويجمعون ما تفرق منها"[2].

وقال الواحدي: "وقل من تقدم في علم من العلوم إلا بمعرفة الأدب، ومقاييس العربية، والنحو، وما حدثت البدع والأهواء المضلة إلا من الجهل بلغة العرب. **قال الشافعي**: عامة من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب"[3].

5- نسبته :

ينتسب النحو إلى علوم العربية الاثني عشر التي جمعها بعضهم بقوله:

نَحْوٌ وَصَرْفٌ عرُوضٌ بَعْدَهُ لُغَةٌ ... ثُمَّ اشْتِقَاقٌ وَقَرْضُ الشِّعْرِ إنْشَاءُ
كَذَا الْمَعَانِي بَيَانُ الْخَطِّ قَافِيةٌ ... تَارِيخُ هَذَا لِعِلْمِ الْعُرْبِ إحْصَاءُ[4]

وبينه وبين سائر العلوم الأخرى التباين.

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر (19/ 195).
(2) مجمع الآداب في معجم الألقاب (3/ 105).
(3) التفسير البسيط (1/ 408) بتصرف يسير.
(4) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (2/ 422).

6-واضعه:

المشهور أن واضعه هو: أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني (69هـ).

"**قال محمد بن إسحاق:** زعم أكثر العلماء أن النحو أُخذ عن أبي الأسود الدؤلي"[1].

وقال: "أبو العباس المبرد: أول من وضع العربية ونقط المصاحف: أبو الأسود، وقد سئل أبو الأسود عمّن نهج له الطريق، فقال: تلقيته عن علي بن أبي طالب"[2].

قال نَاصِر الدّين بن الْمُنِير في رثاء النحوي أبي الحسن علي ابن عصفور:

أَسْنَد النَّحْوَ إِلَيْنَا الدؤَلِي ... عَن أَمِير الْمُؤمنِينَ البطلِ

بَدَأَ النَّحْوَ عَلِيٌّ وَكَذَا ... قل بِحَق: ختم النَّحْوَ عَلِيّ[3]

وأما عن سبب وضعه له فهناك روايات متعددة، منها:

قال القفطي: "وقيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ -يعنون النحو- فقال: لقنت حدوده من علي بن أبى طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وكان أبو الأسود من القرّاء، قرأ على أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

---

(1) الفهرست (ص: 59).

(2) الإصابة في تمييز الصحابة (3/ 455).

(3) بغية الوعاة (2/ 210).

وقد اختلفت روايات الناس في سبب وضعه النحو؛ فمن ذلك ما تقدّم ذكره، ومنه ما روي أنه جاء إلى زياد قوم فقالوا: أصلح الله الأمير! توفّي أبانا وترك بنون. فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! ادع لي أبا الأسود؛ فقال: ضع للناس العربية.

وقيل: إنه كان استأذنه في وضع كتاب، فنهاه، فلما سمع هذا أمره بوضعه. وقيل: إن زياد ابن أبيه قال لأبي الأسود: إن بنيّ يلحنون في القرآن، فلو رسمت لهم رسمًا. فنقط المصحف. فقال: إن الظئر والحشم قد أفسدوا ألسنتهم، فلو وضعت لهم كلامًا. فوضع العربية.

وقيل: إن ابنة لأبي الأسود قالت له: يا أبت، ما أشدُّ الحر؟! -في يوم شديد الحر- فقال لها: إذا كانت الصّقعاء من فوقك، والرمضاء من تحتك. فقالت: إنما أردت أن الحرّ شديد. فقال لها: فقولي إذن: ما أشدَّ الحر! والصقعاء: الشمس.

وقيل: إنه دخل إلى منزله، فقالت له بعض بناته: ما أحسنُ السماء؟! قال: أي بنية، نجومها، فقالت: إني لم أرد أيّ شيء منها أحسن؟ وإنما تعجبت من حسنها؛ فقال: إذا فقولي: ما أحسنَ السماءَ! فحينئذ وضع كتابًا. قال أبو حرب بن أبي الأسود: أوّل باب رسم أبي من النحو: باب التعجب. وقيل: أوّل باب رسم: باب الفاعل والمفعول، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم.

قيل: وأتى أبو الأسود عبد الله بن عباس، فقال: إني أرى ألسنة العرب قد فسدت؛ فأردت أن أضع شيئًا لهم يقوّمون به ألسنتهم. قال: لعلك تريد النحو؛ أما إنه حق، واستعن بسورة يوسف"[1].

(1) إنباه الرواة على أنباه النحاة (1/ 50).

ويقال: "إن الذى رآه أبو الأسود ونكره، أنه مرّ به سعد- وكان رجلاً فارسيًّا من أهل نوبندجان- كان قدم البصرة مع جماعة من أهله، فادّعوا لقدامة بن مظعون أنهم أسلموا على يديه؛ فإنّهم بذاك من مواليه. ولما مرّ سعد بأبي الأسود- وكان يقود فرسًا له- قال له أبو الأسود: ما لك لا تركبه يا سعد؟

قال: إن فرسى ظالعًا. وأراد أن يقول: ظالعٌ. قال: فضحك به بعض من حضر، فقال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة، فلو علّمناهم الكلام! فوضع باب الفاعل والمفعول"[1].

وهناك قول آخر: أن واضعه غير أبي الأسود؛ قال ابن النديم: "وقال آخرون: رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال: الليثي. قرأت بخط أبي عبد الله بن مقلة عن ثعلب أنه قال: روى ابن لهيعة عن أبي النضر قال: كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية، وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأخبارها وأحد القراء، وكذا حدثني الشيخ أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحدثني أيضًا قال: كان نصر بن عاصم الليثي أحد القراء والفصحاء، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء والناس"[2].

7-اسمه:

علم النحو، وعلم الإعراب، ويقال له: علم العربية، من باب تسمية الجزء باسم الكل لأهميته.

---

(1) إنباه الرواة على أنباه النحاة (1/ 41).

(2) الفهرست (ص: 59).

"وقد سمي النحو بهذا الاسم؛ لأن من معاني النحو لغةً: القصدَ، فسمي النحو بذلك؛ لأن المتكلم ينحو -أي: يقصدُ- بتعلمه كلامَ العرب[1].

وقالوا كذلك: إن الكلام ينقسم قسمين: كلام ملحون، وكلام غير ملحون؛ فالملحون هو الذي لحُن به عن القصد، وكذلك معنى اللّحن، إنما هو العدول عن قصد الكلام إلى غيره، وما لم يكن ملحونًا فهو على القصد، وعلى النحو، ومن ذلك سمي النحو نحواً، والمستقيم من طريق النحو هو: ما كان على القصد سالمـًا من اللّحن.

وقيل: سمي بذلك؛ لأن أبا الأسود لما وضع قواعده الأولى قال للناس: انحوا نحوه، فسمي نحواً.

وقيل: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُويَ عنه أنه ألقى إلى أبي الأسود رقعة فيها كلام في أصول النحو فقال له:" انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع لك "ثم عرض عليه أبو الأسود ما وقع له فاستحسنه علي وقال:" ما أحسن هذا النحوَ الذي نحوتَه! فلذلك سمي نحوًا "[2]"[3].

وقيل: "إن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أشار إلى أبي الأسود الدؤلي أن يضعه، وعلمه الاسم والفعل والحرف وشيئًا من الإعراب. قال: انحُ هذا النحو يا أبا الأسود"[4].

---

(1) المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف (ص: 11).

(2) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (17/ 35).

(3) تثقيف الخطيب لغويا(25).

(4) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (1/ 265).

و"قال أبو جعفر بن رستم الطبري: إنما سمي النحو نحواً؛ لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعلي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -وقد ألقى عليه شيئًا من أصول النحو- قال أبو الأسود: واستأذنته أن أصنع نحو ما صنع، فسمي ذلك نحواً"[1].

8- **استمداده:**

استمد علم النحو من اللغة العربية، واستنبطت قواعده من كلام الله وكلام رسوله، وأقوال العرب السابقين شعرها ونثرها.

9- **حكمه:**

قال العلماء: تعلم النحو فرض كفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط الإثم عن الباقين.

وقد يتعين على من يتصدر للتفسير والحديث وبيان الشريعة للناس.

فقد "سَمِعَ أَبُو عَمْرٍو أَبَا حَنِيفَةَ يَتَكَلَّمُ فِي الْفِقْهِ وَيَلْحَنُ، فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ، وَاسْتَقْبَحَ لَحْنَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَخِطَابٌ، لَوْ سَاعَدَهُ صَوَابٌ. ثُمَّ قَالَ لِأَبِي حَنِيفَةَ: إِنَّكَ أَحْوَجُ إِلَى إِصْلَاحِ لِسَانِكَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ"[2].

وقد تحدث عن ذلك بعض العلماء:

قال ابن الأثير: "أما علم النحو فإنه في علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة

---

(1) الفهرست (ص: 59).

(2) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (2/ 55).

أبجدَ في تعليم الخط، وهو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي، ليأمن معرّة اللحن"[1].

وقال ابن الصلاح: "فحق على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص به من شين اللحن والتحريف ومعرتهما "[2].

وقال ابن حزم: "فمن لم يعلم النحو واللغة، فلن يعلم اللسان الذي به بيّن الله لنا ديننا وخاطبنا به ومن لم يعلم ذلك فلن يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم النحو واللغة، ولابد منه على الكفاية كما قدمنا، ولو سقط علم النحو واللغة لسقط فهم القرآن وفهم حديث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولو سقطا لسقط الإسلام. وأما من وسم اسمه باسم العلم والفقه وهو جاهل للنحو واللغة فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه؛ لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به، وإذا لم يعلمه فحرام عليه أن يفتي بما لا يعلم "[3].

وقال السيوطي في شرح ألفيته:" وقد اتفق العلماء على أن النحو يُحتاج إليه في كل فن من فنون العلم لاسيما التفسيرِ والحديث ".

وقال خالدٌ الأزهري في أول إعراب ألفية ابن مالك:" إن معرفة الإعراب من

---

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (1/ 41).

(2) مقدمة ابن الصلاح (ص: 120).

(3) رسائل ابن حزم (3/ 162).

الواجبات التي لابد لكل طالب علم منها، ومن المهمات التي لا يستغني الفقيه عنها"[1].

وقال ابن تيمية: "اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن زيد قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن؛ فإنه عربي".

وفي حديث آخر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "تعلموا العربية؛ فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم" وهذا الذي أمر به عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله"[2].

ويقول الشاطبي عن علوم العربية ومنها علم النحو: "الشَّرِيعَةَ عَرَبِيَّةٌ، وَإِذَا كَانَتْ عَرَبِيَّةً؛ فَلَا يَفْهَمُهَا حَقَّ الْفَهْمِ إِلَّا مَنْ فَهِمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ حَقَّ الْفَهْمِ؛ لِأَنَّهُمَا سِيَّانِ فِي النَّمَطِ، مَا عَدَا وُجُوهَ الْإِعْجَازِ، فَإِذَا فَرَضْنَا مُبْتَدِئًا فِي فَهْمِ الْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ

---

(1) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك" مقدمة المحقق" (1/ 137).

(2) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (1/ 527).

مُبْتَدِئٌ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ، أَوْ مُتَوَسِّطًا؛ فَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْمُتَوَسِّطُ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ النِّهَايَةِ، فَإِنِ انْتَهَى إِلَى دَرَجَةِ الْغَايَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ كَانَ كَذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ؛ فَكَانَ فَهْمُهُ فِيهَا حُجَّةً كَمَا كَانَ فَهْمُ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْفُصَحَاءِ الَّذِينَ فَهِمُوا الْقُرْآنَ حُجَّةً، فَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ شَأْوَهُمْ؛ فَقَدْ نَقَصَهُ مِنْ فَهْمِ الشَّرِيعَةِ بِمِقْدَارِ التَّقْصِيرِ عَنْهُمْ، وَكُلُّ مَنْ قَصُرَ فَهْمُهُ لَمْ يُعَدَّ حُجَّةً، وَلَا كَانَ قَوْلُهُ فِيهَا مَقْبُولًا"[1].

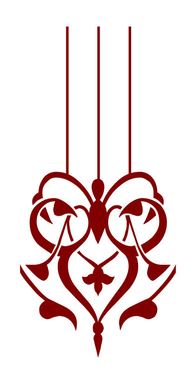
وقال أيضًا عن القرآن: إنه: "عَرَبِيٌّ وَبِلِسَانِ الْعَرَبِ، لَا أَنَّهُ أَعْجَمِيٌّ وَلَا بِلِسَانِ الْعَجَمِ، فَمَنْ أَرَادَ تَفَهُّمَهُ، فَمِنْ جِهَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ يُفْهَمُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَطَلُّبِ فَهْمِهِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْجِهَةِ"[2].

10 -مسائله :

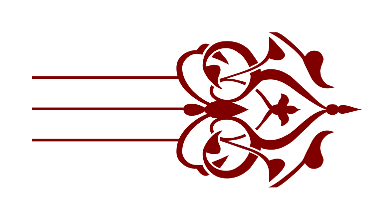
مسائل النحو: أبوابه التي يتضمنها من مباحث الإعراب والبناء والجوازم والنواصب وغير ذلك.

(1) الموافقات (5/ 53).

(2) الموافقات (2/ 102).



ثانيًا: نشأة علم النحو:



كان العرب عند بعثة نبينا محمد ﷺ قد وصلوا إلى ذِروة الرقي اللغوي، وسماء السمو البياني، وغدوا يَرضعون العربية النقية عن بيئتهم السليمة كما يرضعون اللبن عن أمهاتهم، فنزل القرآن بلغتهم التي بها ينطقون، فعرفوه ووعوه، وأدركوا مراميه بعد أن فهموا معانيه، فلم يشتبه عليهم الفاعل بالمفعول، ولا الفعل بالاسم، ولا الأمر بالنهي، وغيرُ ذلك من القوالب المعينة على فهم المعاني.

غير أن رسالة هذا الدين لما كانت عالمية فقد خالط العربَ الأقحاح غيرُهم من الأعاجم فبدأ انحراف اللسان في تلك البيئة الفصيحة يطل على ألسنة أولئك المسلمين الجدد، وهم معذورون بعجمتهم.

ففي عهد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بلال الذي كان يرتضخ لُكْنة حبشية، وصهيب الذي كان يرتضخ لكنة رومية، وسلمان الذي كان يرتضخ لكنة فارسية. أي: أن كلاً منهم كان ينزع إلى لغة قومه، ولا تستمر ألسنتهم على العربية استمرارا.

وفي عهد الصحابة خرج الإسلام عن الجزيرة العربية إلى بلاد العجم من الفرس والروم، فبدأت السجية العربية تخف، وملكتها تتغير، **وقد كان لذلك التغير أسباب:**

أولاها: دخول بعض العجم الإسلامَ واختلاطُهم بالمجتمعات العربية

الصِّرفة، مما بث فيها القول الملحون الذي غزا السليقة العربية في عقر دارها، "والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع" كما قال ابن خلدون[1].

بيد أن بعض أولئك الأعاجم -عبر التاريخ- تعلّم العربية وبرع فيها حتى صار يعلِّم بعض العرب.

ثانيها: ذهاب المسلمين الفاتحين إلى بلاد العجم واستقرار بعضهم فيها، مما جعل بعض أولئك العجم يتعلمون العربية بالسماع، ولكنها عربية ملحونة، فكان أولئك الفاتحون يسمعون العربية التي ينتشر فيها اللحن.

ثالثها: أن بعض العرب الفصحاء صارت لهم زوجات وجوارٍ من نساء العجم وولدن لهم، فجاء الجيل الجديد هذا فتربى على أيدي تلك الأمهات على عربية ملحونة.

ومن هنا بدأ اللحن يشيع في المجتمعات الإسلامية.

قال الإشبيلي: "ولم تزل العرب تنطق على سجيَّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجًا، وأقبلوا إليه أرسالًا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة والعربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حَلْيها، والموضِّح لمعانيها"[2].

(1) تاريخ ابن خلدون (1/ 754).

(2) طبقات النحويين واللغويين (ص: 11).

إن هذا الغزو الذي اجتاح السليقة العربية أقلق ذوي الغيرة عليها، بل استثار الخوفَ على دين الله القائمِ على الكتاب والسنة، حيث خافوا بذهاب الملكة أن يذهب فهمُ القرآن والسنة، ففكروا مليًا في وضع قانون يضبط اللساني العربي، ويحافظ على سلامة الفهم للغة القرآن، فاجتمع الرأي على تأسيس علم سمي فيما بعد بالنحو.

قال ابن خلدون: "وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسًا، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردةً شِبهَ الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل" أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع"، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابًا، وتسميةِ الموجِب لذلك التغيرِ عاملاً، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، اصطلحوا على تسميتها بعلم النحو"[1].

ثم إن النحو العربي قد مر في تقعيده والتأليف فيه بمراحل أربع -كما قال بعض الباحثين المعاصرين[2]-:

المرحلة الأولى: الوضع والتكوين، وتبدأ هذه المرحلة من عصر واضع النحو

---

(1) تاريخ ابن خلدون (1/ 754).

(2) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: 32) وما بعدها.

أبي الأسود إلى أول عصر الخليل بن أحمد.

ويمكن تقسيم علماء هذه المرحلة إلى طبقتين:

الطبقة الأولى: وهي التي أخذت عن أبي الأسود واستمرت في تثمير ما تلقته عنه، ووفقت إلى استنباط كثير من أحكامه، وقامت بنشره بين الناس، وكان من أفذاذ هذه الطبقة: عنبسةُ بن معدان الفيل، ونصر بن عاصم الليثي، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر.

وكان جل مجهود هذه الطبقة السماعَ والحفظ والروايةَ لذلك فحسب.

الطبقة الثانية: كانت أكثر عدداً من سابقتها، فقد كانت أوفر منها حظًا في هذا الشأن؛ إذ وطأت لها سبيله فازدادت المباحث لديها، وأضافت كثيراً من القواعد، ونشأت حركةُ النقاش بينها، فجدت في تتبع النصوص واستخراج الضوابط ما هيأ لها وقتُها، واستطاعت التصنيف فدونت فيه بعض الكتب المفيدة.

ومن أعلام هذه الطبقة: عبد الله بن إسحاق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء صاحب التصانيف الكثيرة، وعيسى بن عمر الثقفي صاحب الكتابين في النحو: "الجامع، والإكمال "وقد نوّه عن فضلهما الخليل بن أحمد بقوله:

ذهب النحو جميعًا كلُّه   غيرَ ما أحدث عيسى بن عمرْ
ذاك إكمال وهذا جامعٌ   فهُما للناس شمس وقمرْ

غير أن الكتابين لم يصلا إلينا.

المرحلة الثانية: النشوء والنمو، وتبدأ هذه المرحلة من عهد الخليل بن أحمد البصري، وأبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي إلى أول عصر المازني البصري وابن السكيت الكوفي.

وكانت هذه المرحلة مرحلة جمع وتقعيد وتأليف ومنافسة بين البصريين والكوفيين.

ومن أعلام هذه المرحلة: الخليل وتلميذه النجيب سيبويه الذي ألف مصنفه الخالد" الكتاب".

ومن أعلامها أيضًا: أبو جعفر الرؤاسي وابن السكيت والكسائي والفراء.

المرحلة الثالثة: النضوج والكمال، وتمتد هذه المرحلة من عهد أبي عثمان المازني البصري إمام الطبقة السادسة ويعقوب ابن السكيت الكوفي إمام الرابعة، إلى آخر عصر المبرد البصري شيخ السابعة، وثعلب الكوفي شيخ الخامسة.

وفي هذه المرحلة كان هناك تفصيل لما أجمل، وتوضيح لما أشكل، وفصل النحو عن الصرف، واتساع في المناظرات النحوية فتمت أصول النحو وانتهى الاجتهاد فيه بين البصريين والكوفيين على يدي الإمامين: المبرّد خاتَم البصريين، وثعلب خاتم الكوفيين.

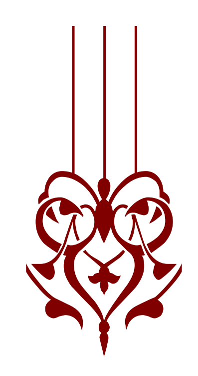
ومن كتب هذه المرحلة: المقتضب للمبرد، والفصيح وإعراب القرآن لثعلب.

المرحلة الرابعة: الترجيح والبسط، وفي هذه المرحلة برز علماء نظروا في قواعد المذهبين البصري والكوفي فرجحوا بينهما فاصطفوا مسائل ذات بال مزيجًا من المذهبين، على أنهم قد أسلمهم هذا الاستقراء البالغ خلال تلك الأيام إلى العثور على قواعد أخرى من تلقاء أنفسهم لا تمت بصلة إلى المذهبين تولدت لهم من اجتهادهم قياسًا وسماعًا. فولد من ذلك المذهبُ النحوي البغدادي.

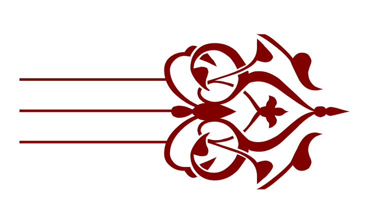
ثم انتشر التأليف في النحو منذ ذلك الوقت إلى عصرنا هذا[1].

---

(1) ينظر: تثقيف الخطيب لغويا(23-28).



ثالثًا: اللحن معناه، وابتداؤه، والتحذير منه:



من عدل عن طريق النحو الصحيح فهو لاحن، فإن كثر ذلك العدول منه فهو رجل لحّانة، وذلك الانحراف منه لحن، فاللحن في علم النحو إذن هو: الخطأ في تحريك حروف آخر الكلمة من ضم وكسر وفتح وسكون.

ولم يكن هذا الكائن أيام سمو العربية إلا منعدمًا، ثم ولد بعد ذلك فصار غريبًا منبوذاً واللغة مازالت في عزها، ثم لما كثر نسله لم يستغرب حينئذ، بل عندما انقرض جيل العربية سليقةً، وعاش جيل اللحن، وطال زمنه؛ أضحى في المجتمعات العربية هو المعرفة، والحديثُ بالعربية من غير لحن غدا هو النكرة!

لقد نزل القرآن الكريم والناس بعيدون عن اللحن، فلما مات رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتبعه بقليل خليفته الراشد أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وجاءت إمارة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ واتسعت رقعة الدولة الإسلامية؛ طفق الناس يسمعون كلمة هنا وكلمة هناك جرى فيها اللحن، **بل لم تسلم من ذلك قراءة القرآن من إحداث اللحانين:**

فقد روي أن أعرابيًا سمع قارئًا يقرأ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة:3]. بجرّ (رسولِه) متوهمًا عطفه على المشركين، فقال: أوَ يبرأ الله من رسوله؟!.

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فأمر ألا يُقرِئ القرآن إلا من يحسن العربية[1].

(1) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (1/ 206).

وروي أيضًا أن كاتبًا لأبي موسى الأشعري أرسل إلى عمر كتابًا وفيه: من أبو موسى...! فلما وصل الكتاب عمر كتب إليه عمر: أن قنّع كاتبك سوطًا؛ معاقبة على لحنه[1].

ولما جاءت خلافة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان اللحن قد خرج عن السيطرة سمع أبو الأسودِ الدؤلي ابنته ليلة تقول له: يا أبتِ، ما أحسنُ السماءِ، قال نجومُها، فقالت: إني لم أسأل عن أحسنها إنما تعجبت من حسنها، فقال قولي: ما أحسنَ السماءَ[2].
وفي رواية أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له: يا أبت، ما أشدُّ الحرِّ؟ فقال: شهر ناجر يعني: شهر صفر؛ فقالت: يا أبت، إنما أخبرتك ولم أسألك، فقال قولي: ما أشدَّ الحرَّ![3].

ثم لم يزل الأمر في تطور خطير حيث وصل إلى بعض الأمراء في بني أمية ولم يعد مقتصراً على المستعربين أو سُوقة الناس، وكان ممن أُثر عنه لحن كثير: الوليد بن عبد الملك؛ فقد دخل على الوليد بن عبد الملك رجل من أشراف قريش فقال له الوليد: من خَتنَك؟ قال له: فلان اليهودي، فقال: ما تقول؟ ويحك! قال: لعلك إنما تسألني عن ختني يا أمير المؤمنين، هو فلان بن فلانَ[4].

والختن: أقارب زوجة الرجل وزوج ابنته. ولما لحن الوليد فهم الرجل أول

(1) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (1/ 208).
(2) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: 24).
(3) سبب وضع علم العربية (ص: 42).
(4) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: 17).

مرة أنه يسأله عن الذي قام بختنه.

بل كان الوليد هذا لا يستطيع تجنب اللحن حتى على المنبر، فقد ذكره أبو الزناد يومًا فقال: "كان لحانًا، كأني أسمعه على منبر النبي ﷺ يقول: يا أهلُ المدينة!"[1].

بل كان لا يستطيع تجنبه حتى في قراءة بعض آيات القرآن: فقد قرأ يومًا على المنبر: "يا ليتها كانت القاضيةُ" بضم التاء المربوطة، فقال عمر بن عبد العزيز -وكان تحت المنبر-: يا ليتها كانت عليك وأراحتنا منك[2].

ولما كان الأعراب يسمعون ذلك اللحن عندما يزورون الحواضر يؤلمهم أيما إيلام، وربما يتندرون باللحانين:

قال رجل لأعرابيّ: كيف أهلِك؟ -بكسر اللام- وهو يريد السؤال عن أهله، فتوهّم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه، فقال: صلبًا إن شاء الله[3].

وسمع أعرابي مؤذنًا يقول: أشهد أن محمداً رسولَ الله بنصب رسول، فقال: ويحك! يفعل ماذا؟[4].

والسبب أن الجملة بنصب رسول ناقصة تحتاج إلى خبر.

---

(1) تاريخ الإسلام (6/ 499).

(2) الكامل في التاريخ (4/ 71).

(3) من تاريخ النحو العربي (ص: 15).

(4) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: 17).

ولا ريب أن العرب الخلّص عندما بدأ اللحن في الظهور كانوا يبغضونه وينزلون من قدر صاحبه؛ قال عمر بن عبد العزيز: "إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأردُّه عنها، وكأني أقضم حب الرمان الحامض؛ لبغضي استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها؛ التذاذاً لما أسمع من كلامه"[1].

وكان يقول: "أكاد أَضْرَسُ إذا سمعت اللحن"[2].

وكان عمر بن عبد العزيز أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته، وربما أدَّب عليه، وحين يسمع اللحن يرد على صاحبه؛ قال بشر بن مروان- وعنده عمر بن عبد العزيز- لغلام له: ادع لي صالح. فقال الغلام: يا صالحا. فقال له بشر: ألق منها ألف. فقال له عمر: وأنت فزد في الفك ألفا[3].

إن اللحن وإن كان قبيحًا في عموم الكلام إلا أنه في قراءة القرآن والحديث النبوي وتعليم الدين أشد قبحًا.

فما أسوأ ذلك المتكلم الذي يقف على أسماع الناس-سواء كان خطيبًا أم محاضراً أم إعلاميًا- ثم يتلو آيات من القرآن على غير ما أنزلها الله، فيرفع من كلماتها منصوبها، وينصب مرفوعها، ويجر ما وجب رفعه أو نصبه، ويحرك ما كان

---

(1) الأضداد لابن الأنباري (ص: 244).

(2) الأضداد لابن الأنباري (ص: 245).

(3) البيان والتبيين (1/ 14).

ساكنًا ويسكن ما كان متحركًا.

وإذا كان القبح للحن في الخطاب فإنه في الكتابات أشد قبحًا؛ لأنه يدل على جهل كبير، فالإنسان في حال الكتابة يتروى ويراجع ما كتب بخلاف المتكلم على البديهة.

إننا عندما نطالب اليوم بتجنب اللحن فلا نريد أن يعرب المرء في جميع كلامه، ولكننا نريد البعد عن اللحن في الخطاب والكتاب، أما الكلام الذي يدور بين المرء وغيره في بيته أو عمله أو سوقه أو مزحه أو غير ذلك فللألسنة أن تتحدث على سجيتها ولهجتها كيفما شاءت.

قال القَلْقَشَنْدي: "والذي يقتضيه حال الزمان، والجريُ على منهاج الناس أن يحافظ على الإعراب في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وفي الشعر والكلام المسجوع، وما يدوّن من الكلام، ويكتب من المراسلات ونحوها، ويغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به في مخاطباتهم؛ وعلى ذلك جرت سنّة الناس في الكلام مذ فسدت الألسنة، وتغيرت اللغة حتّى حكي أن الفرّاء -مع جلالة قدره وعلوّ رتبته في النحو- دخل يومًا على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه؛ فقال جعفر بن يحيى: يا أمير المؤمنين، إنه قد لحن- فقال الرشيد للفرّاء أتلحن يا يحيى؟ فقال يا أمير المؤمنين! إن طباع أهل البدو الإعرابُ وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا حفظتُ أو كتبت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت- فاستحسن الرشيد كلامه. وقد قال الجاحظ في كتابه

«البيان والتبيين»: «ومتى سمعتَ حفظك الله نادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها؛ فإنك إن غيرتها بأن لحنت في إعرابها أو أخرجتها مخرج كلام المولّدين والبلديّين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وإن سمعت نادرة من نوادر العوامّ وملحة من ملحهم فإيّاك أن تستعمل لها الإعراب، أو تتخير لها لفظًا حسنًا؛ فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها التي وضعت لها، ويذهب استطابتهم إياها[1][2].

وقال ابن عبد ربه: "وذلك أنه من حكى نادرة مضحكة، وأراد أن يوفي حروفها حظّها من الإعراب، طمس حسنها وأخرجها عن مقدارها"[3].

وقد حذر الغيارى على العربية والإسلام من اللحن أشد التحذير، وبوبوا في مصنفاتهم أبوابًا خاصة بهذه المسألة:

فهذا الخطيب البغدادي يبوب في كتابه" الجامع لأخلاق الراوي" باب: "مَنْ عَابَ اللَّحْنَ وَشَدَّدَ فِيهِ" وساق نقولاً في ذلك، نختار منها الآتي:

كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ: "اللَّحْنُ فِي الرَّجُلِ السَّرِيِّ كَالْجُدَرِيِّ فِي الْوَجْهِ".

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الطَّلْحِيِّ: "أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَضْرِبُ الْحَسَنَ

(1) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (1/ 211).

(2) تثقيف الخطيب لغويا (34-38).

(3) العقد الفريد (2/ 309).

وَالْحُسَيْنَ عَلَى اللَّحْنِ".

وعن عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ: "أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَابْنَ عَبَّاسٍ كَانَا يَضْرِبَانِ أَوْلَادَهُمَا عَلَى اللَّحْنِ".

وقال سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ: "كُنْتُ عِنْدَ أَبِي شَيْبَةَ وَعِنْدَهُ رَقَبَةُ وَكَانَ يَلْحَنُ لَحْنًا شَدِيدًا، فَقَالَ: رَقَبَةُ: "لَوْ كَانَ لَحْنُكَ مِنَ الذُّنُوبِ كَانَ مِنَ الْعَظَائِمِ"[1].

وابن عبد ربه في " عقده" بوب بابًا: "في الإعراب واللحن" وساق أقوالاً وحكايات نختار منها الآتي:

مر الشعبي بقوم من الموالي يتذاكرون النحو، فقال لهم: لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده.

قال أبو عبيدة: ليته سمع لحن خالد بن صفوان، والفتح بن خاقان، والوليد بن عبد الملك.

وقيل لعبد الملك: لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيّبني ارتقاء المنابر وتوقّع اللحن.

وقال الحجاج لابن يعمر: أتسمعني ألحن؟ قال: ألا ربما سبقك لسانك ببعضه في آن وآن. قال: فإذا كان ذلك فعرّفني.

وقال عبد الملك بن مروان: الإعراب جمال للوضيع، واللحن هجنة على

---

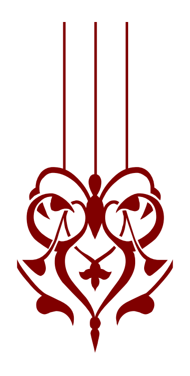
(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 28-29).

الشريف وقال: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض.

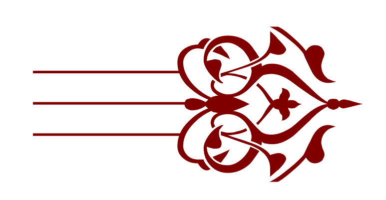
وقال رجل للحسن: إن لنا إمامًا يلحن. قال: أميطوه.

وقال رجل للحسن: يا أبو سعيد، فقال: أحسب أن الدوانيق شغلتك عن أن تقول: يا أبا سعيد[1].

(1) ينظر: العقد الفريد (2/ 307-309).



رابعًا: متون في النحو:



من متون النحو:

1-متن الآجرومية، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بـ" ابن آجروم " أي: الفقير الصوفي المتوفى سنة (723هـ)، وهو متن مشهور مبارك.

شرح هذا المتن جماعة من العلماء منهم:

أ-عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، المتوفى سنة (801هـ).

ب- التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية، لمحمد محيى الدين عبدالحميد، المتوفى سنة: 1393هـ) وهو من أيسر الشروح وأشهر وأسهلها، فيُبدأ به قبل غيره.

وفي إعراب الآجرومية ألفت كتب منها:

أ-الخريدة البهية في إعراب ألفاظ الآجرومية، لعبد الله بن عثمان بن أحمد العجيمي المتوفى بعد سنة (1307هـ).

ب-الباكورة الجنية في قطاف إعراب الآجرومية، لمحمد أمين عبد الله الأثيوبي الهرري.

وفي اختصارها: تهذيب الآجرومية في علم قواعد العربية، للدكتور محمد عبد

المنعم خفاجي.

ونظم الآجرومية ناظمون منهم:

شرف الدين يحيى بن موسى بن رمضان العمريطي الشافعي المتوفى سنة (890هـ).

وسمى نظمه:" الدرة البهية في نظم الآجرومية".

وشرح جماعة من العلماء هذا النظم منهم: إبراهيم بن محمد البيجوري المتوفى سنة (1277هـ)، في كتابه: "فتح رب البرية على الدرة البهية نظم الآجرومية ".

2- ملحة الإعراب وسِنخة[1] الآداب، لجمال الدين أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري صاحب المقامات المشهورة، توفي سنة (516هـ)، وهذا المتن منظوم في(378).

وللملحة شروح منها: شرح الناظم نفسه.

3-قطر الندى وبل الصدى، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري شيخ النحويين في زمانه المتوفى سنة (761هـ)وهو متن منثور مشهور.

وله شروح كثيرة، منها: شرح الماتن نفسه.

---

(1) **السِّنْخ**، بِالْكَسْرِ: الأَصْلُ من كلِّ شيْءٍ. تاج العروس (7/ 274)

وعلى هذا الشرح عدة حواش منها:

حاشية السجاعي المتوفى سنة (1197هـ).

ولشواهد القطر شروح منها:

شرح شواهد القطر، لمحمد بن أحمد الشربيني الخطيب المتوفى سنة (977هـ).

وفي إعراب شواهده: إعراب الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في كتاب شرح قطر الندى للمؤلف ابن هشام، للدكتور: رياض بن حسن الخوام.

ونظم متن القطر: عبد العزيز القرغلي.

4-ألفية ابن مالك، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي. إمام النحاة وحافظ اللغة في وقته المتوفى سنة (672هـ).

وهو متن مشهور جمع مؤلفه فيه خلاصة علمي النحو والصرف.

وللألفية شروح كثيرة منها:

شرح ابن الناظم: أبي عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك المتوفى سنة (686هـ).

وأشهر شروحه: شرح ابن عقيل للشيخ: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري المتوفى سنة (769هـ).

وقد وضعت عليه حواش منها:

حاشية السجاعي الشافعي الأزهري المتوفى سنة (1179هـ)، واسمها " فتح الجليل على شرح ابن عقيل ".

وفي إعراب الألفية: تمرين الطلاب في صناعة الإعراب، لزين الدين خالد بن عبد الله الأزهري المتوفى سنة (905هـ).

5-متن الكافية في النحو[1]، لجمال الدين أبي عمرو بن أبي بكر بن يونس الدوني المتوفى سنة (646هـ).

كان أبوه حاجباً للأمير موسك الصلاحي، فقيل له: "ابن الحاجب " بسبب ذلك.

وهو متن مشهور، وشرح بأكثر من (150) شرحاً.

قال فيه بعضهم:

ما أبصرت عيني بمثل الكافيةْ	مجموعة تروي المآرب شافيهْ
يا طالباً للنحو الزم حفظها	واعلم يقيناً أنها لك كافيهْ

ولها شروح منها: شرح المؤلف نفسه.

(1) **اسمها الكامل** (كافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب)، وهي مقدمة شاملة في علم النحو، تكفي الدارس ليحيط علمًا بالموضوعات الأصول في علم النحو، بعيدًا عن كثير من التفاصيل والفروع والخلافات، وهو ما قصد إليه ابن الحاجب. من مقدمة المحقق للكافية في علم النحو (ص: 4).

وهو أحسن شروحها.

وفي إعرابها: الفوائد الشافية على إعراب الكافية، لحسين بن أحمد الشهير بزيني زاده المتوفى سنة (1168 هـ).

ونظمها المؤلف نفسه في أرجوزة سماها " الوافية " وشرحها، وطبع الشرح باسم: "شرح الوافية نظم الكافية ".

6- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري الشافعي المتوفى سنة (761هـ) ، وهو من أشهر كتبه.

ومما قيل في مدح الكتاب: ما قاله البدر الدماميني:

ألا إنما مغني اللبيب مصنّفٌ ... جليل به النحويُّ يحوي أمانيَهْ

وما هو إلا جنة قد تزخرفتْ ... أما تنظروا الأبواب فيه ثمانيهْ

شرحه جماعة من العلماء منهم:

بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني المتوفى سنة (827هـ).

وعلى الشرح المذكور حاشية لتقي الدين أحمد بن محمد الشمني المتوفى سنة 872هـ ، اسمها: "المنصف من الكلام على مغني ابن هشام".

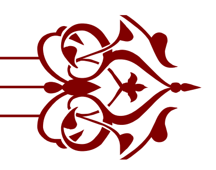
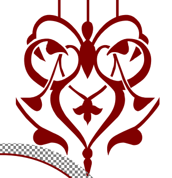
وشرح شواهده جماعة من العلماء منهم:

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (911هـ) واسم شرحه " فتح القريب شرح شواهد مغني اللبيب ".

واختصره: شمس الدين محمد بن محمد العيزري المتوفى سنة (808هـ) في "مدني الأريب من حاصل مغني اللبيب".

ونظمه السلطان عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد بن الحسن العلوي أبي المواهب سلطان المغرب الأقصى المتوفى سنة (1356هـ) في: "السبك العجيب نظم مغني اللبيب"[1].

(1) بتصرف من: الدليل إلى المتون العلمية (ص: 487- 546).

مقدمة في علم الصرف

سنتحدث عن هذا العلم في الآتي:

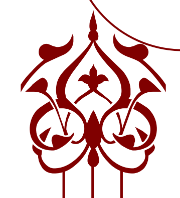
أولاً: المبادئ العشرة.

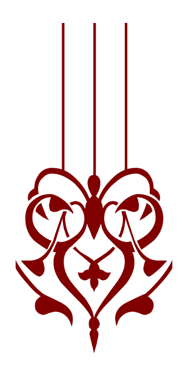
ثانيًا: هل الصرف والتصريف مترادفان أو أن بينهما فرقا؟

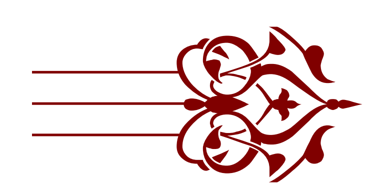
ثالثًا: بين النحو والصرف: اتحادًا وانفصالًا وصفًا وجمعًا وتقديمًا وتأخيرا.

رابعًا: نشأة علم الصرف.

خامسًا: بعض متون علم الصرف وشروحها وكتب أخرى فيه.





أولاً: المبادئ العشرة:

1 - حده:

لغة: يقال: صرف الشَّيْء صرفًا: رده عَن وَجهه، وصَرَفَه عَن وَجْهِهِ يَصْرِفُه صَرْفًا: رَدَّه فانْصَرَفَ

وانْصَرف عَنهُ: تحول عَنهُ وَتَركه وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[التوبة:127].

وتدور مادة هذه الكلمة على التحول والتغير والانتقال من حال إلى حال، ومن ذلك: ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[هود:8]. **وحديث:** (لا يُقبل منه صرف ولا عدل)، **وقولهم:** صرْف الدهر: حَدَثانه ونوائبه. **والصَّرْفان:** الليل والنهار. **والصَّريف:** اللبن ينصرف به عن الضرع حارًا إذا حلب، **والصيرف:** المحتال المتصرف في الأمور، وصَرَفَ الله عنك الأذى، وصَرَّفْتُ الرجل في أمري تصْريفًا، فتَصرَّفَ. واصْطَرَفَ في طلب الكسب، واسْتَصْرَفْتُ الله المكاره[1].

اصطلاحًا: له تعريفات متعددة، فمن ذلك قول بعضهم: الصرف في الاصطلاح له جهتان: فيعرف من جهة كونه علميًا، ويعرف من جهة كونه عمليًا.

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (4/ 1386)، المعجم الوسيط (1/ 513)، تاج العروس (24/ 14)، الترتيب الصرفي في المؤلفات النحوية والصرفية، إلى أواخر القرن العاشر الهجري، د. مهدي بن علي بن مهدي آل ملحان القرني. بواسطة مجلة جامعة أم القرى 19 - 24 (6/ 458).

أما الجهة العلمية -أي: بالنظر إلى كونه علمًا- فعرفه ابن الحاجب بقوله: "علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب"[1].

وقد ناقش (الرضي) شارح شافية ابن الحاجب هذا التعريف مناقشة تكشف عن قصور التعريف عن الوفاء بالمفهوم الذي يستقر في أذهان المشتغلين بالعلم، فالتصريف عند من سبقوا ابن الحاجب هو التغيير نفسه أي: ممارسة اللغة بهدي من القوانين التي تحكم التغير الصرفي، وهذا ما يمكن فهمه من قول ابن جني: "معنى قولنا: التصريف هو: أن تأتي إلى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصرف فيها والتصرف لها.

والحق أن علم التصريف ليس إنتاج الكلم بمعنى الإتيان إلى الحروف الأصول والتصرف فيها على نحو ما ذكر ابن جني؛ بل هو معرفة القوانين التي تمكن من إنتاج الكلم والقوانين المفسرة للتغير فيها. فهنا نوعان من القوانين: أحدهما: قواعد توليد الكلم، أما الآخر فالقواعد التفسيرية لتغير الكلم. **على أنه يستفاد من جملة أقوالهم أن الدرس الصرفي يعالج الكلمة من جوانب متعددة، هي:**

1 - وسائل توليد الألفاظ وتكاثرها، ويعرف هذا بتصريف الأفعال واشتقاق الأسماء.

---

(1) الشافية في علم التصريف والوافية نظم الشافية (1/ 6)، أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 (119/ 152).

2 – التغيرات الصوتية الناتجة عن تجاور أصوات الكلمة الواحدة. ويعرف بالإعلال والإبدال.

3 – تغيرات صرفية نتيجة الوفاء بحاجات تصريفية مثل: العدد والجنس، والتصغير والنسب، أو حاجة تركيبية مثل الإسناد.

أما من الجهة العملية –أي: من حيث كونه عمليًا تطبيقيًا– فهو:

تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها. مثل: تغيير الضرب ونقله إلى ضرب يضرب ضرب مضروب مضرب.

فالدلالة على المضي لا تحصل إلا بضرب، والدلالة على الحال لا تحصل إلا بـ يضرب... وهكذا[1].

وقال بعضهم: والصرف في الاصطلاح يطلق على ثلاثة معان:

1. تحويل اللفظ إلى أبنية مختلفة لغرض من الأغراض المعنوية؛ كالتصغير والتكسير واسم الفاعل واسم المفعول ونحوها، تقول في تصغير جَوْهَر: جُوَيْهِر وفي تصغير كِتَاب وحِجَاب: كُتَيِّب وحُجَيِّب، وهلمَّ جراً، كما تقول في اسم الفاعل من ضَرْب: ضَارِب واسم المفعول: مَضْرُوب. وهكذا من: شُرْب: شَارِب ومَشْرُوب، ومن قَتْل: قَاتَل ومَقْتُول، وعلى ذلك فقس.

2. تغيير الكلمة عن أصل وضعها لغرض غير اختلاف المعاني؛ كالإلحاق

---

(1) أرشيف ملتقى أهل الحديث – 3 (119/ 152).

والتخلص من التقاء الساكنين، ويسمى هذا التغير بالإعلال نحو: جَاه لفظ مقلوب أصله وَجْه على وزن فَعْل فيكون وزن جَاه المقلوبة هو: عَفْل، ومثاله في الإدغام نحو: لم يَمُدَّ أصله لم يَمْدُدْ ونحو ذلك.

وينحصر هذا التغير في: الحذف والزيادة والإبدال والقلب والنقل والإدغام.

3. معرفة أبنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال ونحو ذلك، ومثاله: فَاهِم ومَضْرُوب فهما **اسمان مزيدان: الأول** أصله فَهْمٌ والزيادة فيه: حرف الألف. **وأما الثاني** فأصله ضَرْبٌ والزيادة فيه: حرفان هما الميم والواو.

وهذه الحروف زائدة لأنها من أحرف الزيادة المجموعة في قولهم: "سألتمونيها".

ومثال الصحة: ضَرَبَ وضَرْب وشَرِبَ وشُرْب ونحوهما من الأسماء والأفعال الخالية من أحرف الزيادة[1].

2-موضوعه :

الألفاظ العربية الفصحى، وليس هو في كل الألفاظ، بل في الأسماء المتمكنة(المعربة) والأفعال المتصرفة، فلا يدخل الحروفَ وما شابهها من الأسماء المبنية والأفعال الجامدة، كما قال ابن مالك:

حَرْفٌ وَشِبْهُهُ مِنَ الصَّرْفِ بَرِيْ وَمَا سِوَاهُمَا بِتَصْرِيفٍ حَرِي

(1) أرشيف منتدى الألوكة .

والخلاصة:

أ-ليس كل الكلمات يتعلق بها علم الصرف. بل في الأسماء والأفعال فقط.

ب-ليس كل اسم يتعلق به علم الصرف. بل الأسماء المعربة دون المبنية.

ج-ليس كل فعل يتعلق به علم الصرف. بل في الأفعال المتصرفة فحسب.

وقال التهانوي: "موضوع علم الصّرف هو: تلك الأصول المتعدّدة التي بحثوا فيها في هذا العلم، وأثبتوا له أحوالاً. والمراد بالأصول هي: تلك المسائل الكلّية التي تتفرّع عنها مسائل جزئية"[1].

3-**ثمرته:**

1-صون اللسان عن الخطأ في المفردات العربية، مع مراعاة نظام الكتابة.

2-فهم الكتاب الكريم والسنة المطهرة فهما صحيحًا سليمًا، والترجيح بين أقوال الأئمة.

فهناك آيات يرجع الخلاف فيها إلى التصريف.

3 ـ تلوين الخطاب وتنويعه والتعبير عن المعاني الكامنة في النفس بالألفاظ المناسبة الصحيحة، فالتعبير عن الزمان والمكان والآلة-مثلاً- له صيغ يعبر بها، لا يصل المعنى المراد إلا عند استخدام هذه الصيغ.

(1) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 22).

4 ـ أن علم البيان مما لا ينكر فضله أهل العلم، وله ثمرة كبرى في فهم الكتاب والسنة، وإذا كان ذلك كذلك فلا بد من علم الصرف؛ لأنه لا يوصل للبيان إلا بعد العلم بالصرف.

قال الزركشي في البرهان: "وفائدة التصريف: حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛ لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوراضها، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر.

قال ابن فارس: من فاته علمه فاته المعظم؛ لأنا نقول: (وجد) كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت فقلنا في المال: وُجْدًا ، وفي الضالة وِجْدَانًا ، وفي الغضب مَوْجِدة ، وفي الحزن وَجْدًا. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:15]. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:9]. فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل.

ويكون ذلك في الأسماء والأفعال فيقولون للطريق في الرمل: خِبَّةٌ، وللأرض المخصبة والمجدبة خُبَّةٌ وغير ذلك.

وقد ذكر الأزهري أن مادة دكر بالدال المهملة مهملة غير مستعملة، فكتب التاج الكندي على الطرة ما ذكر أنه مهمل مستعمل قال الله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:45] ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر:15].

وهذا الذي قاله سهو أوجبه الغفلة عن قاعدة التصريف؛ فإن الدال في

الموضعين بدل من الذال؛ لأن ادكر أصله اذتكر افتعل من الذكر، وكذلك مدكر أصله مذتكر مفتعل من الذكر أيضًا، فأبدلت التاء ذالاً والذال كذلك، وأدغمت إحداهما في الأخرى فصار اللفظ بهما كما ترى.

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾[محمد:25].سهل لهم ركوب المعاصي، من السول وهو الاسترخاء، وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعًا، يعرض بابن السكيت.

وقال أيضًا: من بدع التفاسير: أن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[الإسراء:71] جمع أُم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم؛ لئلا يفتضح أولاد الزنا، قال: وليت شعري أيهما أبدع: أصحة لفظه، أم بهاء حكمته؟!.

يعني: أن أمًا لا يجمع على إمام. هذا كلام من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب"[1].

وقال التهانوي: "وغايته غاية الجدوى حيث يحتاج إليه جميع العلوم العربية والشرعية، كعلم التفسير والحديث والفقه والكلام؛ ولذا قيل: إنّ الصرف أمّ العلوم، والنحو أبوها"[2].

وقال الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في "دروس التصريف": "ومتى

(1) البرهان في علوم القرآن (1/ 297).

(2) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 23).

درست علم الصرف أفدت عصمة تمنعك من الخطأ في الكلمات العربية، وتقيك من اللحن في ضبط صيغها، وتيسر لك تلوين الخطاب، وتساعدك على معرفة الأصلي من حروف الكلمات والزائد. والحق أن علم الصرف من أجل علوم العربية موضوعا، وأعظمها خطرا، وأحقها بأن نعنى به، وننكب على دراسته، ولا ندخر وسعًا في التزود منه؛ ذلك بأنه يدخل في الصميم من الألفاظ العربية، ويجري منها مجرى المعيار والميزان، وعلى معرفته وحده المعول في ضبط الصيغ ومعرفة تصغيرها والنسبة إليها، وبه وحده يقف المتأمل فيه على ما يعتري الكلام من إعلال أو إبدال أو إدغام، ومنه وحده يعلم ما يطرد في العربية وما يقل، وما يندر وما يشذ من الجموع والمصادر والمشتقات، وبمراعاة قواعده تخلو مفردات الكلام من مخالفة القياس التي تخل بالفصاحة وتبطل معها بلاغة المتكلمين"[(1)].

4 -فضله :

هو من أجل العلوم العربية و أعظمها نفعًا، وأحسنها أثراً في فهم القرآن والسنة اللذين هما أساس الدين. وشرف العلم بشرف المعلوم.

بل إن بلاغة القرآن لن يصل المرء إليها إلا بعد علم الصرف؛ لأن البيان من شرطه: تحقيق القواعد الصرفية؛ ولذلك كان هذا العلم فاضلاً شريفًا من جهة تعلقه بالكتاب والسنة.

قال ابن جني في المنصف: "وهذا القبيل من العلم -أعني التصريف- يحتاج

(1) ملتقى أهل اللغة (1/ 2234).

إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به، وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف؛ وذلك نحو قولهم: إن المضارع من فَعُل لا يجيء إلا على يَفْعُل بضم العين، **ألا ترى** أنك لو سمعت إنسانًا يقول: كرُم يكرَم بفتح الراء من المضارع، لقضيت بأنه تارك لكلام العرب، سمعتهم يقولون: يكرم أو لم تسمعهم؛ لأنك إذا صح عندك أن العين مضمومة من الماضي قضيت بأنها مضمومة في المضارع أيضا قياسًا على ما جاء. ولم تحتج إلى السماع في هذا ونحوه، وإن كان السماع أيضًا مما يشهد بصحة قياسك"(1).

ويقول أيضًا: "التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف. كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق، يدلك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره، والاشتقاق إنما يمر بك في كتب النحو منه ألفاظ مشردة لا يكاد يعقد لها باب. فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: "قام بكر، ورأيت بكراً، ومررت ببكر" فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛

---

(1) المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني (ص: 2).

لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة"[1].

ويقول ابن عصفور: "التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما، فالذي يبين شرفه احتياجُ جميع المشتغلين باللغة العربية، من نحوي ولغوي، إليه أيما حاجة؛ لأنه ميزان العربية؛ ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف، نحو قولهم: "كل اسم في أوله ميم زائدة مما يعمل به وينقل فهو مكسور الأول، نحو: مطرقة ومروحة، إلا ما استثني من ذلك". فهذا لا يعرفه إلا من يعلم أن الميم زائدة، ولا يعلم ذلك إلا من جهة التصريف"[2].

وقال في مراح الأرواح: "اعلم أن الصرف أم العلوم، والنحو أبوها، ويقوى في الدرايات داروها، ويطغى -أي: يضل - في الروايات عاروها"[3].

وقال ابن كمال باشا في "الفلاح شرح المراح[4]" تعليقًا على كون الصرف أم العلوم: "أي: أصلها ومبدؤها؛ لأنها يبدأ منها العلوم، ثم قال: وإنما شبه الصرف بالأم في التولد، يعني: كما أن الأم تلد الولد فكذلك الصرف يلد الكلمة؛ إشعاراً بشدة احتياج العلوم إليها؛ لأن الأم لا يكاد يستغني الولد عنها".

وقال يحيى بن حمزة عنه: "... علم جليل القدر غزير الفوائد. وهو يختص

(1) المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني (ص: 4).

(2) الممتع الكبير في التصريف (ص: 31).

(3) عن أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 (129 / 431).

(4) (ص: 3).

بتصحيح أبنية الألفاظ المفردة ومعرفة صحيحها ومعتلّها وزائدها وأصيلها ومبدلها من أصيلها إلى غير ذلك من أنواع التصريف على قوانين جارية على أقيسة كلام العرب وأساليبها. ومن لم يحرزه فإنه لا يأمن الوقوع في محذور الكلام ومكروهه؛ فإنه لا فرق في اللحن بين تغيير الكلمة عن إعرابها الجاري لها، وبين تغيير بناء الكلمة وتصريفها على خلاف ما يقتضيه قياسها. فلا فرق في ألسنة النحاة بين من خالف في تغيير الإعراب في نصب الفاعل ورفع المفعول وبين من ترك الواو والياء من غير إعلال مع وجود سبب الإعلال فيهما، ومن أخلّ به وقع في مكروه التصريف، كما أن كل من أخلّ بإتقان الإعراب وقع في معرّة اللحن ومكروهه. فهذه العلوم الثلاثة لابدّ من إحرازها لمن أراد الاطّلاع على علوم البيان ويجرى مجرى الآلة له في الوصول إليها"[1].

ومما يبين فضل علم الصرف: ما قاله صاحب طبقات النحويين واللغويين: "عن أبي عثمان المازني قال: اجتمعتُ مع يعقوب بن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات، فقال محمد بن عبد الملك: سَلْ أبا يوسف عن مسألةٍ. فكرهتُ ذلك، وجعلتُ أتباطأُ وأدافعُ مخافةَ أن أُوبِسَهُ؛ لأنه كان لي صديقًا، فألحَّ عليَّ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ، وقال: لِمَ لا تسألُه؟ فاجتهدتُ في اختيار مسألةٍ سهلةٍ؛ لأقارب يعقوبَ، فقلتُ له: ما وزنُ "نَكْتَلْ" مِن الفعل من قول الله عز وجل: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾[يوسف:63]. فقال: "نَفْعَلْ". فقلتُ له: ينبغي أن يكونَ

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 17).

ماضيه "كَتَلَ"! فقال: لا، ليس هذا وزنه، إنما هو "نَفْتَعِلْ". فقلتُ له: فَنَفْتَعِل كم حرفًا هو؟ قال: خمسة أحرف. فقلتُ له: فَنَكْتَلْ كم حرفًا هو؟ قال: أربعة أحرف. قلتُ: فكيف تكون أربعةُ أحرفٍ بوزنِ خمسةٍ؟! فانقطع وخَجِل وسَكَتَ، فقال محمد بن عبد الملك: فإنما تأخذ كلَّ شهرٍ ألفي درهم على أنك لا تُحسِن ما وزنُ "نَكْتَلْ[1]"!! فلما خرجنا قال لي يعقوب: يا أبا عثمان، هل تدري ما صنعتَ؟ فقلتُ له: والله لقد قاربتُك جهدي، وما لي في هذا ذنب"[2].

5- نسبته :

نسبة الصرف لسائر العلوم: التباين والتخالف. وينسب هذا الفن إلى علوم العربية، وعددها اثنا عشر فنًا. **جمعها بعضهم في قوله:**

نَحْوٌ وَصَرْفٌ عَرُوضٌ بَعْدَهُ لُغَةٌ ... ثُمَّ اشْتِقَاقٌ وَقَرْضُ الشِّعْرِ إِنْشَاءُ

كَذَا الْمَعَانِي بَيَانُ الْخَطِّ قَافِيَةٌ ... تَارِيخُ هَذَا لِعِلْمِ الْعُرْبِ إِحْصَاءُ[3]

---

(1) **نكتل**: أصله نكتال، **وأصل نكتال**: نكتيل، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، ثم لما جزم الفعل بالسكون في جواب الطلب، وحذفت الألف لالتقاء الساكنين سقطت. **ففي رواية للقصة**: " فقال المازني: وزنها في الأصل "نفتعل" لأنها "نكتيل" فلما تحرك حرف العلة وهو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفًا فصارت "نكتال" ولما دخل الجازم صارت "نكتل" "ووزنها نفتل".

(2) طبقات النحويين واللغويين (ص: 203).

(3) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (2/ 422).

6 -**واضعه :**

اختلف في واضع هذا العلم، واستظهر بعضهم أن واضعه: معاذ بن مسلم الهراء (ت:187هـ) أحد علماء الكوفة.

وقد تتابع المصنفون في علم الصرف على إقرار هذا، بل حكاه بعضهم اتفاقا.

لكن قال الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد: وهذا المعنى على إطلاقه غير مستقيم، فقد كانت مسائل هذا العلم تدرس من قبل معاذ، درست مع مسائل العربية بوجه عام، ودرست مع مسائل النحو بشكل خاص. والذي يمكن أن تطمئن إليه النفس أن معاذاً هو أول من أفرد مسائل الصرف بالبحث أو التأليف، وهو الذي بدأ التكلم فيه مستقلاً عن فروع اللغة العربية، وأنه أكثر من مسائل التمرين التي كان المتقدمون يسمونها التصريف، وأن العلماء من بعده ترسموا خطاه، وتقيلوا منهجه، واتبعوا سبيله، واقتفوا أثره، وهم ـ مع هذا ـ يضعون الضوابط والقيود، ويستدرك اللاحق منهم على السابق، فيزيد قيداً أو يهمل مقيداً، حتى تم نضج هذا العلم، واستقامت مباحثه، وعلى هذا المعنى -دون ما عداه- يصح قولهم: إن واضع هذا العلم هو معاذ الهراء".

فلا يصح إذن قولهم: إن واضع علم الصرف هو معاذ بن مسلم أبداً، إنما الذي يقبل أنه هو أول من أشاع باب التمارين وأكثر منها، ولا أظن أنه يصح أن نقول بأنه هو أول من أفرد الصرف بالتأليف؛ فإن معاذاً لا يعلم له كتاب في هذا الفن، بل لا يذكر عنه من القواعد الصرفية قاعدة واحدة فيما أحسب، ولم يذكر

أحد عنه شيئًا من هذا القبيل أو ذاك، بل إن أول من أفرد علم الصرف بالتأليف هو: المازني في كتاب أسماه "التصريف".

فواضع علم الصرف إذن هو عينه واضع علم النحو وهو أبو الأسود الدؤلي وليس الهراء؛ **لما يلي:**

1 ـ أن الرواية المذكورة في شأن النحو بين أبي الأسود وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذكر فيها مبحث الإمالة، وهذا من مباحث علم الصرف. والله أعلم بصحة هذه الرواية، لكنه أمر انتشر وذاع بين أهل النحو والعربية.

2 ـ أن الكتاب لسيبويه مليء بالمسائل الصرفية، وليس ممن أخذ علم الصرف عن الهراء، بل أخذه من غيره.

3 ـ أن النحو والصرف عند المتقدمين قرينان لا ينفصلان عن بعضهما أبداً، بل كانا قديماً علماً واحداً، وأول من أفرده بالتأليف هو: المازني، فدل ذلك على أن واضع علم الصرف هو عينه واضع علم النحو. والله أعلم[1].

7-اسمه :

علم الصرف أو التصريف، وقال التفتازاني: إن الأفضل تسميته بالتصريف؛ لأن فيه تصرفات كثيرة، فالمناسب لفظ يدل على المبالغة و الكثرة"[2].

(1) أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 (119/ 155).

(2) أرشيف منتدى الفصيح .

8 -استمداده :

من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام العرب الفصحاء.

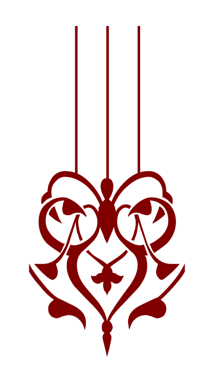
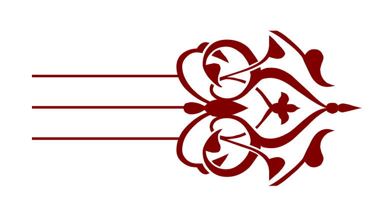
9 -حكم الشارع فيه :

فرض كفاية، وقد يتعين على بعضهم؛ كالمفسر لكتاب الله والمحدِّث، فحاجة المفسر لذلك لا تقل عن حاجته إلى النحو والبلاغة، وقد قيل: "الصرف كاللبنات، والنحو كوضع اللبنات وبنائها، والبلاغة تأتي بعد بناء البيت متممة للصرف والنحو"[1].

10 -مسائله :

القواعد التي يتعرف من خلالها على أحكام المفردات العربية كقولنا: إذا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفًا. وغير ذلك.

(1) أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 (136/ 266).

ثانيًا: هل الصرف والتصريف مترادفان أو أن بينهما فرقا؟

من ناحية اللغة: أصلهما مصدران لصَرَفَ وصَرَّف، ويدلاّن على معانٍ منها: التقليب، والتحويل، والتغيير. يُقال: صَرَفت الصبيان: قلبتهم . وقالوا: وصَرَفَ اللهُ عنك الأذى أي: حوّله، ومن ذلك: تصريف الرياح والسحاب، أي: تحويله من مكان إلى مكان، وتصريف الأمور، وتصريف الآيات، أي: تَعْيينها في أساليب مختلفة وصور متعدّدة.

والتصريف أبلغ في معنى التغيير من الصرف، والعكس في معنى التحويل والتقليب.

وقيل: الصرف هو التنوين، والتصريف هو العلم المعروف.

ومن ناحية الاصطلاح: الصرف والتصريف لفظان مترادفان عند المتأخرين.

أما عند المتقدمين فالصرف هو العلم المعروف، وأما التصريف فهو جزء من الصرف وهو: أن تبني من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما بنته، ثم تعمل في البناء الذي بنيته ما يقتضيه قياس كلامهم. وهو ما يسمى بباب التمارين يعقده الصرفيون في آخر أبواب الصرف ليتمرن الطالب ويتعود على ما تعلمه من قواعد الصرف.

فسفرجل كلمة سمعت عن العرب فيقول لك الصرفي: كيف تبني من ضرب مثل سفرجل؟ فتقول: ضربرب، مع أن ضربرب لم تنطق بها العرب. والغرض من هذا كله التمرين والتعويد.

فبان بهذا واتضح أن التصريف عند المتقدمين جزء من الصرف. وعند المتأخرين عين الصرف.

فالمتأخرون لا يفرقون بين الصرف والتصريف؛ **قال ابن مالك** :

حَرْفٌ وَشِبْهُهُ مِنِ الصَّرْفِ بَرِي   وَمَا سِوَاهُمَا بِتَصْرِيفٍ حَرِيٌّ[1].

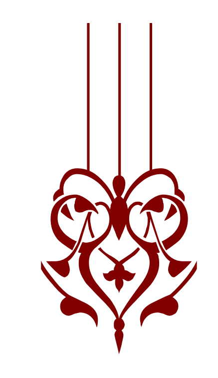
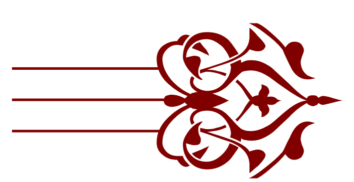
وقيل: "ومن المعلوم أنه بُدئ باستخدام لفظة (التصريف) عنوانًا لهذا العلم، ولم يكن اختيارهم لها اعتباطًا، بل لذلك دلالة على المعنى الاصطلاحي الذي أرادوه وهو معنى: تغيير الأبنية من وضع إلى وضع، ومن مثال إلى مثال، والتصريف يفيد معنى التغيير أكثر من إفادة الصرف لهذا المعنى، وكذا يوحي معنى التصريف بالعمل والتدريب وكثرة التمارين.

وحين اتسعت دائرة هذا العلم، ودخل فيه بعض المسائل والقواعد التي يبدو فيها التغيير أقل ظهورًا، ظهر مصطلح الصرف على هذا العلم، ليشمل المسائل والقواعد تلك، ولعلّ ظهور هذا المصطلح يواكب استقلال هذا العلم عن النحو؛ ولهذا فإنّ بعضهم يَعُدّ التصريف هو المعنى العملي، والصرف هو المعنى العلمي؛ أي أن التصريف يرتبط بكثرة دوران الأبنية واشتقاقها والعمل فيها، والصرف يرتبط بالأصول الكلية التي ينبني عليها معرفة أحوال المفردات"[2].

---

(1) أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 (119/ 155).

(2) الترتيب الصرفي في المؤلفات النحوية والصرفية، إلى أواخر القرن العاشر الهجري، د. مهدي بن علي بن مهدي آل ملحان القرني، بواسطة مجلة جامعة أم القرى 19-24 (6/ 458).

ثالثًا: بين النحو والصرف:

اتحادًا وانفصالًا وصفًا وجمعًا وتقديماً وتأخيرا:

أ-الاتحاد والانفصال:

ذكر صاحب التبيان في تصريف الأسماء[1]-: أن المتقدمين كانوا يرون التصريف قسمًا من النحو، وأن مدلول النحو عام يشمل جميع القواعد والمسائل المتعلقة بآخر الكلم وغير الآخر؛ ولذلك عرفوا النحو بقولهم: علم يبحث عن أحوال أواخر الكلم العربية إفراداً وتركيبا.

وأما التصريف فيطلق على مبحث خاص يقال له: الاشتقاق، أو اختراع الصيغ القياسية أو مسائل التمرين. أما عند المتأخرين فقد جعلوا التصريف قسيمًا للنحو لا قسمًا منه، فضيقوا دائرة النحو، وقصروه على المباحث المتعلقة بأواخر الكلم من حيث الإعراب والبناء.

وعرفوا الصرف بأنه: علم يبحث عن أبنية الكلم العربية وأحوال هذه الأبنية.

ب-الوصف:

النحو والصرف شقيقان، لذلك اشتهر عند أرباب الحواشي أن أبا العربية النحو، وأمها الصرف.

---

(1) ص(5).

ج-الجمع بين النحو والصرف:

ظهر الصرف مقترنًا بالنحو في التأليف، ولم يظهر التفريق بينهما إلاّ في مرحلة متأخرة، ومع أنّ الصرف ظهر في المرحلة الثانية مستقلاً وبدأ يأخذ طريقًا غير طريق النحو إلاّ أنه ظل قرين النحو في المؤلفات؛ ولهذا كثرت المؤلفات التي جمعت النحو والصرف في التأليف أكثر من المؤلفات التي أفردت أحد العلمين بالتأليف.

ولعلّنا نجد تفسيراً لهذا الجمع فيما ذكره أبو عليّ الفارسيّ في التكملة من أن النحو: علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب. ولا شكّ أن الكلام له أجزاء، منها ما يتعلق بذات الكلمة إفرادًا، ومنها ما يتعلق بارتباطها مع غيرها، فالأول صرف، والثاني نحوٌ أو إعراب، ولأجل هذا الترابط تم الجمع بين مباحث النحو ومباحث الصرف؛ لأنهما مكمّلان لصحة النطق بالكلمة على الوجه السليم الذي ورد عن العرب؛ ومن المعلوم أيضًا أنه لا يغني صحة جزء الكلمة، والخطأ في جزء آخر، وإنما الصواب تكامليّ.

وممّن جمع بين النحو والصرف: سيبويه في الكتاب، والمبرد في المقتضب، وابن السرّاج في الأصول، والصيمري في التبصرة، والزمخشري في المفصل، والعكبري في اللباب، وابن معطٍ في ألفيته، وابن مالك في ألفيته، وفي الكافية الشافية، وفي التسهيل، وأبو حيان في ارتشاف الضرَب، والسيوطي في همع الهوامع، وغيرهم[1].

(1) الترتيب الصرفي في المؤلفات النحوية والصرفية، إلى أواخر القرن العاشر الهجري، د. مهدي بن علي بن مهدي آل ملحان القرني. بواسطة مجلة جامعة أم القرى 19-24 (6/ 458).

د-التقديم والتأخير بين النحو والصرف:

جرى المتقدمون على تقديم الصرف على النحو؛ لأن متعلق الصرف المفردات، ومتعلق النحو المركبات، والعلم بالمفردات مقدم على العلم بالمركبات.

لكن عند المتأخرين عكسوا؛ لأن طالب العلم أحوج للنحو منه للصرف؛ لأنه بالنحو يستطيع أن يميز الكلام بعضه عن بعض.

ومن عرض النحو قبل الصرف: ابن السراج في الأصول ، والصيمري في التبصرة ، والعكبري في اللباب ، والجزولي في الجزولية، وأبو علي الشلوبين في التوطئة، وابن مالك في الألفية، وتسهيل الفوائد والكافية الشافية، والسيوطي في همع الهوامع.

ولعلهم جعلوا الصرف متأخرًا في دراسته لصعوبته؛ أو لأن طلبه يحتاج إلى عقلية أقوى مما يحتاجه النحو، أما من ناحية التسلسل المنطقي فإن الصرف يرتبط بالمفردات، وهو أمرٌ سابقٌ للتركيب؛ لأن الصحة في تركيب الجملة ينبغي أن يسبقها صحة المفردات، وهو اهتمام الصرف، ولعلّ هذه النظرة هي التي قادت أبا حيّان إلى أن يقدم الصرف على النحو في كتابه ارتشاف الضرب، بل إنه يصرّح بذلك فيقول:" وحصرته –أي: موضوع الكتاب– في جملتين: الأولى: في أحكام الكلم قبل التركيب، والثانية: في أحكامها حالة التركيب.

ويوضّح ابن جنيّ في المنصف العلة في ذلك فيقول:" من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلاّ أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصًا صعبًا بُدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بَعْد، ليكون الارتياضُ في النحو موطّئًا للدخول فيه، ومعينًا على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرّف الحال"[1].

وعلى هذا فإنْ تأخَّر التصريف في المؤلفات فهو مقدّم على النحو في المعرفة، وليس تأخره تقليلاً من أهميته؛ فقد يتأخر الشيء وهو أهمُّ من غيره المتقدم، وإنما ينظر إلى جانب آخر وهو قضية التعلم.

قال بعضهم: والأصل تقديم علم الصرف على النحو؛ لأن متعلق الصرف هو الكلمة المفردة، ومتعلق النحو هو الكلام المركب؛ ولذلك لا توصف الكلمة قبل التركيب بإعراب ولا بناء؛ ولذا فمعرفة الجزء مقدمة على معرفة الكل، فوجب حينئذ تقديم علم الصرف، **إلا أنه يبدأ بالنحو لأمرين اثنين:**

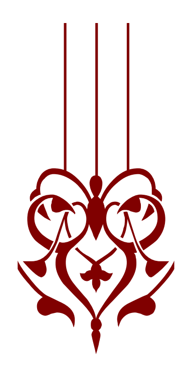
1 ـ صعوبة علم الصرف، فيبدأ بما هو أسهل ليكون ذلك حافزاً له على تعلم ما هو أدق منه.

---

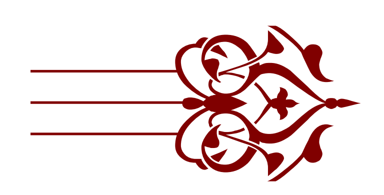
(1) **فائدة**: ثم قال ابن جني عقب هذا النص: "، فمن أمدّه الله بصفاء القريحة، وأيده بمضاء الخاطر والروية، وواصل الدرس، وأجشم النفس، وهجر في العلم لَذَّاته، ووهب له أيام حياته؛ امتاز من الجمهور الأعظم، ولحق بالصدر المقدم، ولحظته العيون بالنفاسة، وأشارت إليه الأصابع بالرياسة، وكان موفقًا لما يرفعه ويُعْليه، مسدداً فيما يقصد له وينتحيه". المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني (ص: 5).

2 ـ ولكون النحو أتم فائدة منه، وأكثر نفعًا، مع أن الفائدة والنفع متحقق في الصرف، فيبدأ بما هو أكثر نفعا[1].

(1) أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 (119/ 154).



رابعًا: نشأة علم الصرف:



مرّ هذا العلم بعدد من المراحل:

الأولى: مرحلة اندماجه مع النحو دون تفريق أو تمييز.

الثانية: بدء انفصاله واستقلاله في علم مستقل.

الثالثة: مرحلة تكوين علم التصريف واكتماله، وانتقال تسميته في كثير من المصنفات إلى علم الصرف.

فالمرحلة الأولى: تمثلها كتب النحاة الفحول الذين ألفوا في النحو، واندرجت مباحث التصريف مع مباحث النحو دون استقلال لأحدهما، أو تمييز، بل إن مباحث التصريف كانت مبثوثة في بعض الكتب النحوية، وممّن سار على هذا النهج: سيبويه في كتابه، والمبرّد في مقتضبه، وابن السراج في أُصوله؛ مع أنّ بين هؤلاء اختلافًا في ترتيب الأبواب الصرفية وتنظيمها، وتشابهًا وتقاربًا كبيرًا في المادة العلمية.

ومصطلح التصريف في هذه المرحلة ضيّق لا يقصد به إلا باب يسير، وهو ما يسمّى بـ القياس اللغوي، وقد عرفه سيبويه بقوله: هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة، والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجئ في كلامهم إلاّ نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل.

ويشرح أبو سعيد السيرافي مراد سيبويه بالتصريف والفعل فيقول:" وأما التصريف فهو: تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والقلب للحروف التي رسمنا جوازها حتى تصير على مثال كلمة أخرى، والفعل تمثيلها بالكلمة ووزنها به ....".

ومعنى التصريف عند سيبويه على هذا هو: تغيير الكلمة من وزن إلى وزن آخر، سواء أكان ذلك من المعتل أم من غير المعتل، على نسق كلام العرب الذي تكلموا به في غير باب المعتل أو غير المعتل بمعنى: أن يُقاس الصحيح على وزن للمعتل لم يأت الصحيح عليه، والعكس أيضًا، وهذا يكون في مسائل التمارين والتدريبات؛ لترويض قوانين البدل والقلب والحذف، ومعرفة الأبنية، والميزان الصرفي، وهذا هو التصريف عند سيبويه، وما معرفة قوانين البدل والحذف والقلب إلاّ لِتُعين على مسائل التصريف، وإلاّ فهي ليست تصريفًا.

المرحلة الثانية: وهذه هي المرحلة التي مَهّدت لظهور هذا العلم، واستقلاله بالتأليف عن النحو، مع أنه لا يبدو أن الصرف أصبح قسيمًا للنحو في هذه المرحلة.

ويمثل هذه المرحلة عددٌ من النحاة من أبرزهم: المازني، وأبو علي الفارسيّ، وابن جنيّ.

فالمازني ألّف كتاب التصريف، وأبو علي الفارسيّ ألف كتاب التكملة على الإيضاح، وهو كتاب مستقل بالصرف مع أن أبا عليّ يعدّ هذا الكتاب الجزء الثاني

من الإيضاح، كما أنه يعد الصرف هنا قسمًا من النحو؛ ولهذا يقول في تعريف النحو: النحو علمٌ بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، وهو ينقسم قسمين: أحدهما: تغيير يلحق أواخر الكلمة، والآخر تغييرٌ يلحق ذوات الكلم وأنفسها[1].

وفي التبيان في تصريف الأسماء[2]: وأول كتاب مستقل بالتصريف وصل إلينا: كتاب التصريف للمازني(249هـ)، ويقال: إن الفراء(ت207هـ) ألف كتابًا في التصريف نقل منه الفارسي، وقد استفاد المازني من كتاب سيبويه، غير أنه لم يستوعب؛ فلم يتكلم عن الجموع ولا النسب، وأهمل أكثر مسائل التصغير".

والذي يَميز هذه المرحلة هو استقلال هذا العلم وإفراده بالتأليف.

المرحلة الثالثة: وفي هذه المرحلة اكتمل التصريف ليكون علمًا مستقلاً، وأصبح قسيمًا للنحو لا قسمًا منه، ويمثّل هذه المرحلة المتأخرون من النحاة؛ كعبد القاهر الجرجاني، وابن عصفور، وابن الحاجب، وابن مالك، وابن هشام، وغيرهم.

وتعددت تعريفات النحاة لهذا العلم، إلاّ أنّهم يتفقون في كونه علمًا مستقلاً قسيمًا للنحو، وإن اختلفوا في تفاصيل الأبواب والمسائل.

---

(1) الترتيب الصرفي في المؤلفات النحوية والصرفية، إلى أواخر القرن العاشر الهجري، د. مهدي بن علي بن مهدي آل ملحان القرني، بواسطة مجلة جامعة أم القرى 19-24 (6/ 458).

(2) ص (14).

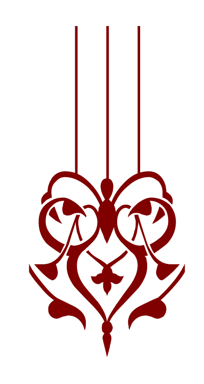
ولعلّ الجرجانيّ أول من ألف كتابًا وصل إلينا باسم (الصرف) وابتعد عن التسمية (التصريف)؛ غير أنه لما أتى إلى التعريف عرّف التصريف، فقال: اعلم أن التصريف تفعيلٌ من الصرف، وهو أن تُصرِّف الكلمة المفردة فتولد منها ألفاظٌ مختلفة، ومعانٍ متفاوتة.

أما ابن عصفور فذكر أنّ التصريف قسمان: أحدهما: جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني .... والآخر من قسمي التصريف: تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالاًّ على معنًى طارئ على الكلمة.

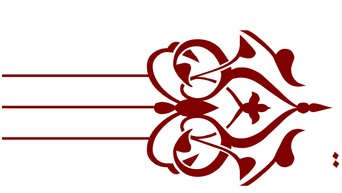
ويأتي ابن الحاجب فيصرّح أنّ التصريف علمٌ، فيقول: التصريف علمٌ بأصولٍ يُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب.

أما ابن مالك فيعرف التصريف بقوله: التصريف علمٌ يتعلق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالةٍ وزيادة وصحّة وإعلالٍ وشبه ذلك.

وعلى هذا فمسائل التصريف اتسعت ودخل فيها ما كان خارجًا عنها في المرحلتين السابقتين من مباحث تغيير البنية نحو: الإبدال، والحذف، والزيادة، ومعرفة الأبنية، والتصغير، والجمع، والنسب، والإدغام، وغيرها.



خامسًا: متون علم الصرف وشروحها وكتب أخرى فيه:



هناك متون متعددة في هذا العلم، منها:

1 ـ " نزهة الطرف في علم الصرف "، تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني " صاحب مجمع الأمثال " المتوفى سنة (518هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهو مختصر مشهور مرتب في عشرة أبواب امتاز بذكر الأمثلة التطبيقية في آخره، وذكر الأشياء المشكلة في الباب العاشر منه.

2 ـ " الشافية في علم التصريف "، لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر النحوي ـ المعروف بابن الحاجب ـ المتوفى سنة (646هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد اعتنى بهذا المتن جماعة من العلماء منهم:

1 ـ مؤلفه، فقد شرحه بشرح.

2 ـ وشرحه: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي المتوفى سنة (686هـ).

3 ـ وشرحه: الحسن بن أحمد الجارَبَردي المتوفى سنة (746هـ).

وعلى هذا الشرح عدة حواش منها:

أ ـ **حاشية** لعز الدين بن جماعة.

ب ـ **حاشية** حسين الكمالاتي الرومي.

4 ـ **وشرحه**: سيد عبد الله بن محمد الحسيني المعروف بنقرة كاد المتوفى سنة (776هـ).

5 ـ **وشرحه**: يوسف بن عبد الملك الشهير بـ"قَرهْ سنان" المتوفى سنة (852هـ) في كتابه " الصافية شرح الشافية ".

6 ـ **وشرحه**: شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى سنة (926هـ) واسمه " المناهج الكافية في شرح الشافية ".

7 ـ **وشرحه**: إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفراييني عصام الدين المتوفى سنة (945هـ).

وقد ذكر الشيخ: حسن العثمان في مقدمة تحقيقه للشافية تسعة وأربعين شرحاً بالعربية للمقدمة المذكورة، وخمسة بالفارسية، وشرحاً بالتركية وأنها ترجمت إلى اللغة التركية.

كما نظمها جماعة من أهل العلم، ذكر المحقق المذكور منهم عشرة، منهم: النيسابوري واسم منظومته:" الوافية نظم الشافية " فرغ منها سنة (1133هـ) وبلغت أبياتها (1162) بيتاً طبعت مع الشافية الطبعة التي بتحقيق الشيخ حسن العثمان، ولم يقف للناظم المذكور على ترجمة .

3 ـ " التصريف العزي "، لعز الدين أبي المعالي عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني المتوفى سنة (655هـ).

وهو مختصر ذائع الصيت في فن التصريف، قال في كشف الظنون:" وهو

مختصر متداول نافع .. " ثم ذكر بعض شروحه وحواشيها.

شرحه جماعة من العلماء منهم:

1 ـ السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة (816هـ).

2 ـ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة (891هـ).

نظمه:

نظم هذا المتن غير واحد منهم:

عبد العزيز بن صالح العلجي الأحسائي المتوفى سنة (1362هـ) وسمى نظمه " مباسم الغواني في نظم عزية الزنجاني في علم الصرف " يقع في (450) بيتـًا، وقد شرح هذا النظم الشيخ: أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي النعلي في كتاب سماه: "نيل الأماني شرح منظومة العلامة الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي الأحسائي المسماة: مباسم الغواني في نظم عزية الزنجاني في علم الصرف ".

4 ـ " المَراح: مَراح الأرواح "، لأحمد بن علي بن مسعود أحد علماء القرن الثامن أو التاسع. قال السيوطي في بغية الوعاة ـ في ترجمة المؤلف: "أحمد بن علي بن مسعود مصنف المراح في التصريف، مختصر وجيز مشهور بأيدي الناس، لم أقف على ترجمته.

وقد شرحه جماعة من العلماء منهم:

أ ـ بدر الدين محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة (855هـ) واسم شرحه "

ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح ".

ب ـ شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز المتوفى سنة (855هـ).

ج ـ شمس الدين أحمد بن سليمان المشهور بابن كمال باشا المتوفى سنة (940هـ).

د ـ حسن بن علاء الدين الأسود المتوفى سنة (1025هـ) في كتابه " المفراح في شرح مراح الأرواح ".

5 ـ " البناء والأساس " لأحمد رشدي بن محمد القره أغاجي المتوفى سنة (1251هـ).

شروحه:

شرحه جماعة من العلماء منهم:

1 ـ محمد بن الحاج حميد الكفوي.

نظمه:

نظمه عبد الله بن حسن الفارسي وسماه " نيل المنى في نظم قواعد البناء " وشرحه بشرح سماه " مزيل العنا عن قارئي نيل المنى في نظم قواعد البناء ".

وقد أكثر المتأخرون من التأليف في هذا الفن، ومن ذلك:

1 ـ " شذا العرف في فن الصرف " لأحمد بن محمد الحملاوي المتوفى سنة (1351هـ).

2 ـ " دروس التصريف " لمحمد محيي الدين عبد الحميد المتوفى سنة (1393هـ). صنفه لطلاب كلية اللغة العربية في الجامع الأزهر.

كما أنه ألحق في تعليقه على شرح ابن عقيل على الألفية بحثاً عن تصريف الأفعال وما يتعلق بها.

ومن الكتب المطولة في التصريف:

1 ـ "المنصف " للإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي المتوفى سنة (392هـ).

شرح فيه كتاب التصريف للإمام أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني المتوفى سنة (249هـ)، وكتاب المازني من أنفس كتب التصريف وأسدها وأرصنها، وهو عريق في الإيجاز والاختصار، عارٍ من الحشو والإكثار .

2 ـ " الممتع في التصريف " لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي المشهور بابن عصفور المتوفى سنة (669هـ).

بسط فيه مسائل التصريف بسطاً مسهباً مدعوماً بالتعليل والتفسير والحجج والأدلة والشواهد، وهو من أمثل كتب الصرف المطولة، وكان أبو حيان النحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الإعجاب به حتى قال عنه في مختصره الذي سماه المبدع في التصريف:" أحسن ما وضع في هذا الفن ترتيباً وألخصه تهذيباً وأجمعه تقسيماً وأقربه تفهيماً ".

هذا ما ذكره صاحب الدليل إلى المتون العلمية[1].

وهناك كتب كثيرة ما بين متن ونظم ونثر في هذا العلم ومنها:

المغني في تصريف الأفعال، للشيخ: محمد عبد الخالق عظيمة. ولا ننسى موسوعته العظيمة" دراسات لأسلوب القرآن الكريم، وهو معجم نحوي وصرفي لم يؤلف مثله في بابه، مكث في تأليفه 33 سنة. وقد توفي المؤلف سنة(1403هـ).

ومن المنظومات في علم الصرف-إضافة إلى ما سبق-:

1-باكورة التعريف بالمهم من التصريف، لمحمد حماد الجكني الشنقيطي. بلغت أبياتها (58) بيتًا.

وشرحها الدكتور: محمد المقشي، بشرح مختصر عنوانه" فتح الكريم اللطيف بشرح باكورة التعريف.

2- نظم المقصود في الصرف لأحمد عبد الرحيم (ت: 1038هـ). وعدد أبياته: (113) بيتًا.

نظم فيه متن المقصود، المنسوب لأبي حنيفة، والنسبة غير صحيحة.

قال في: مفتاح السعادة: "ومما اشتهر مختصر مسمى بـ ((المقصود)) يتكلم عن فن الصرف لم نقف على مصنفه وإن نُسِبَ لأبي حنيفة إلا أنه كتاب مبارك وعليه شروح مفيدة مشهورة عند أبناء الزمان"- يعني: في عصره.

---

(1) الدليل إلى المتون العلمية (ص: 550).

وممن شرح النظم: محمد بن أحمد عليش المالكي الأزهري في كتاب أسماه (حلّ المعقود من نظم المقصود) من مطبوعات مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده.

3-لامية الأفعال، لابن مالك.

وهي منظومة من بحر البسيط، بلغ عدد أبياتها (114) بيتًا، وقد حظيت بعناية كبيرة من أهل العلم حفظًا ودراسة وزيادة وشرحًا وتحشيةً وإعرابًا لأبياتها.

فمما كتب عنها من الشروح والحواشي:

1- شرح لامية الأفعال، لبدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت: 686هـ) المشهور بابن الناظم. وهو أول شروحها، وفاتح أقفالها.

2-شرح: محمد بن دهقان النسفي المتوفى عام 818هـ.

3-شرح: محمد بن عبد الدائم البرماوي المتوفى عام 831هـ.

4-تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال، لمحمد بن عباس التلمساني (ت:871 هـ).

5- شرح لامية الأفعال، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري (905 هـ).

6- فتح الأقفال وضرب الأمثال شرح لامية الأفعال، لجمال الدين أبي عبدالله محمد بن عمر ابن مبارك الحميري الحضرمي (بحرق) (ت930هـ).

وهو أحد شرحين لبحرق على لامية الأفعال، والآخر يسمى الشرح الصغير، وهو مختصر من الشرح الكبير جرده من كثير من الأمثلة المبسوطة في الشرح الكبير.

7 - فتح المالك في شرح لامية ابن مالك، لأبي محمد عبدالكريم بن محمد الفكون القسطنطيني.

8-فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال، لحمد بن مُحَمَّد الرائقي الصعيدي الْمَالِكِي (المتوفى: نحو 1250هـ).

9-تحفة الأطفال بحل عقد لامية الأفعال، لسيدي بن المختار بن الهيبة الأبياري الشنقيطي (1284هـ).

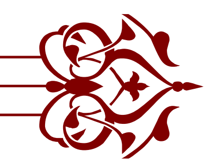
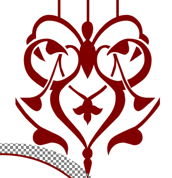
10-انشراح البال في شرح لامية الأفعال، لمحسن بن جعفر الحضرمي (ت:1379هـ).

11-إعراب لامية الأفعال، محمد بن أحمد بن عثمان الزروالي.

12-تحنيك الأطفال بلامية الأفعال. ومناهل الرجال ومراضع الأطفال بلبان معاني لامية الأفعال، كلاهما لمحمد أمين عبد الله الهرري.

13-حصول المسرة بتسهيل لامية الأفعال مع زيادة بحرق والاحمرار والطرة، لصلاح البدير[1].

(1) وقد استفدت جمع هذه الكتب عن اللامية من: كشف الظنون، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، معجم المؤلفين، هدية العارفين، مقدمة دراسة وتحقيق: الدكتور إبراهيم بن سليمان البعيمي لكتاب: فتح المتعال على القصيدة المسمّاة بلامية الأفعال، فهرس مخطوطات المسجد النبوي، أرشيف ملتقى أهل الحديث، أرشيف ملتقى أهل التفسير.

مقدمة في علم البلاغة

وسنتحدث في هذا العلم عن الآتي:

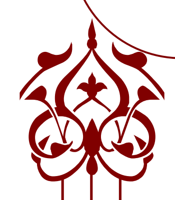
أولاً: المبادئ العشرة لهذا العلم.

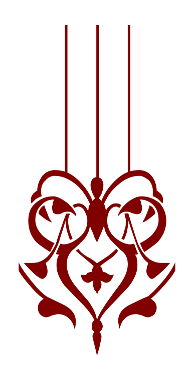
ثانيًا: نشأة البلاغة وتطورها.

ثالثًا: علوم البلاغة: تقسيمها وأغراضها.

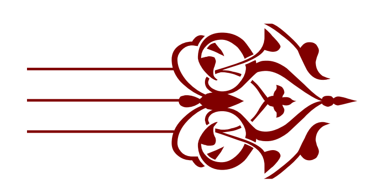
رابعًا: الفرق بين البلاغة والفصاحة.

خامسًا: بعض المتون في البلاغة وشروحها وحواشيها.



أولاً: المبادئ العشرة لهذا العلم:



1- حده

البلاغة لغة: يقال: بلغ الشّجر بلوغًا وبلاغًا: حَان إِدْرَاك ثمره، والغلامُ أدْرك، وَالْأَمرُ وصل إِلَى غَايَته، وَمِنْه ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾[القمر:5] **وَبلغ الشَّيْء بلوغًا:** وصل إِلَيْهِ، **وأبلغه الشَّيْء وَإِلَيْهِ:** أوصله إِلَيْهِ، **وبَالغ فِيهِ مُبَالغَة وبلاغًا:** اجْتهد فِيهِ واستقصى وغالى فِي الشَّيْء، **وبلغ الشيب فِي رَأسه:** ظهر، **وبلغ الفارسُ:** مد يَده بعنان فرسه ليزِيد فِي جريه، **وَبلغ الشَّيْء:** أبلغه، **وَفُلَانًا الشَّيْء:** أبلغه إِيَّاه، **وتبالغ فِيهِ الْمَرَض والهم:** تناهى، **وَتبالغ فِي كَلَامه:** تكلّف البلاغة.

وَقد بلُغ بلاغة: فصح. **وقولٌ بليغ:** بَالغ. **والبليغ:** الْجيد القَوْل، وَالْجمع بلغاء، وَقد بلغ بلاغة. **والبلاغة:** الفصاحة. **وَرَجُلٌ بَلِيغٌ وبَلْغٌ وبِلْغٌ:** حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، ونهاية مراده. وقد بلُغ- بالضم- بلاغة أي: صار بليغًا، **وقول بليغ:** بالغ. **وتقول له في هذا الشيء:** بَلاغٌ وبَلْغة وتبلّغٌ أي: كفاية. **وشيء بالغ:** جيد، **والمبالغة:** أن تبلغ من العمل جَهدك. **ويقال:** خطيب بِلْغٌ- بكسر الباء- إذا كان ذا بلاغة في منطقه، **وأحمق بَلْغٌ:** إذا كان يبلغ في حاجته. **ويقال:** أمرُ الله بَلْغٌ- بفتح الباء- أي: يبلغ ما أراد.

والبلاغة على وجهين: أحدهما: أن يكون بذاته بليغًا، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صوابًا في موضوع لغته، وطبقًا للمعنى المقصود به، وصدقًا في نفسه،

ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصًا في البلاغة.

والثاني: أن يكون بليغًا باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل به أمراً ما، فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له. وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[النساء:63]، يحتمل المعنيين[1].

من خلال ما مضى من التعريف اللغوي: يتبين لنا أن من معاني هذه المادة (بلغ) المختلفة: الجودة، الكفاية، الوصول، الإدراك، التمام، الظهور، الظفر بالحاجة.

ونحن إذا تأملنا في البلاغة بالمعنى الخاص فسنجد أنها تحمل هذه المعاني كلها في الكلام؛ فالكلام البليغ: جيد وكافٍ وافٍ بالمقصود، يصل إلى المراد وتدرك به الحاجة، ويُظهر الأمر للجلاء بخلاف غيره من الكلام، وبه يظفر بالحاجة أكثر من سواه من الحديث.

اصطلاحاً:

البلاغة في الاصطلاح يوصف بها المتكلم والكلام:

فالبلاغة في المتكلم: ملكة يقتدر بها إلى تأليف كلام بليغ.

وأما البلاغة في الكلام فقيل: هي: مطابقة الكلام لمقتضى حَال من يُخَاطبُ

---

(1) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (5/ 536)، المخصص (1/ 208)، تاج العروس (22/ 447)، لسان العرب (8/ 420)، أساس البلاغة (1/ 75)، البارع في اللغة (ص: 275)، الزاهر في معاني كلمات الناس (1/ 173)، المعجم الوسيط (1/ 69).

به مع فصاحة مفرداته وجُمَله. والمراد بالحال: الأمر الداعي إلى التكلم.

وقيل: هي: وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز، وتأدية المعنى أداء واضحًا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلّاب، مع ملاءمة كل كلام للمقام الذي يقال فيه، وللمخاطبين به[1].

وهذا يبين أن البلاغة ما جمعت ثلاثة عناصر رئيسة: الفصاحة في المفردات والجمل، ملاءمة الزمان والمكان والمخاطب، القدرة على التأثير في النفس.

2- موضوعه:

موضوع علم البلاغة العربية: هو اللفظ العربي، من حيث التفاوت في وضوح الدلالة بعد رعاية مطابقته مقتضى الحال. والنظر في الألفاظ المفردة من جهة جزالتها، وسلامتها عن التعقيد، وبراءتها عن البشاعة، مع ما يتعلق بها من الأنواع المجازية، والنظر في دلالة الكلام الخاصة وهي ما يحصل عند التركيب من بلاغة المعاني، وبلوغها أقصى المراتب.

وعالم البلاغة يوجّه اهتمامَه حَوْلَ الكلمة والجملة العربية للمعاني التي تدلُّ عليها صِيَغُ الكلمات، وأُصُول التراكيب وفروعها، وللمعاني الّتي يَدُلُّ عليها التقديم والتأخير في مواضع الكلماتِ عمّا هو الأصْلُ في التراكيب، وللمعاني التي يَدُلُّ عليها الذِّكْرُ والحذف، والاقتصارُ، وَوَضْعُ نوع من الكلام بدَلَ نوعٍ آخر،

(1) ينظر: التعريفات (ص: 46)، البلاغة العربية، لحبنكة (1/ 129)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي (1/ 92)، علم المعاني، لعتيق (ص: 10).

كظاهر بدل مضمر، ومُضمَرٍ بدَلَ ظاهر، واسْمِ موصول بدل اسم جنس، أو اسْمٍ عَلَمٍ، وغير ذلك ممّا فيه دلاَلَةٌ على معنىً يمكن بحسب الاستعمال العربيّ أنْ يُدَلَّ به عليه، ممّا قَصَد به بُلَغاءُ أهل اللّسان الدلالةَ به عليه[1].

3-ثمرته:

إن معرفة علم البلاغة يثمر على صاحبه ثمرات حسنة، منها:

1-فهم الكتاب العزيز ومعرفة مراد الله فيه، وإدراك أسرار إعجازه وقوة بيانه، وهذا مما يجعل لهذا الكتاب العظيم في قلب المسلم زيادة حب وتعظيم وتقديس، ويدعوه إلى مزيد العناية به: قراءة وتأملاً وحفظًا وفهمًا ودعوة. وقد نشأت علوم البلاغة: "لخدمة النصّ القرآني المعجز الذي كان- ولا يزال- شغل الدارسين الشاغل؛ فهو النصّ الذي تحدّى بلاغة القوم، فاحتاج إلى دراسات تشرح إعجازه، وتبيّن مجازه، وتجلو حقيقته وكناياته ولطيف إشاراته"[2]. فكان علم البلاغة.

قال ابن خلدون: "واعلم أنّ ثمرة هذا الفنّ: إنّما هي في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأنّ إعجازه في وفاء الدّلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختصّ بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الّذي تقصر الأفهام عن إدراكه. وإنّما

---

(1) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة (1/ 13) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، لمحيي الدين ديب(ص:208)، البلاغة العربية، لحبنكة(1/ 137).

(2) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، لمحيي الدين ديب (ص: 5).

يدرك بعض الشّيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللّسان العربيّ وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه؛ فلهذا كانت مدارك العرب الّذين سمعوه من مبلّغه أعلى مقامًا في ذلك؛ لأنّهم فرسان الكلام وجهابذته، والذّوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحّه"(1).

2-فهم السنة النبوية الشريفة، وإدراك مدى الفصاحة التي بلغها رسول الله صلى الله عليه والسلام الذي لا من كتاب قرأ، ولا عن معلم بشري تلقّى، فمن سمع النص النبوي أو قرأه أو شرحه وليس له تعلق بعلوم البلاغة فإنه كراكب قارب على سطح البحر لا يصل إلى درره وجواهره وسر جماله، بخلاف البليغ الذي هو أشبه بالغائص الذي يظفر باللآلئ والجواهر.

قال حافظ إبراهيم عن العربية(المتوفى: 1351هـ):

أنا البحرُ في أحشائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتي

3-فهم التراث العربي شعره ونثره، والوقوفُ على جماليات هذه اللغة العزيزة، ومعرفة السمو الباذخ الذي يصل إليه النص العربي الفصيح في قالب قليل ومعنى جليل.

4- التلذذ بالنص العربي البليغ؛ فإن له أثراً جميلاً في نفس المتذوق للجمال، وبلوغ الغاية من الكلام بلفظ وجيز مليح. يقول شيخ البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني(المتوفى: 471هـ): "فإِذا قلتَ: "هو كثيرُ رمادِ القدْر"، كان له موقِعٌ

(1) تاريخ ابن خلدون (1/ 762).

وحظٌّ من القَبول لا يكون إذا قلتَ: "هو كثيرُ القِرى والضِّيافة". وكذا إذا قلتَ: "هو طويلُ النِّجاد"، كان له تأثيرٌ في النفس لا يكون إذا قلتَ: "هو طويلُ القامة". وكذا إذا قلتَ: "رأيتُ أسداً"، كان له مزيةٌ لا تكونُ إذا قلتَ: "رأيتُ رجلاً يُشبهُ الأسدَ ويُساويه في الشجاعة". وكذلك إذا قلتَ: "أَراكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وتؤخِّرُ أخرى"، كان له موقعٌ لا يكون إذا قلت: "أراد: تترَدَّدُ في الذي دعوتُكَ إليه، كمَنْ يقولُ: أَخرجُ ولا أخرجُ، فيُقدِّمُ رِجْلاً ويؤُخِّر أُخرى". وكذلك إذا قلتَ: "أَلْقى حبْلَه على غاربه"، كان له مأخَذٌ من القَلْب لا يكونُ إذا قلتَ: "هو كالبعيرِ الذي يُلْقَى حَبْلُه على غاربة حتى يَرْعى كيْفَ يشاءُ ويذهَبَ حيثُ يُريد". لا يَجْهَلُ المزيةَ فيه إلاَّ عديمُ الحِسِّ ميِّتُ النَّفْس، وإلاَّ مَنْ لا يكلِّم؛ لأنه من مبادئ المعرفةِ التي مَن عَدِمَها لم يَكنْ للكلام معه معنى"[1].

5-التمييز بين الفصيح والأفصح والرديء من الكلام العربي؛ فإن غالب ذلك لا يدركه إلا الغائصون في أعماق البلاغة العربية الذين ينقدون عن دراية وتجربة.

"لهذا كانت البلاغة زاد الناقد في عملية تفكيك النّصوص؛ بحثًا عن جماليّة الصورة وعناصر التخييل. والخطبة كالقصيدة لا تخلو من الصور الجمالية، يلجأ صاحبها إلى التحسين والتزيين شأن الشاعر الذي ينفر من المباشرة، ويفزع إلى التشكيل الجميل"[2].

---

(1) دلائل الإعجاز (1/ 430).

(2) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 6).

6- الإلمام بالبلاغة العربية يبِّصر جمهرة العرب والمسلمين بقيمة هذه اللغة ليعرفوا تفوقها على سائر اللغات، فيعشقوها ويلزموها، ويعضوا عليها بالنواجذ، ويحموها من كل عادية[1].

7-القدرة على إنشاء الكلام الحسن شعراً ونثراً؛ فإن من لا يعرف الجمال كيف يصفه أو يؤلفه؟

قال أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ): "ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة، ومناقب معروفة، منها: أنّ صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه، وفرّط في التماسه، ففاتته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوته، عفّى على جميع محاسنه، وعمّى سائر فضائله؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيّد، وآخر رديء، ولفظ حسن، وآخر قبيح، وشعر نادر، وآخر بارد؛ بان جهله، وظهر نقصه. وهو أيضاً إذا أراد أن يصنع قصيدة، أو ينّشئ رسالة وقد فاته هذا العلم مزج الصّفو بالكدر، وخلط الغُرر بالعُرر[2]، واستعمل الوحشي العكر، فجعل نفسه مهزأة للجاهل، وعبرةً للعاقل... وإذا أراد أيضاً تصنيف كلام منثور، أو تأليف شعر منظوم، وتخطّى هذا العلم ساء اختياره له، وقبحت آثاره فيه، فأخذ الرديء المرذول، وترك الجيد المقبول، فدل على قصور فهمه، وتأخّر معرفته وعلمه"[3].

ويقول حبنكة (المتوفى: 1425هـ): "والْغَرَضُ من عرض الباحثين لفنون

(1) الكافي في علوم البلاغة، للعاكوب والشتيوي(6) بتصرف.

(2) **الغرر**: أول الكلام وأحسنه. **والعرر**: سقط الكلام ورديئه.

(3) كتاب الصناعتين (ص: 1).

البلاغة وعلومها، وللمذاهب الأدبيّة المختلفة، وللأمثلة الأدبيّة الراقية المقرونةِ بالتحليل الأدبي والبلاغي: تَرْبيةُ القدرة على الإحساس بعناصر الجمال الأدبيّ في الكلام الأدبيّ الرفيع، وتربية القدرة على فهم النصوص الجميلة الراقية، والقدرة على محاكاة بعضها في إنشاء الكلام، والقدرة على الإبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرهم الاستعداد لشيء من ذلك"[1].

ويقول صاحب الطراز: "المطلب الخامس في بيان ثمرته.

واعلم أنه يراد لمقصدين:

المقصد الأول منهما: مقصد دينيّ، وهو الاطّلاع على معرفة إعجاز كتاب الله، ومعرفة معجزة رسول الله ﷺ؛ إذ لا يمكن الوقوف على ذلك إلّا بإحراز علم البيان، والاطّلاع على غوره؛ فإن هذا العلم لمن أشرف العلوم في المنقبة، وأعلاها في المرتبة، وأنورها سراجا، وأوضحها منهاجا، وأجمعها للفوائد، وأحواها للمحامد، ومع ما اشتمل عليه من الفضائل نخص هذا الموضع بذكر فضيلتين تدلان على غيرهما من سائر **فضائله:**

الفضيلة الأولى: أن الرسول ﷺ- مع ما أعطاه الله من العلوم الدينية، وخصه بالحكم والآداب الدنيوية- فلم يفتخر بشيء من ذلك، فلم يقل: أنا أفقه الناس، ولا أنا أعلم الخلق بالحساب، والطب، بل افتخر بما أعطاه الله من علم الفصاحة

---

(1) البلاغة العربية (1/ 11).

والبلاغة، فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أنا أفصح من نطق بالضاد»[1]، وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (أوتيت خمسًا لم يعطهن قبلي أحد؛ كان كل نبيّ يبعث إلى قومه، وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرّعب بين يدي مسيرة شهر، وأوتيت جوامع الكلم)[2].

---

(1) **قال ابن كثير**: "لا أصل". تفسير ابن كثير (1/ 143)، وكذا قال بعده: الزركشي (المتوفى: 794هـ) في التذكرة في الأحاديث المشتهرة (ص: 160)، والسخاوي (المتوفى: 902هـ) في المقاصد الحسنة (ص: 167)، وجمال الدين ابن المِبْرَد الحنبلي (المتوفى: 909 هـ)، في التخريج الصغير والتحبير الكبير (3/ 33)، والسيوطي (المتوفى: 911هـ) في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص: 56)، والملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (ص: 61)، ومرعي الكرمي (المتوفى: 1033هـ) في الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة (ص: 94)، والشوكاني (المتوفى: 1250هـ) في الفوائد المجموعة (ص: 327). قال العجلوني (المتوفى: 1162هـ) في كشف الخفاء (1/ 228):"وأورده أصحاب الغريب ولا يُعرَف له إسناد، ورواه ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدي مرسلًا بلفظ: أنا أعربكم، أنا من قريش، ولساني لسان سعد بن بكر. ورواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري بلفظ: أنا أعرب العرب، ولدت في بني سعد، فأنى يأتيني اللحن؟!. كذا نقله في مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا للجلال السيوطي، ثم قال فيه: والعجب من المحلي حيث ذكره في شرح جمع الجوامع من غير بيان حاله، وكذا من شيخ الإسلام زكريا حيث ذكره في شرح الجزرية، **ومثله**: (أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش)، أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده".

ولكن معناه صحيح كما قال الزركشي. وقال الحلبي (المتوفى: 1044هـ) في السيرة الحلبية (1/ 30): " ومعناه صحيح؛ لأن المعنى: أنا أفصح العرب؛ لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد في غير لغتهم".

(2) رواه مسلم (521).

الفضيلة الثانية: أنه لولا علوّ شأنه، وارتفاع قدره، لما كان خير كتب الله المنزل على أفضل أنبيائه، إعجازه متعلقًا به؛ فإن القرآن إنما كان إعجازه من أجل ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة، ولم يكن إعجازه ما اشتمل عليه من أنباء الغيب، ولا من الحكم والمواعظ وغيرها من الأوجه كما سنقرر المختار في إعجازه في الفن الثالث بمعونة الله تعالى، فهذا مقصد عظيم يراد لأجله هذا العلم.

المقصد الثاني: مقصد عام لا يتعلق به غرض ديني، وهو الاطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة في غير القرآن، في منثور كلام العرب ومنظومه؛ فإن كل من لا حظّ له في هذا العلم لا يمكنه معرفة الفصيح من الكلام، والأفصح، ولا يدرك التفرقة بين البليغ والأبلغ، والمنثور من كلام العرب أشرف من المنظوم، لأمرين: أما أولاً: فلأن الإعجاز إنما ورد في القرآن بنظمه وبلاغته، ولم يرد بطريقة نظم الشعر وأسلوبه. وأما ثانيًا: فلأن الله تعالى شرّفه عن قول الشعر ونظمه، وأعطاه البلاغة في المنثور من الكلام وما ذاك إلّا بفضل المنثور على المنظوم "[1].

8- أن علم البلاغة نافع للأديب، والناقد، والمؤرخ، ولكل كاتب، أو متكلم، أو خطيب، أو مدرس؛ فإنه ينير أمام هؤلاء جميعًا الطريق، ويعينهم على أن تكون آثارهم اللغوية مفيدة، مؤثرة، ممتعة، تغذي العقل والشعور والأذواق[2].

---

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 20).

(2) الأسلوب، للشايب (ص: 17).

4 -فضله :

لعلم البلاغة العربية فضل عظيم على سائر العلوم، وقد صرح بذلك أهلها مبينين وجوه هذا الفضل:

قال أبو هلال العسكري: "اعلم- علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله- أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ- بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه-: علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحّة النبوة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدّين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشكّ بيقينها.

وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمنّه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها"[(1)].

قال الجرجاني: "ثم إنك لا تَرى عِلْماً هو أرسَخُ أصلاً، وأَبْسَق فَرعاً، وأَحلى جَنىً، وأَعذبُ ورْداً، وأكرمُ نِتاجاً، وأنْورُ سراجاً، مِن عِلْم البَيان، الذي لولاه لم تر لساناً يَحُوك الوشيَ، ويصَوغ الحَلْيَ، وَيلفِظ الدرَّ، وينفثُ السِّحرَ، ويَقْري

(1) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 1).

الشَّهْدَ، ويُريكَ بدائعَ منَ الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من التمر، والذي لولا تحفّيه بالعلوم، وعنايتُهِ بها، وتصويرهُ إياها، لبقيتْ كامنةً مستورة، ولمَا استبنْتَ لها يدَ الدهرِ صورةً، ولاستمرَّ السِّرارُ بأهلَّتها، واسْتَولى الخَفَاءُ على جُملتِها، إلى فوائدَ لا يُدركها الإحصاءُ، ومحاسنَ لا يَحْصرُها الاستقصاء"[1].

وقال الزمخشري (المتوفى: 538هـ): "ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وانهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها؛ علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوي والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القريّة أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه؛ لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما: علم المعاني، وعلم البيان"[2].

وقال السيوطي (المتوفى: 911هـ):".. وقال ابن أبي الحديد: وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل

---

(1) دلائل الإعجاز (1/ 5).

(2) تفسير الزمخشري (المقدمة/ 2).

الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة، فإلى أولئك ينبغي أن يُرجع في معرفة الكلام، وفضل بعضه على بعض"(1).

وقال يحيى بن حمزة (المتوفى: 745هـ): "أما بعد، فإن العلوم الأدبية- وإن عظم في الشرف شأنها، وعلا على أوج الشمس قدرها ومكانها- خلا أن علم البيان هو أمير جنودها، وواسطة عقودها، وفلكها المحيط الدائر، وقمرها السامر الزاهر، وهو أبو عذرتها، وإنسان مقلتها، وشعلة مصباحها، وياقوتة وشاحها. ولولاه لم تر لسانًا يحوك الوشي من حلل الكلام، وينفث السحر مفتر الأكمام، وكيف لا وهو المطلع على أسرار الإعجاز، والمستولي على حقائق علم المجاز. فهو من العلوم بمنزلة الإنسان من السواد، والمهيمن عليها عند السبر والحك والانتقاد"(2).

وقال أيضًا: "العلم المعبّر عنه بعلم البيان هو علم الفصاحة. وعلم المعاني هو المعبّر عنه بعلم البلاغة. وهو أجلّ العلوم الأدبية قدراً ومكانا، وأعلاها منزلة وأكبرها شأنا؛ لأنه علم يستولي على استخراج أسرار البلاغة من معادنها، وهذه توجد محاسن النكت المودعة في أصدافها ومكامنها. وهو الغاية التي ينتهى إليها فكر النّظّار، والضّالة التي يطلبها غاصة البحار، وعليه التعويل في الاطّلاع على

---

(1) الإتقان في علوم القرآن (4/ 214).

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 5).

حقائق الإعجاز في القرآن، وإليه الإسناد عند المسابقة في الخصل والرهان، ومنه تستثار المعاني الدقيقة على مرّ الدّهور وتخرّم الأزمان. فظهر بما ذكرناه أن موقع علم البيان من العلوم الأدبية موقع الإنسان من سواد الأحداق. ومن ثمّ لم يستقل بدركه وإحراز أسراره إلا كل سباق"[1].

وقال الخطيب القزويني (المتوفى: 739 هـ): "علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدرا؛ وأدقّها سرّا؛ إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها"[2].

وقال القلقشندي (المتوفى: 821هـ): "واعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان يحتاج إلى التعلق بجميع العلوم، والخوض في سائر الفنون؛ فليس احتياجه إلى ذلك على حدّ واحد، بل منها ما يحتاج إليه بطريق الذات وهي موادّ الإنشاء التي يستمدّ منها، ويقتبس من مقاصدها؛ كاللغة التي منها استمداد الألفاظ، والنحو الذي به استقامة الكلام، وعلوم البلاغة: من المعاني والبيان والبديع التي هي مناط التحقيق والتحسين والتقبيح، ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى"[3].

وقال محمد علي السَّراج: "هي من أجل علوم العربية قدرا، وأجزلها نفعا، بها يظهر إعجاز القرآن، وتُجلى عرائس البيان، وبفضلها يهْتدى إلى حسْن اللفظ، وجودة الوصف، ولطف الإشارة، وحسن الاستعارة. فإذا كان اللفظُ فصيحا،

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 15).
(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 46).
(3) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (1/ 181).

والمعنى شريفا، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[1].

وقال الأخضري (المتوفى: 983هـ) في مقدمة جوهره المكنون[2]:

الحَمْـــدُ لله البـــديعِ الهـــادي ... إلـــى بيـــانِ مهيـــع الرشـــادِ

أمـــدَّ أربـــاب النُّهـــى ورســـما ... شـــمسَ البيـــان في صـــدور العُلَمـــا

فأبـــصروا معجـــزةَ القـــرآنِ ... واضـــحةً بـــساطع البرهـــانِ

وشـــاهدوا مطـــالعَ الأنـــوارِ ... ومـــا احتـــوت عليـــه مِـــنْ أســـرارِ

فنَزَّهـــوا القلـــوب في رياضِـــهِ ... وأوردوا الفِكْـــر علـــى حياضـــهِ

...

هـــذا وإنَّ دُررَ البيـــانِ ... وغـــررَ البـــديع والمعـــاني

تهـــدي إلـــى مـــواردٍ شـــريفهْ ... ونُبـــذةٍ بديعـــةٍ لطيفـــهْ

مـــن علـــم أســـرار اللـــسان العربـــي ... ودَرْكِ مـــا خُـــصَّ بـــه مِـــنْ عَجَـــبِ

لأنـــه كـــالرُّوح للإعـــرابِ ... وهـــو لعلـــم النحـــوِ كاللُّبـــابِ

5- **نسبته:**

نسبة علم البلاغة لسائر العلوم: التباين والتخالف، وهو أحد علوم العربية الاثني عشر، وقد جمعها بعض أهل العلم في أبيات، **ومن ذلك قول العلامة ابن**

(1) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب (ص: 157).

(2) (ص: 3).

الطيِّب المغرِبيّ (المتوفى: 1170هـ) مُحِشّي القاموس:

خُــذْ نَظْــمَ آدابٍ تَــضَوَّعَ نَــشْرُها ... فطـوى شـذا المنثـورِ حـين تَـضُوعُ

لُغَــةٌ وصَــرْفٌ واشــتقاقٌ نَحْوُهــا ... عِلْــمُ الْمَعَــانِي بِالْبَيَــانِ بَــدِيعُ

وعَــرُوضُ قَافِيَــةٌ وإِنْــشَاْ نَظْمُهــا ... وكتابــةُ التــاريخِ لــيسَ يَـضِيعُ [(1)].

6-واضعه :

كانت هناك جهود مشكورة لبناء هذا العلم الشامخ مبعثرة هنا وهنـاك-سيأتي الحديث عن بعضها في النشأة والتطور- فقيض الله عَلَمًا فـذاً جمع هـذا الـشتات، وأقام منه بنيان البلاغة العربية، فنسب إليه وضع أساسها الصحيح.

قال يحيى بن حمزة: "وأول مـن أسس مـن هـذا العلـم قواعـده، وأوضـح براهينه، وأظهر فوائده، ورتب أفانينه: الشيخ العالم النحرير، علم المحققين: عبد القاهر الجرجاني. فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد، وفتح أزهاره من أكمامها، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها. فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والإجزاء"[(2)].

وقال الرافعي (المتوفى: 1356هـ): "ووضع الإمام عبد القاهر الجرجاني مؤسس علم البلاغة كتابيه: "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" لإثبات ذلك

(1) المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، لأبي الوفاء الهوريني (ص: 30).

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 6).

بطريقة فنية، وقواعد علمية"[1].

وقال المراغي (المتوفى: 1371هـ): "تمخض القرن الخامس فولد نادرة البطن، ونابغة البلغاء، وإمام حلبة الفصحاء أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، الذي نظر يمنة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا نتفًا مبعثرة، لا تسمن ولا تغني من جوع، فشمّر عن ساعد الجد، وجمع متفرقاتها، وأقام بناءها على أسس متينة، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار، وأملى من القواعد ما شاء الله أن يملي في كتابيه: "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز" وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد، حتى أناف بها على اليفاع، وقرن فيهما بين العلم والعمل؛ إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والنماذج، فالصور الإجمالية التي تؤخذ من القواعد إن لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج، لا تتمثل في الأذهان حق التمثل، ولا تنجلي حقيقتها تمام الانجلاء. وقد ساعده على ذلك: ما آتاه الله من عذوبة البيان، وما تجلى به فعله من الطلاوة الخلابة، والبلاغة الساحرة للألباب"[2].

وقال الصعيدي (المتوفى: 1391هـ): "الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي ذهب بالشهرة في هذه العلوم، حتى عدّوه بحق شيخ البلاغة؛ لأنه هو الذي وضع أساسها الصحيح بكتابيه: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، **وكان يسمي مسائل البلاغة**: علم البيان، وقد ذكر أن هذا العلم لقي من الضيم ما لقي، ودخل

---

(1) تاريخ آداب العرب (2/ 14).

(2) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 8).

على الناس من الغلط في معناه ما دخل، فأراد أن يوفيه حقه، ويقرر قواعده تقريرًا يليق به، فوضع فيه هذين الكتابين. وهو يسميه علم البيان بالمعنى الذي يشمل علوم البلاغة الثلاثة الآتية: المعاني، والبيان، والبديع؛ لأن البيان هو المنطق الفصيح المُعْرِب عما في الضمير، والعلوم الثلاثة لها تعلّق بالكلام الفصيح تصحيحًا وتحسينا"(1).

7-اسمه :

علم البلاغة.

وقد أطلق عليه هذا الاسم عدد من العلماء والأدباء السابقين، منهم:

1-أبو هلال العسكري حيث قال: "اعلم- علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله-أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ- بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه-: علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة"(2).

2-الزمخشري حيث قال:"وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة"(3).

3-الخطيب القزويني حيث قال: "علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدرا..."(4).

---

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (1/ 3).

(2) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 1).

(3) تفسير الزمخشري (3/ 45).

(4) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 46).

4-يحيى بن حمزة من تسميته كتابه: "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" ، ومن قوله: "فعلم المعاني وعلم البيان يرجعان في الحقيقة إلى علم البلاغة والفصاحة"[1].

5-صلاح الدين الصفدي (المتوفى: 764هـ)، حيث قال: "فإن أراد بالبيان الذي اصطلح عليه أرباب البلاغة، وهو أحد أقسام علم البلاغة..."[2].

6-بهاء الدين السبكي (المتوفى: 773 هـ) حيث قال: "أما بعد، فإن تلخيص المفتاح في علم البلاغة وتوابعها بإجماع من وقف عليه"[3].

وقد يُطلَق على هذا العلم اسمُ أحد أقسامه وهو البيان كما كان يُطلِق عليه بعض أهل العلم:

أ-كعبد القاهر الجرجاني في قوله: "ثم إنك لا تَرى عِلْماً هو أرسَخُ أصلاً، وأَبْسَق فَرعًا، وأَحلى جَنىً، وأَعذبُ وِرْداً، وأكرمُ نِتاجًا، وأنْورُ سراجًا؛ مِن عِلْم البَيان"[4].

قال الصعيدي عن عبد القاهر:"وكان يسمي مسائل البلاغة علم البيان"[5].

---

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 10).

(2) نصرة الثائر على المثل السائر (ص: 12).

(3) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 20).

(4) دلائل الإعجاز (1/ 5).

(5) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (1/ 3).

مع أنه-أي: عبد القاهر- قد يطلق اسم هذا العلم " علم البلاغة" و" علوم البلاغة" في بعض المواضع من كتابه دلائل الإعجاز؛ كقوله: "لأنّا لا نَرى متقدِّماً في علمِ البلاغةِ، مبرِّزاً في شأوِها، إلاَّ وهو يُنْكِرُ هذا الرأيَ وَيَعيبُه، ويُزْري على القائل به ويغض منه"[1].

وقوله: "واعلمْ أنَّه ما من عِلْمٍ من علوم البلاغة أنت تقول فيه: "إنه خَفيٌّ غامضٌ، ودقيقٌ صَعْبٌ" إلاّ وعِلْمُ هذا البابِ أغمضُ وأخفى وأدقُّ وأصعبُ"[2].

ب-وكذلك الزمخشري، ومن ذلك قوله: "فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان"[3]. ومن المعلوم أن الالتفات من مباحث البديع.

أما ابن خلدون (المتوفى: 808هـ) فربما أطلق علم البلاغة على خصوص علم المعاني، ويطلق على العلم كله علم البيان، حيث قال: "فاشتمل هذا العلم المسمّى بالبيان على البحث عن هذه الدّلالة الّتي للهيئات والأحوال والمقامات، **وجعل على ثلاثة أصناف: الصّنف الأوّل:** يبحث فيه عن هذه الهيئات والأحوال الّتي تطابق باللّفظ جميع مقتضيات الحال، ويسمّى علم البلاغة، **والصّنف الثّاني:** يبحث فيه عن الدّلالة على اللّازم اللّفظيّ وملزومه وهي الاستعارة والكناية كما

(1) دلائل الإعجاز (1/ 252).

(2) دلائل الإعجاز (1/ 231).

(3) تفسير الكشاف (1/ 56).

قلناه، ويسمّى علم البيان. **وألحقوا بهما صنفًا آخر وهو**: النّظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التّنميق؛ إمّا بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه؛ لاشتراك اللّفظ بينهما، وأمثال ذلك، ويسمّى عندهم علم البديع"[1].

ج-وكذا قال يحيى بن حمزة في علم المعاني؛ حيث قال: "فإذا قلنا: علم المعاني فالمقصود علم البلاغة على أساليبها وتقاسيمها. والمفهوم من قولنا: علم البيان هو الفصاحة، وهي غير مقصورة على الكلم المفردة دون المركبة"[2].

ويقول القزويني: "وكثير من الناس يسمى الجميع علم البيان. وبعضهم يسمى الأول علم المعاني، والثاني والثالث علم البيان، والثلاثة علم البديع"[3].

8-استمداده:

من كلام الله تعالى، وكلام رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن كلام العرب الفصحاء.

فالقرآن مليء بالأساليب البلاغية في الفنون الثلاثة، وغني بأمثلتها لمن تدبر فيه، يقول الثعالبي: "من أراد أن يعرف جوامع الكلم، ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكفاية الإيجاز، فليتدبر القرآن،

---

(1) تاريخ ابن خلدون (1/ 761).

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 10).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 51).

وليتأمل علوه على سائر الكلام"[1]. ثم ساق أمثلة عديدة على ما يقول.

وكذلك سنة نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثرية بأمثال البلاغة وفنونها، يقول الرافعي: "هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةَ ممنوعة.

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، مُحكمَة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفصولة...."[2].

9- حكم الشارع فيه:

فرض كفاية، وقد يتعين على بعض المسلمين؛ كالمفسر لكتاب الله والمحدِّث؛ فإن القرآن الكريم لا يبين وجوه إعجازه، ويجلي محاسنه في نظمه وأساليبه ومفرداته وجمله إلا ذوو العلم بالبلاغة، وأرباب المعرفة بالفصاحة؛ ولهذا جعل من شروط المفسر: المعرفة الكافية بهذا العلم في أقسامه الثلاثة؛ قال السيوطي- وهو يعدد شروط المفسر وآدابه-: "الخامس والسادس والسابع:

---

(1) الإعجاز والإيجاز (ص: 15).

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص: 193) وينظر بقية كلام الرافعي ودراسته البلاغية لبلاغة النص النبوي في الكتاب المذكور.

المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام. وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم. قال السكاكي: اعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا التمرن على علمي المعاني والبيان "[1].

وقال أبو هلال العسكري: "أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ- بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه-: علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذى به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى"[2].

وقال ابن خلدون: "وأحوج ما يكون إلى هذا الفنّ المفسّرون، وأكثر تفاسير المتقدّمين غفل عنه، حتّى ظهر جار الله الزّمخشريّ ووضع كتابه في التّفسير وتتبّع آي القرآن بأحكام هذا الفنّ بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التّفاسير، لولا أنّه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة. ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السّنّة مع وفور بضاعته من البلاغة. فمن أحكم عقائد السّنّة وشارك في هذا الفنّ بعض المشاركة حتّى يقتدر على الرّدّ عليه من جنس كلامه، أو يعلم أنّه بدعة فيعرض عنها ولا تضرّ في معتقده؛ فإنّه يتعيّن

(1) الإتقان في علوم القرآن (4/ 214).

(2) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 1).

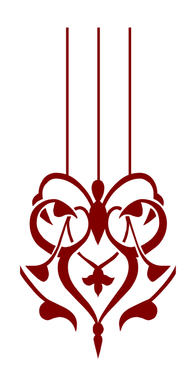
عليه النّظر في هذا الكتاب للظّفر بشيء من الإعجاز، مع السّلامة من البدع والأهواء"[1].

10-مسائله:

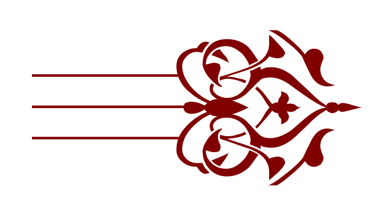
قضاياه التي تذكر فيه؛ كالتشبيه والمجاز والكناية، والخبر والإنشاء، وأحوال المسند والمسند إليه، والمحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية، وغير ذلك.

---

(1) تاريخ ابن خلدون (1/ 762).



ثانيًا: نشأة البلاغة وتطورها:



بلغ العرب قبل الإسلام مرتبة عالية في البلاغة والبيان، وقد كشف عن ذلك شعر فصحائهم وخطب بلغائهم، وأسواق أدبهم، وعرض نتاجهم الشعري على مراجعهم الشعرية النقدية كالنابغة.

فلما نزل القرآن الكريم فتح أمامهم آفاقًا رحبة إلى سعة البلاغة والفصاحة، فوقفوا إزاء ذلك معجبين مؤمنين، أو منبهرين خانعين.

ثم أخذت فنون القول في العهد الأموي بالازدهار عبر القصائد والخطب المختلفة التي لاقى بعضها بعض النظرات النقدية من أهل ذلك العصر بسبب ما وصلوا إليه من الحس البلاغي والأدبي.

وظلت الملحوظات البلاغية على النص الأدبي في الاتساع في العهد العباسي بفعل تطور الحياة العقلية والحضارية.

ففي القرن الثاني الهجري وما تلاه ظهرت آراء بلاغية عديدة، وبرز أعلام كبار كان لهم جهود ملحوظة في هذا الميدان منها ما دون وبقي، ومنها ما ذهب؛ ومن هؤلاء: بشر بن المعتمر (المتوفى: 210هـ)، وابن المقفع (المتوفى: 142هـ)، والجاحظ (المتوفى: 255 هـ).

ومما دونت فيه تلك الآراء البلاغية في هذه الحقبة: مجاز القرآن لأبي عبيدة (المتوفى: 207هـ)، والفصاحة للدينوري (المتوفى: 280هـ)، وصناعة الكلام،

والبيان والتبيين، للجاحظ، والبلاغة وقواعد الشعر للمبرد(المتوفى: 286هـ)، وغير ذلك.

ثم جاء ابن المعتز (المتوفى: 296هـ) الذي ألف كتابه القيم "البديع"، وثعلب(المتوفى: 291هـ) الذي ألف كتابه "قواعد الشعر"، وبعد قليل ظهر نقد النثر كما ظهر نقد الشعر لقدامة بن جعفر (المتوفى عام 337هـ). ثم كتاب الصناعتين لأبي هلال ، ثم كتاب الموازنة للآمدي(المتوفى: 370 هـ) ، والوساطة لأبي الحسن الجرجاني (المتوفى: 392هـ) ، وإعجاز القرآن للباقلاني (المتوفى: 403هـ) ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (المتوفى: 466هـ)، والعمدة لابن رشيق (المتوفى: 463 هـ).

ثم جاء بعد ذلك أبو بكر عبد القاهر الجرجاني الذي نظر يمنة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا نتفًا مبعثرة لا تسمن ولا تغني من جوع، فشمر عن ساعد الجد، وجمع متفرقاتها، وأقام بناءها على أسس متينة، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار، وأملى من القواعد ما شاء الله أن يملي في كتابيه: "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز" وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد، حتى أناف بها على اليفاع، وقرن فيهما بين العلم والعمل؛ إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والنماذج، فالصور الإجمالية التي تؤخذ من القواعد، إن لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج، لا تتمثل في الأذهان حق التمثل، ولا تنجلي حقيقتها تمام الانجلاء، فألف في البلاغة كتابين جليلين هما:

1 – أسرار البلاغة، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه

ومجاز واستعارة، وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع.

2- دلائل الإعجاز، وفيه بحوث كثيرة هي أصول علم المعاني. كما أنه تحدث فيه عن الكناية وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات أيضًا.

وبعد عصر الجرجاني بحث الزمخشري في تفسيره، والرازي(المتوفى: 606هـ) في كتابه: "نهاية الإيجاز"، وابن الأثير (المتوفى: 637هـ) صاحب المثل السائر، وبدر الدين ابن مالك(المتوفى: 686هـ) صاحب المصباح، والتنوخي (المتوفى: 748هـ) صاحب "الأقصى القريب"، وكثير من العلماء، في البلاغة والفصاحة.

ومن أبرز هؤلاء العلماء في هذا الطور: أبو يعقوب السكاكي (المتوفى عام 626هـ) ، الذي ألف كتابه: "المفتاح"، وجعله أقسامًا، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: المعاني -البيان- البديع.

وقد جمع في القسم الثالث منه زبدة ما كتبه الأئمة قبله في هذه الفنون، ونظم لآلئها المتفرقة في تضاعيف كتبهم، وأحاط بكثير من قواعدها المبعثرة في الأمهات، ورتبها أحسن ترتيب، وبوبها خير تبويب، وفصل فنون البيان الثلاثة بعضها من بعض؛ لما كان له من واسع الاطلاع على علوم المنطق والفلسفة.

ولولا أن المؤلف أولع بتطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم مع ما بينهما من بعد الدار، وشط المزار واختلاف البيئات وتباين المعتقدات؛ لكان خير كتاب أخرج للناس في هذه الفنون؛ لجمعه شتاتها، وضمه ما تفرق من قواعدها.

والفلسفة والمنطق تغلب على السكاكي إلى حد كبير، من حيث كان يغلب الذوق والطبع على عبد القاهر.

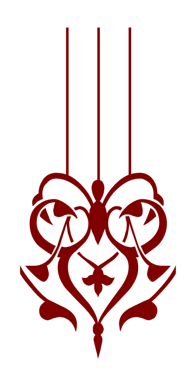
وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل.

وبينما السكاكي يؤلف كتابه "مفتاح العلوم" إذا بالوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر بن محمد الموصلي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي، يصنف كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وهو كتاب فريد في بابه يفوق أنداده وأترابه، جمع فيه فأوعى، ولم يترك شاردة ولا واردة لهما مساس بالكتابة والقريض إلا ذكرهما بشرح واف، يدل على طول باع، وسعة اطلاع، مع قدرة على النقد، وبديهة حاضرة في إدراك خصائص البلاغة، ومن ثمة اشتمل كتابه على كثير من أبواب تلك الفنون، وطبق عليهما كثيرًا من آي الكتاب والسنة النبوية، وتلك منقبة امتاز بها من بين هاتيك المؤلفات في تلك العلوم.

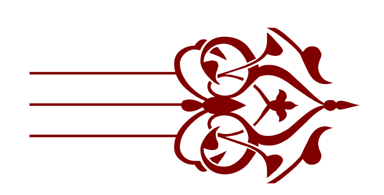
ثم جاء الخطيب القزويني فألف في البلاغة كتابيه: تلخيص المفتاح، والإيضاح عليه. وجمع في هذا الشرح كثيرًا من آراء عبد القاهر والسكاكي في شيء من التنظيم والشرح.

وعلى متن التلخيص كثرت الشروح والحواشي والتقارير. كما سيأتي معنا. ثم كثر التأليف بعد ذلك وانتشر[1].

(1) **أفدت أكثر ما هنا من كتب:** البلاغة تطور وتاريخ د. شوقي ضيف، مقدمة محمد عبد المنعم خفاجي لكتاب الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، مقدمة كتاب: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي.



ثالثًا: علوم البلاغة: تقسيمها وأغراضها:



استقر الأمر في الدرس البلاغي على تقسيم علوم البلاغة إلى ثلاثة هي: البيان والمعاني والبديع، وقد كان قبل ذلك يطلق عليها جميعًا علم البيان -كما تقدم-، أو علم المعاني وعلم البيان كما سبق عند الزمخشري، ومن بعده السكاكي، أما عبد القاهر فكان يطلق على علم المعاني "النظم"، قال شوقي ضيف: "يقول الزمخشري: إنه لابد من التجرد لذلك وطول الكد والتنقير والبحث حتى يبلغ من يتصدى للتفسير الغاية في معرفة علمي المعاني والبيان. وهذه هي أول مرة يلقانا هذا التمييز بين العلمين الأساسيين للبلاغة. وكان عبد القاهر كما أسلفنا يسمي العلم الأول علم النظم، أو الأسلوب..."[1].

فجاء السكاكي بعد ذلك فكان " أول من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح «علم المعاني»، وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة والخيال التشبيه والمجاز والكناية مصطلح «علم البيان»، وأنّه أول من سمّى غير هذه البحوث محسنات، أو «وجوهًا مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام»، وقسّمها إلى ما يختص بالمعنى وما يتعلق باللفظ. ولم يسمّها بديعًا، وكان بدر الدين ابن مالك صاحب «المصباح» هو الذي أطلق عليها هذا المصطلح، وتابعه الخطيب القزويني والمتأخرون"[2].

---

(1) البلاغة تطور وتاريخ (221).

(2) أساليب بلاغية، أحمد مطلوب (ص: 77).

ويقول عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396 هـ) عن بدر الدين ابن مالك :" وقد جرى على رأي السكاكي في النظر إلى علمي المعاني والبيان على أنّهما مرجع البلاغة، وإلى الفصاحة على أنّها مرجع المحسنات البديعية، ومع اعترافه بأنّ هذه المحسنات توابع للمعاني والبيان؛ فإنّه جعلها علمًا مستقلًا سماه «علم البديع»، وبذلك مهّد لأن تصبح البلاغة العربية متضمنة ثلاثة علوم"(1).

وفي غرض هذه العلوم الثلاثة في البلاغة يقول الهاشمي (المتوفى: 1362هـ):

"**العلم الأول**: ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع، ويسمى «علم المعاني» .

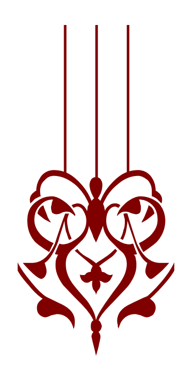
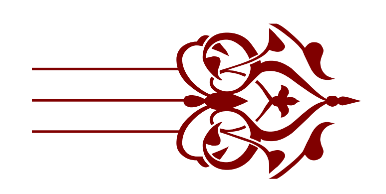
العلم الثاني: ما يحترز به عن التعقيد المعنوي -أي: عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد- ويسمى «علم البيان».

العلم الثالث: ما يراد به تحسين الكلام ويسمى «علم البديع» فعلم البديع تابع لهما؛ إذ بهما يعرف التحسين الذاتي، وبه يعرف التحسين العرضي"(2).

---

(1) علم البيان (ص: 38).

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 16).

رابعًا: الفرق بين البلاغة والفصاحة:

اختلف البلاغيون في هذه المسألة إلى قولين:

القول الأول: ليس هناك فرق بين البلاغة والفصاحة، بل هما مترادفان.

قال أبو هلال-بعد أن عرف البلاغة والفصاحة لغة-: "وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما؛ لأنّ كلّ واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له"[1].

وقال فخر الدين الرازي: "وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما"[2].

وهذا صنيع عبد القاهر من عدم التفريق بينهما حيث قال: "فصل: في تحقيق القول على البلاغة" والفصاحة، والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك، مما يُعبَّر به عن فضلِ بعضِ القائلين على بعضٍ، من حيثُ نَطقوا وتكلَّموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أنْ يُعْلِمُوهم ما في نفوسهم، ويَكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"[3].

---

(1) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 7).

(2) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 50).

(3) دلائل الإعجاز (1/ 43).

ويشهد للترادف قول الجوهري في الصحاح: "والبلاغة: الفصاحةُ"[1].

وعلى هذا الرأي فمرجعهما وما شاكلهما النظمُ والكلام دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة[2].

القول الثاني: بين البلاغة والفصاحة فرق؛ فالفصاحة: يوصف بها المفرد، والكلام، والمتكلّم والبلاغة: يوصف بها الأخيران فقط. وهذا ما ذكره القزويني[3].

ثم قال بعضهم: البلاغة لا توجد في الكلمة، فكانت أخص من الفصاحة فبذا قدمت الفصاحة عليها؛ لتقدم العام على الخاص؛ لأن الخاص عام مع شيء آخر.

وقيل: وليست الفصاحة أعم من البلاغة، ولا العكس، بل الفصاحة جزء البلاغة[4].

وقال أبو هلال: "وقال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان؛ فلهذا لا يجوز أن يسمّى الله تعالى فصيحًا؛ إذ كانت الفصاحة تتضمّن معنى الآلة، ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة؛ ويوصف كلامه بالفصاحة؛ لما يتضمّن من تمام البيان. والدليل على ذلك أن الألثغ والتمتام لا يسميّان فصيحين؛ لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف. وقيل: زياد الأعجم؛ لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف، وكان يعبّر

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (4/ 1316).
(2) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للهاشمي (ص: 14).
(3) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 55).
(4) المرجع السابق.

عن الحمار بالهمار، فهو أعجم، وشعره فصيح؛ لتمام بيانه.

فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين؛ وذلك أنّ الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلّق باللفظ دون المعنى؛ والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنها مقصورة على المعنى. ومن الدليل على أنّ الفصاحة تتضمّن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى: أنّ الببّغاء يسمى فصيحا، ولا يسمى بليغا؛ إذ هو مقيم الحروف، وليس له قصد إلى المعنى الذى يؤدّيه.

وقد يجوز مع هذا أن يسمّى الكلام الواحد فصيحًا بليغًا إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيّد السبك، غير مستكره فجّ، ولا متكلّف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء؛ لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف"[(1)].

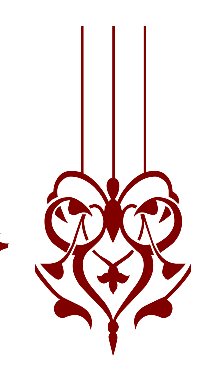
وقال الأبشيهي (المتوفى: 852هـ)-عقب قول الرازي السابق-: "وقد اختلف الناس في الفصاحة، فمنهم من قال: إنها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني، ومنهم من قال: إنها لا تخص الألفاظ وحدها. واحتج من خص الفصاحة بالألفاظ بأن قال: نرى الناس يقولون: هذا لفظ فصيح، وهذه الألفاظ فصيحة، ولا نرى قائلًا يقول: هذا معنى فصيح، فدل على أن الفصاحة من صفات الألفاظ دون المعاني.

وإن قلنا: إنها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح، وذلك غير مألوف في كلام الناس. والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحًا حسنًا"[(2)].

---

(1) الصناعتين(ص: 7).

(2) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 51).




خامسًا: بعض المتون في البلاغة وشروحها وحواشيها[1]:

علم البلاغة كغيره من العلوم له متون علمية منها النثرية ومنها الشعرية:

أولاً: المتون النثرية:

فمن المتون النثرية -ونكتفي بواحد؛ لطول الكلام عنه- وهو:

تلخيص المفتاح، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي. اختصره من القسم الثالث من مفتاح العلوم للعلامة: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الحنفي.

وهذا الكتاب قد حظي بقبول واسع بين شُداة البلاغة في القديم والحديث؛ ولذلك تنوعت العناية به من: اختصار، و شرح له، وحواش على شروحه، وشرح شواهده، ونظمه، وغير ذلك:

أ-شروحه:

1 ـ الإيضاح لتلخيص المفتاح، لمؤلف المختصر القزويني.

---

(1) ينظر: الدليل إلى المتون العلمية (ص: 611)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (2/ 47)، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (ص: 326)، ثبت أبي جعفر أحمد بن علي (ص: 555)، (1/ 475)، هدية العارفين (1/ 475)، إيضاح المكنون (3/ 421) (4/ 225) (4/ 606)، (3/ 421) (4/ 225) (4/ 606) (4/ 581) (3/ 384)، الأعلام للزركلي (1/ 164) (3/ 321) (4/ 186) (1/ 164) (4/ 186)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1154).

2 ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي (المتوفى: 773 هـ).

3 ـ شرح التلخيص في وجوه البلاغة، لأكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البابرتي (المتوفى 786هـ).

4 ـ المطول على التلخيص، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(المتوفى: 793هـ).

وقد اختصر التفتازاني شرحه السابق وسماه " المختصر ".

وعلى هذا المختصر حواش منها:

أـ تجريد العلامة مصطفى بن محمد بن عبد الخالق البناني (المتوفى حوالي:1220هـ).

ب ـ حاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى :1230هـ).

وقد اختصر هذه الحاشية: علي بن عثمان الآقشهدي.

جـ ـ تقرير محمد بن محمد الإنبابي المصري الشافعي(المتوفى :1312هـ).

د ـ حاشية محمد بن محمد الإنبابي سابق الذكر.

وعلى مطول التفتازاني حواش كثيرة منها:

أـ حاشية السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني(المتوفى:816هـ).

ب ـ حاشية حسن بن محمد شاه بن محمد شمس الدين بن حمزة الفناري (المتوفى :886هـ).

جـ ـ حاشية عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي (المتوفى:1067هـ).

6 ـ شرح عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفراييني (المتوفى:951هـ).

7 ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لابن يعقوب المغربي الجزائري (المتوفى حوالي :1110هـ) .

ب-شرح شواهد التلخيص:

1 ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (المتوفى :963هـ).

ج-نظمه:

نظمه ابْنِ مَرْزُوق الْحَفِيد وسماه:"مواهب الفتاح فِي نظم تَلْخِيص الْمِفْتَاح".

د-تهذيبه ومختصراته:

1-تهذيب الإيضاح، لعز الدين التنوخي (المتوفى: 1966م).

2--مختصر تَلْخِيص الْمِفْتَاح ، لِلْقَاسِم بن عبد الرب بن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن الكوكباني (المتوفى:1216هـ).

ثانيًا: المنظومات:

فمن المنظومات في البلاغة:

1-مائة المعاني والبيان، لأبي الوليد محمد بن محمد ابن الشِّحنة الحلبي الحنفي(ت: 815هـ).

وهي من عنوانها تبدو خاصة بالبيان والمعاني، ولكن الأمر ليس كذلك؛ فقد ختم عشرها الأخير بالحديث الموجز عن دروس علم البديع.

وهي منظومة وجيزة تناسب المبتدئين، وعدد أبياتها مائة بيت.

أولها:

الْحَمْدُ لِلّهِ وَصَلَّى اللهُ ... عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَا ... وَبَعْدُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنِّي أَنْظِمَا

فِي عِلْمَيِ الْبَيَانِ وَالمَعَانِي ... أُرْجُوزَةً لَطِيفَةَ المَعَانِي

أَبْيَاتُهَا عَنْ مِائَةٍ لَمْ تَزِدِ ... فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدِ

وخاتمتها:

بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالِ انْتِقَالِ ... حُسْنُ الْخِتَامِ مُنْتَهَي المَقَالِ

وقد شرحت بشروح كثيرة، منها:

1-شرح سراج الدين عمر بن يوسف العفيفي المالكي(ت: 842هـ).

2-شرح محب الدين محمد بن أبي بكر الحنفي العلواني الحموي(ت: 1016هـ).

3-درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة، لشمس الدين محمد بن محمود بن عبد الحق العمري الشافعي(ت: 1024هـ).

4-مواهب الرحمن على غاية المعاني والبيان، لمحمد بن محمد الغزي الحنفي(ت: 1126هـ).

5-رياض الربيع في علم المعاني والبيان والبديع، لعبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني(ت: 1242هـ).

وغيرها[1].

2- الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، لعبد الرحمن بن محمد الأخضري.

عدد أبياتها(291) بيتًا.

أولها:

الحَمْدُ لله البديعِ الهادي	إلى بيانِ مهيعِ الرشادِ
أمدَّ أربابَ النُّهى ورسما	شمسَ البيانِ في صدورِ العُلَما

إلى قوله:

(1) تنظر بقية الشروح في مقدمة تحقيق: مائة المعاني والبيان، للدكتور: حايف النبهان.

سَــــمَّيتُهُ بـــالجوهرِ المَكْنـــونِ   في صَـــدَفِ الثلاثـــةِ الفنـــونِ

وخاتمتها:

هـــذا تمـــامُ الجُملـــةِ المقـــصودهْ   مِـــنْ صَـــنْعَةِ البلاغَـــةِ المحمـــودهْ

ثـــمَّ صـــلاةُ اللهِ طـــولَ الأمَـــدِ   علـــى النّبـــيّ المـــصطفى مُحَمَّـــدِ

وآلِـــه وصـــحبِهِ الأخيـــارِ   مـــا غـــرَّدَ المـــشتاقُ بالأســـحارِ

وخَـــرَّ ســـاجِداً إلـــى الأذقـــانِ   يبغـــي وســـيلةً إلـــى الـــرّحمنِ

تَـــمَّ بِـــشَهْرِ الحِجَّـــةِ الميمـــونِ   مـــتمّ نـــصفِ عاشِـــرِ القُـــرونِ

شروحها:

شرحت هذه المنظومة بعدة شروح منها:

1-شرح الناظم نفسه.

2- حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون، لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوي(1192هـ)[1].

3- قرة العيون على الجوهر المكنون، لعلي بن علي العزي المالكي فرغ منها سنة 981 هـ.

4-موضح السر المكنون على الجوهر المكنون في الثلاثة فنون، لمحمد

---

(1) وجدت هذا الشرح بهذا العنوان منسوبًا إلى الأخضري في: هدية العارفين (1/ 547)، وإيضاح المكنون (3/ 384) (3/ 421). مع أنه مشهور للدمنهوري. فلعله سهو. والله أعلم.

الثغيري الجزائري المالكي فرغ منها سنة 1115هـ.

5-شرح عبد الوهاب بن محمد بن عبد الله بن فيروز التميمي الأحسائي (المتوفى:1205هـ).

6- شرح إبراهيم بن أبي علاق الزبيدي التوزري التونسي (المتوفى : 1303هـ).

وغير ذلك.

3 - عقود الجمان في علم المعاني والبيان، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

وهي منظومة لخص فيها " التلخيص" مع ضم زيادات إليه. وعدد أبياتها: (1005) أبيات.

أولها:

قَالَ الْفَقِيرُ عَابِدُ الرَّحْمَنِ ... الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْبَيَانِ

وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ... عَلَى النَّبِيِّ أَفْصَحِ الْأَنَامِ

وَهَذِهِ أُرْجُوزَةٌ مِثْلُ الْجُمَانْ ... ضَمَّنْتُهَا عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانْ

وخاتمتها:

وَأَحْمَدُ اللهَ عَلَى الْإِتْمَامِ ... حَمْدًا يَفُوقُ الْبَدْرَ فِي التَّمَامِ

مُصَلِّيًا عَلَى نَبِيٍّ قَدْ عَلَتْ ... أَوْصَافُهُ بَيْنَ الْوَرَى وَكَمَلَتْ

شروح عقود الجمان:

شرحت هذه المنظومة بشروح عدة منها:

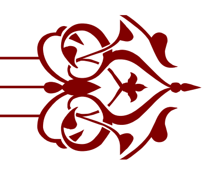
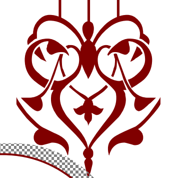
1 ـ شرح المؤلف، وسماه: حل عقود الجمان فِي علمي الْمعَانِي وَالْبَيَان.

2 – شرح أحمد الدمنهوري (المتوفى :1192هـ).

3 ـ الدرر الحسان شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، لعبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري المعروف بالمرشدي (المتوفى :975هـ).

4 –شرح نَاصِر الدَّين الطبلاوي (المتوفى : 1027هـ).

5 . فتح الرحمن شرح عقود الجمان، لمحمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم الجوزي الراشدي المزيلي.

مقدمة في علم العروض

سنتحدث عن هذا العلم في الآتي:

أولاً: المبادئ العشرة.

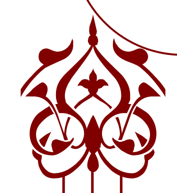
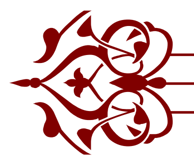
ثانيًا: خط العروض والتقطيع العروضي.

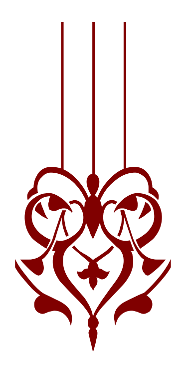
ثالثًا: بحور الشعر ومفاتيحها.

رابعًا: التفعيلات العروضية.

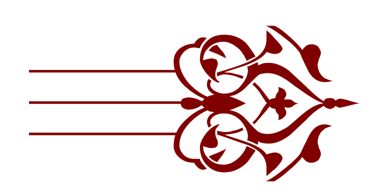
خامسًا: قِصر الوقت في تعلم هذا العلم وسهولته.

سادسًا: مؤلفات في علم العروض.



أولاً: المبادئ العشرة:



1 -حدّه:

لغة:

(عرض) العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو الْعَرْضُ الذي يخالف الطُّول.

ويقال: عَرَض الشَّيْء عَلَيْهِ، **يَعْرِضه عَرْضًا:** أَرَاهُ إِيَّاه. وعرض المتاع يعرضه عرضًا. وهو كأنه في ذاك قد أراه عَرْضَهُ. **والعَروضُ:** مكةُ والمدينةُ واليمن. **وعرض الرجل:** أَتَى الْعرُوض: أَي: مَكَّة وَالْمَدينَة واليمن. **والعروض:** اسمٌ للجُزْءِ الأخيرِ من النِصْفِ الأوَّلِ من البيت الشعري، سالِمـًا أو مغيَّراً، والعروض تؤنث، والتذكير جائز ، **والجمع:** أعارِيضُ. وسميت العَروض عَروضًا؛ لكثرة ما تَعْرِضُ في أبيات الشِّعر، كما سُمِّيت المواريث فرائض لكثرة قولهم: فَرْضُ الأم كذا.

والعَروض-بفتح العين على وزن: فَعول-: ميزانُ الشِّعْرِ.

وسمي العروض عروضًا قيل:

أ-لأن علم العروض ناحية من العلوم، ومن أسماء الناحية: العروض.

وقد قيل:

لكـل أنـاسٍ مـن معـدّ عِمـارةٌ   عـروضٌ إليهـا يلجـؤون وجانـبُ

ب- أن الشعر يعرض عليه فيظهر المتزن من المنكسر.

ج- أنه أُلهمه الخليل بمكة عندما ذهب للحج، والعروض: مكة والمدينة وما حولهما، وبه فسروا قولهم: استعمل فلان على العروض، أي: مكة والمدينة واليمن وما حولها. **وأنشدوا قول لبيد:**

وإِنْ لَـــمْ يَكُـــنْ إِلاَّ القِتَـــالُ فإِنَّنَـــا   نُقَاتِـلُ مَـا بَـيْنَ العَـرُوضِ وخَثْعَمَـا

أَي: مَا بَيْنَ مَكَّة واليَمَن. فسماه بها تبركًا وتيمنًا.

قال ابن الدماميني: أقربها: أن العروض اسم لما يعرض عليه الشيء، فنقل إلى هذا الفن؛ لأنه يعرض عليه الشعر، فما وافقه فصحيح، وما خالفه فاسد"[1].

اصطلاحًا:

هو: علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة.

وقيل: علم يبحث فيه عن المركبات الموزونة، من حيث وزنها[2].

وقيل: هو: علم تعرف به كيفية الأشعار من حيث الميزان والتقطيع[3].

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة (4/ 269)، إكمال الإعلام بتثليث الكلام (2/ 419)، المحكم والمحيط الأعظم (1/ 394)، العين (1/ 275)، تهذيب اللغة (1/ 295)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (7/ 4473)، القاموس المحيط (ص: 645)، تاج العروس (18/ 377)، العيون الغامزة (ص: 4).

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1133).

(3) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 28).

وقيل: هو: ميزان الشعر، به يعرف مكسوره من موزونه، كما أن النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه[1].

وقيل: هو: القواعد التي تدل على الميزان الدقيق الذي يُعرفُ به صحيح أوزان الشعر العربي من فاسدها[2].

2-موضوعه:

الشعر العربي الفصيح لمعرفة كونه موزونًا: صحيحًا أم سقيما[3].

3-ثمرته:

يثمر هذا العلم المفيد لمن أتقنه ثمرات جليلة، منها:

أ- صقلُ موهبة الشاعر،وتهذيبها،وتجنيبها الخطأَ والانحرافَ في قول الشِّعر.

ب- أمنُ قائل الشعر على شعره من التغييرِ الذي لا يجوز دخوله فيه، أو ما يجوز وقوعه في موطن دون آخر.

قال ابن جني: "اعلم أن العروض ميزان شعر العرب، وبه يعرف صحيحه من مكسوره، فما وافق أشعار العرب في عدة الحروف- الساكن والمتحرك- سمي شعراً، وما خالفه فيما ذكرناه فليس شعراً، وإن قام ذلك وزنـًا في طباع أحد لم

---

(1) علم العروض والقافية (ص: 7) عن: كتاب: الإقناع في العروض وتخريج القوافي لأبي القاسم إسماعيل بن عباد: (ص3).

(2) موسوعة العروض والقافية (ص: 2).

(3) ينظر: أبجد العلوم (ص: 447)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 28).

يحفل به حتى يكون على ما ذكرنا"[1].

ج-التأكد من معرفة أن القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ليسا بشعر معرفةَ دراسةٍ لا تقليد؛ إذ الشعر ما اطردت فيه وحدته الإيقاعية التزامًا أي: (كلامٌ موزون قصدًا بوزن عربي).

د-التمكينُ من المعيار الدقيق للنقد؛ فدارس العَروض هو مالك الحكم الصائب للتقويم الشعري، وهو المميز الفطن بين الشعر والنثر الذي قد يحمل بعض سمات الشعر .

هـ-معرفةُ ما يرد في التراث الشعري من مصطلحات عَروضية لا يعيها إلا من له إلمام بالعَروض ومقاييسه .

ز-التمكينُ من قراءة الشعر قراءةً سليمة، وتوقِّي الأخطاء الممكنة بسبب عدم الإلمام بهذا العلم[2].

وثمرته للشاعر والناقد والأديب والكاتب والمتحدث بالعربية الفصحى؛ أكثر من غيرهم.

فـ" الشاعر المحنك بحاجة إلى معرفة هذا العلم بتفاصيله ودقائقه؛ ليكون على علم بموضع نظمه من تلك القواعد والأصول؛ ليفرق بين ما هو جائز من الزحافات والعلل وما هو ليس بجائز، وإنّ جهل الشاعر بعلم العروض كثيراً ما

(1) العروض، لابن جني (ص: 55).

(2) موسوعة العروض والقافية (ص: 3).

يجعل نظمه مقتصراً على قسم من الأوزان اليسيرة والمألوفة دون ما سواها. وإن تقارب عدد الأوزان فيما بينها قد يخرج الشاعر في بيت أو أكثر من أبيات قصيدته إلى غير الوزن الذي هو فيه، وقد وقع عدد من شعراء العربية في هذا الخلل حينما انساقوا وراء السليقة في نظمهم، وابتعدوا عن رقابة علم العروض على الرغم من معرفتهم به"[1].

وكما يحتاج الشاعر إلى معرفة هذا العلم يحتاجه الخطيب والمذيع والمحاضر وغيرهم ممن يتصدرون للحديث بين الناس؛ فإنهم قد يمرون ببيت أو أبيات يتلونها في جملة كلامهم فالإلمام بهذا العلم يحميهم من كسر الأبيات، ويرشدهم إلى مواضع الخلل منها.

كما أن هناك مصطلحات عروضية قد تعرض لهم في بعض القطع النثرية فجهلهم بهذا العلم قد يجعلهم يفسرونها للسامعين أو القارئين تفسيراً خاطئًا.

وقال ابن الأثير-وهو يذكر ألات البيان وأدواته-: "وأما النوع الثامن: وهو ما يختص بالناظم دون الناثر، وذلك معرفة العروض وما يجوز فيه من الزحاف وما لا يجوز، فإن الشاعر محتاج إليه، ولسنا نوجب عليه المعرفة بذلك لينظم بعلمه؛ فإن النظم مبني على الذوق، ولو نظم بتقطيع الأفاعيل لجاء شعره متكلفًا غير مرضي، وإنما أريد للشاعر معرفة العروض؛ لأن الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات، ويكون ذلك جائزاً في العروض، وقد ورد للعرب مثله، فإذا كان الشاعر

(1) العروض التطبيقي الميسر(10-11).

غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز، وكذلك أيضًا يحتاج الشاعر إلى العلم بالقوافي والحركات؛ ليعلم الروي والردف وما يصح من ذلك وما لا يصح"[1][2].

يقول الأستاذ عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ):" وقد يستطيع الشاعر الموهوب بما له من أذن موسيقية وحس وذوق مرهفين أن يقول الشعر دون علم بالعروض وحاجة إلى قوانينه، ولكنه مع ذلك يظل بحاجة إلى دراسة علم العروض والإلمام بأصوله.

فأذن الشاعر الموسيقية -مهما كانت درجة رهافتها وحساسيتها- قد تخذل صاحبها أحيانًا في التمييز بين الأوزان المتقاربة أو بين قافية سليمة وأخرى معيبة، أو بين زحاف جائز وآخر غير جائز.

وجهل الشاعر الموهوب بأوزان الشعر وبحوره المختلفة من تامة ومجزوءة ومشطورة ومنهوكة قد يحصر شعره في بعض أوزان خاصة، وبذلك يحرم نفسه من العزف على أوتار شتى تجعل شعره منوع الأنغام والألحان، من ذلك تتجلى أهمية دراسة الشاعر للعروض والإلمام بقوانينه وأصوله.

وإذا كان العروض إلى هذا القدر لازمًا للشاعر الملهم الموهوب، فإنه يكون أشد لزومًا لغيره. فهو أشد لزومًا لطلاب اللغة والتخصص فيها؛ لأنه يعينهم على

---

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (1/ 47).

(2) ينظر: فصول أدبية(179).

فهم الشعر العربي وقراءته قراءة صحيحة والتمييز بين سليمه ومختله وزنًا.

وهو كذلك أشد لزومًا للدارسين والمتخصصين في فروع الثقافة العربية من تاريخ واجتماع وأدب وبلاغة ومذاهب دينية أو عقلية. فالباحثون في أمثال هذه العلوم العربية لا غنى لهم عن تفهم ما يرد من شعر في المراجع والكتب المختصة بهذه العلوم. وفهم أولئك للشعر متوقف على صحة قراءته، وهذه لا تتأتى إلا لمن لديه القدرة على معرفة صحيح الأوزان والتمييز بين أنواعها المختلفة.

من أجل ذلك كله ندرك ضرورة الإلمام بعلم العروض أو علم موسيقى الشعر وأصوله، لا بالنسبة للشعراء فحسب، ولكن بالنسبة أيضًا لذوي التخصص في علوم العربية. وإذا جاز أن يغتفر لغير متخصص ألا يقيم وزن الشعر وألا يقرأه قراءة صحيحة، فإن ذلك لا يمكن أن يغتفر مطلقًا للمتخصص"[1].

لكن ينبغي لنا أن نعرف أن دراية هذا **العلم** لا تخرج شاعراً، كما أن الجهل به لا يعني امتناع الشعر عن صاحبه، فقد رأينا وسمعنا عن شعراء كبار قالوا الشعر ولم يعرفوا هذا العلم، ولكن تذوقهم للشعر وقراءتهم الكثيرة لدواوينه جعلتهم ينظمون شعراً موزونًا.

قال أحد أدباء شنقيط:

أَلَيس الشعرُ طَوْعَ يَدِي وقلبي ... وَسَهْلَ الصَّوغِ وَيْكَ عَلَى لِسَانِ

أَصُوغُ البيتَ مِنْهُ بلا عَرُوض ... على أَقْوَى وأَقْوَمِ الاتزَانِ

---

(1) علم العروض والقافية (ص: 11).

وَأَنْفِــي اللَّحْــنَ والتَّعْقِيــدَ عَنْــهُ ... بِــذَوْقِي والقَرِيحَــةِ وَالجَنَــانِ[1]

وقال أثير الدين بن هبة الله:

قلـت شـعراً قـالوا بغيـر عـروضٍ ... نــاقص والعــروض بــالميزانِ

قلـت إنّـيَ لـصّ القـوافي وديـوا ... نيَ مــن شــعر كــلّ ذي ديــوان

أَسـرق الـشعر لا بـوزنٍ ومـا يـسـ ... رق إلاّ حــرف بــلا ميــزان[2]

وليس يجري صاحب الصناعة -وإن كان ماهراً في صناعته- مجرى الطبع الجيد الفائق، ولا حاكم في هذه الصناعة إلا استقامة الطبع وسلامة الذوق، فالذوق إن كان فطريًا سليقيًا فذاك، وإلا احتيج في اكتسابه إلى طول خدمة هذا الفن"[3].

4- **فضله:**

لهذا العلم فضل كبير وشأن خطير؛ فهو الذي حفظ لنا أشعار العرب وعرفنا به السليم من العليل منها، وهو الذي مكن الشعراء المجيدين له من الاطمئنان على سلامة ما نطقوا وكتبوا، وجعلهم ينوعون من القوالب الشعرية وتشكيلات بحورها، مما يجمل الشعر ويحسنه وينفي عنه داء الملال والإملال.

قال الجاحظ في مدح العروض: "هو علمُ الشعر ومعياره، وقطبه الذي عليه مداره، به يُعرف الصحيح من السقيم والعليلُ من السليم، وعليه تبتني قواعد

---

(1) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ص: 86).

(2) خريدة القصر وجريدة العصر (1/ 154).

(3) الهوامل والشوامل (ص: 319)، أبجد العلوم (2/ 381).

الشعر، وبه يَسلَمُ من الأود والكسر"[1].

وقال ابن برىّ التازي في شرحه لعروض ابن السقاط: "وقد تجافى بعض المتعسفين عن هذا العلم ووضعوا منه، واعتقدوا أن لا جدوى له، واحتجوا بأن صانع الشعر إن كان مطبوعاً على الوزن فلا حاجة له بالعروض كما لم يحتج إليه من سبق الخليل من العرب، وإن كان غير مطبوع فلا يتأتى له نظم العروض إلا بتكلف ومشقة، **كما قال أبو فراس الحمداني:**

تناهض الناسُ للمعالي ... لمّا رأوا نحوها نهوضي

تكلفوا المكرمات كدّاً ... تكلفَ النظم بالعروض

ولأن بعض كبراء الشعراء لم يقف عند ما حدَّه الخليل وحصره من الأعاريض بل تجاوزها.

ولأنه يُخرج بديع الألفاظ ورائق السبك إلى الاستبراد والركاكة، وذلك حالة التقطيع والتفعيل، وربما أوقع المرء في مهوى الزلل ومقام الخجل بما يتحول إليه صوغ البنية من منكر الكلام وشنيع الفحش، كما جرى في مداعبة أبي نواس وعنان جارية الناطفي حين قالت: إن كنت تحسن النظر في العروض فقطع هذا البيت:

حوَّلوا عنا كنيستكم ... يا بني حمّالة الحطبِ

فقطعه، فضحكت منه، وفعل بها مثل ذلك في تقطيع قوله:

---

(1) العيون الغامزة على خبايا الرامزة (ص: 80).

أكلـــتُ الخـــردل الـــشّاميّ في صـــــفحةِ خبّـــــازِ[1]

...والجواب: أن الحق الذي به يقول كل منصف: أن لهذا العلم شرفًا على ما سواه من علوم الشعر؛ لصحة أساسه واطراد قياسه، ونُبل صنعته، ووضوح أدلّته.

وجدواه: حصر أصول الأوزان، ومعرفة ما يعتريها من الزيادة والنقصان، وتبيين ما يجوز منها على حسن أو قبح وما يمتنع، وتفقدُ محالِّ المعاقبة والمراقبة والخرم والخزم وغير ذلك مما لا يتزن على اللسان ولا تتفطن إليه الفِطَرُ والأذهان، فالجاهل بهذا العلم قد يظن البيت من الشعر صحيح الوزن سليمًا من العيب وليس كذلك، وقد يعتقد الزّحاف السائغ كسراً وليس به؛ كقوله:

قلـتُ اسـتجيبي فلمـا لـم تُجـبْ سـالت دمـوعي علـى ردائـي

وقول الآخر:

عينـــاك دمعهـــا سِـــجالُ كـــأن شـــأنيهما أوشـــالُ

وقول الآخر:

النـــشرُ مـــسكٌ والوجـــوهُ دنـــا نيـــر وأطـــراف الأكـــفّ عـــنمْ

وقول الآخر:

شـمنازلٌ عفـا هُـنّ بـذي الأرا ك كـلٍّ وابـلٍ مُبـلٍ هطـلِ

وقول الآخر:

(1) توضيح لسبب الضحك في البيتين: تقطيع البيت الأول: "حولوا عن: فاعلاتن، ناكني فاعل". وتقطيع البيت الثاني: " أكلت الخر: مفاعلتن".

صـــرمتكَ أســـماءُ بعـــد وصـــالها فأصــــــبحت مكتئبـــــًا حزينـــــا

فهذه أبيات كلها صحيحة الوزن سائغة مستعملة عند العرب، مع أن الطبع ينبو عنها، ولا يدرك جوازها إلا من نظر في هذا العلم. وهل علم العروض للشعر إلا بمثابة علم الإعراب للكلام؟ فكما أن صنعة النحو وضعت ليعافى بها اللسان من فضيحة اللحن، فكذلك علم العروض وضع ليعافى به الشعر من خلل الوزن، فلولاه لاختلطت الأوزان، واختلفت الألحان، وانحرفت الطباع عن الصواب انحراف الألسنة عن الإعراب....

وإنما يضع من هذا العلم من نبا طبعه البليد عن قبوله، ونأى به فهمه البعيد عن وصوله؛ كما حكى الأصمعي أن أعرابيًا مبتدئًا كان يجلس إلى بعض الأدباء وكلما أخذوا في الشعر أقبل بسمعه عليهم، حتى إذا أخذوا في العروض وتقطيع الأبيات ولّى عنهم وهو ينشد:

قـد كـان إنـشادهم للـشعر يعجبنـي حتـى تعـاطوا كـلام الـزّنج والـرومِ

ولّيــــتُ منقلبًـــا والله يعــــصمني مـن الـتّقحم في تلـك الجـراثيمِ"(1)

وقال الدكتور محمود مصطفى (المتوفى: 1360هـ): "فإن من علوم العربية الجليلة: علمي العروض والقافية اللذين يتناولان الشعر العربي ضبطًا لوزنه، وتحقيقًا لقافيته، بإثبات ما أثبته لهما العرب ونفي ما نفوه عنهما.

ولهذين العلمين خطرهما وعظيم شأنهما؛ لدقة مسائلهما، وكثرة الشبه فيهما،

---

(1) العيون الغامزة على خبايا الرامزة (ص: 79-80).

حتى لقد وقعت مخالفتهما في عهد قريب من أيام العروبة الصحيحة، فهما يشبهان النحو في دقة اعتباراته، وسهولة طروء الفساد على الملكة فيه؛ ولذلك رأينا هذين العلمين يقعان في الوضع تاليين للنحو"[1].

وقد ذكر القلقشندي رسالة مفاخرة بين العلوم صاغها وعدّد فيها نيفًا وسبعين علمًا. فكان من ذلك المفاخرة بين علمي القافية والعروض:

"...**قال علم القافية**: أنا عدة الشاعر، وعمدة الناثر، لا يستغني عني شعر ولا خطابة، ولا يستنكف عن الوقوف على أبوابي ذو ترسل ولا كتابة، طالما عثر الفحول في ميداني وتشعبت عليهم طرقي، فضلوا السبيل، واختلفت عليهم المباني، فلم يفرقوا بين التكاوس[2] والتراكب[3] في التعارف، ولم يميزوا بين التدارك والتواتر والترادف[4].

---

(1) أهدى سبيل إلى علمي الخليل (ص: 9).

(2) "**المتكاوس في العروض**: أن تتوالى أربع حركات بتركب السببين، كضَرَبَني وسَمَكَةٍ، ، على مثال: فعَلَتُنْ، وتسمى الفاضلة، بالضاد المعجمة، **وبعضهم يسميها**: الفاصلة الكبرى كما سموا ما توالى في صدره ثلاث حركات الفاصلة الصغرى مُشَبَّهٌ بالشَّجَرِ المُتَكَاوِسِ، لكثرة الحركات فيه، كأنها التفت. تاج العروس (16/ 458).

(3) "**المُتراكِبُ مِنَ القافِيَةِ**: كلُّ قافِيةٍ تَوَالَتْ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَحْرُفٍ متحركةٍ بَيْنَ ساكنَين، وَهِيَ مُفاعَلَتُن ومُفْتَعِلُن وفَعِلُنْ لأَنَّ فِي فَعِلُنْ نُونًا سَاكِنَةً، وَآخِرُ الْحَرْفِ الَّذِي قَبْلَ فَعِلُنْ نُونٌ سَاكِنَةٌ، وفَعِلْ إِذا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى حَرْفٍ مُتَحَرِّك نَحْوَ فَعُولُ فَعِلْ، اللامُ الأَخيرة سَاكِنَةٌ، والواوُ فِي فَعُولُ سَاكِنَةٌ". لسان العرب (1/ 432).

(4) **الْمُتَدَارِكُ**: كلُّ لفظِ قافيةٍ فَصَلَ بين ساكنيه حركتان متواليتان، **وهو لغة**: المتلاحق، وسميت القافية به لأن الحركة الثانية قد أدركت الأولى قبل أن يليها ساكن، مثل:

احفظْ لسانَك أن تقولَ فتبتلى   إن البلاءَ موكَّلٌ بالمنطقِ

=

فقال علم العروض: لقد أسمعت القول في الدعوى من غير توجيه فدخل عليك الدخيل، وأوقعك الوصل دون تأسيس في هوة النقص، فهل إلى خروج من سبيل. أنا معيار القريض وميزانه، وعلي تبنى قواعده وأركانه، لم يزل الشعر في علو رتبته بفضلي معترفا، ولحقي متحققا، ومن بحوري مغترفا، وبأسبابي متعلقا، فأبياته بميزاني محررة، وأجزاؤه بقسطاس تفاعيلي مقدرة، وبفواصلي متصلة، وبأوتادي مرتبطة غير منفصلة"[1].

قال أبو الْعَبَّاس أَحْمد بن مُحَمَّد الشريشي:

وَمـن يعْتَـرض وَالْعلـم عَنـهُ بمعـزلٍ يرى الـنَّقْص فِـي عـين الْكَمَـال وَلَا يـدْرِي

وَمن لم يكن يـدْرِي الْعـرُوض فَرُبمَـا يرى الْقَبْض فِي بَحر الطَّوِيل من الْكسرِ[2]

فالقافية في البيت السابق هي (مَنْطِقِيْ) = (/ 5 / / 5) .

الْمُتَوَاتِرُ: كلُّ لفظِ قافيةٍ فَصَلَ بين ساكنيه حركة واحدة، وسمي متواترًا لأن المتحرك يليه الساكن، وليس هناك من تتابع الحركات ، مثل :

تزوَّدْ من التقوى فإنك لا تـدريْ إذا جَنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفَجْرِ

فالقافية في البيت السابق هي (فَجْرِيْ) = (/ 5 / 5) .

الْمُتَرَادِفُ: كلُّ لفظِ قافيةٍ توالى ساكناه بغير فاصل، وسمي بذلك لترادف الساكنين فيه وهو اتصالهما وتتابعهما ، مثل :

وكذاك الدهر يرمي بالفتى... في طلاب العيش حالا بعد حَاْلْ

فالقافية في البيت السابق هي (حَاْلْ) = (/ 55). موسوعة العروض والقافية (ص: 95).

(1) صبح الأعشى (14/ 242).

(2) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (3/ 242).

5- نسبته :

نسبة العروض لسائر العلوم: التباين والتخالف. وينسب هذا الفن إلى علوم العربية، وعددها اثنا عشر فناً . جمعها بعضهم في قوله:

نَحْوٌ وَصَرْفٌ عرُوضٌ بَعْدَهُ لُغَة ... ثُمَّ اشْتِقَاقٌ وَقَرْضُ الشِّعْرِ إنْشَاءُ

كَذَا الْمَعَانِي بَيَانُ الْخَطِّ قَافِيَّةٌ ... تَارِيخُ هَذَا لِعِلْمِ الْعُرْبِ إحْصَاءُ[1]

6- واضعه :

هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن.

مخترع علم العروض ومبديه، وواضعه ومنشيه، وبه حصن الأشعار من الفساد والخلل.

ولد في البصرة سنة: (100هـ) ومات فيها سنة:(170هـ)[2].

قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في حق الخليل بن أحمد: "وبعد، فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدمه احتذاه، وإنما اخترعه من ممر له بالصفَّارين من وقع

---

(1) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (2/ 422).

(2) ينظر: الفهرست (ص: 65)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1133)، أبجد العلوم (ص: 447)، الوافي بالوفيات (13/ 244).

مطرقة على طست، ليس فيهما حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتهما أو يفيدان غير جوهرهما، فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره..."[1].

فمروره بسوق الحدادين ودق مطارقهم على الطسوت ألهمه ابتداع هذا العلم.

وقد قيل: وضع الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب العروض، وأعمل فكره في تقطيع الأبيات وفكّ الدوائر دخل عليه أخوه وهو مُكبّ على دائرةٍ خَطّها وجعلها نُصبَ عينيه وهو يعالجُ فكّها بأجزاء التفعيل نادى قومه فقال: هلموا فقد جُن الخليل، فلمّا فرغ مما كان من ذلك صرف إلى أخيه وأنشد:

لو كنتُ تعلم ما أقول عَذَرتَني ... أو كنتُ أجهل ما تقولُ عذَلتكا[2]

وتقول رواية أخرى: إنه خلا بنفسه - لما أراد أن يضع العروض- فوضع بين يديه طستاً أو ما أشبه ذلك، وجعل يقرعه بعود ويقول: فاعلن مستفعلن فعولن، فسمعه أخوه فخرج إلى المسجد وقال: إنّ أخي قد أصابه جنون. وأدخلهم عليه وهو يضرب الطّست. فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ما لك أأصابك شيء؟ أتحبّ أن نعالجك؟ فقال: وما ذاك!!؟ فقالوا: أخوك يزعم أنك خولطت، فقال:

---

(1) وفيات الأعيان (2/ 245).

(2) العيون الغامزة على خبايا الرامزة (ص: 80)، الوافي بالوفيات (4/ 384)، معجم الأدباء (3/ 1269).

لـو كنـتَ تَعلَـمُ مـا أقـولُ عـذَرتَني ... أَوْ كنـتُ أَجْهَـلُ مـا تقـولُ عـذَلتُكا

لَكِـنْ جَهِلْـتَ مَقَـالَتِي فَعـذَلْتَني ... وعلِمـتُ أَنَّـكَ مـائقٌ فَعَـذَرْتُكا

وهناك رواية أخرى وهي: أنه دعا بمكة أن يُرزق علمًا لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجّه، ففتُح عليه بالعروض[1]. وكان يطلق على مكة: العروض.

قال أستاذنا الدكتور: عبد المنعم أحمد صالح: "ومهما قيل في الدوافع، فالذي نرجحه أن دوافع تدوين علم العروض هي الدوافع نفسها التي دفعت علماء العرب المتقدمين إلى وضع علم النحو وغيره من علوم العربية؛ فقد رأى الخليل اختلال الملكة في ضبط الأوزان عند الجاهلين بهذا العلم فحرص على تدوينه ليرجع إليه عند الشك، وليأخذ المتعلم به وكذلك مختلو السليقة الشعرية"[2].

وقال عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): "وأيًّا كان الدافع فالثابت أن الخليل هو واضع أصول علم العروض وقوانينه التي لم يطرأ تغيير جوهري عليها، وأن الناس ظلوا حتى اليوم يتدارسونها ويتفهمونها من غير أن يزيد عليها أحد شيئًا. فلا تزال الوحدات القياسية للأوزان هي التفعيلات التي اخترعها الخليل، ولا تزال المقاطع الصوتية التي تتألف منها التفعيلات هي الأسباب والأوتاد، كما أن عدد البحور لا يزال ثابتًا عند البحور الخمسة عشر التي وضعها الخليل، وبحر

---

(1) ينظر: الأعلام للزركلي (2/ 314)، الفهرست (ص: 63)، وفيات الأعيان (2/ 245-248)، إنباه الرواة على أنباه النحاة(1/ 377)،الوافي بالوفيات(4/ 384)، معجم الأدباء(3/ 1269)

(2) العروض التطبيقي الميسر (10).

الخبب أو المتدارك الذي وضعه تلميذه الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ولا يرد علينا هنا بما استحدث من أوزان في العصر العباسي؛ لأن هذه يمكن إرجاع أصولها إلى أوزان الخليل.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك فارقًا ملحوظًا بين علم العروض وعلوم العربية الأخرى من حيث النشأة؛ فعلوم النحو والصرف والبلاغة واللغة مثلاً قد استحدثت ثم أخذت تنمو جيلاً بعد جيل وعصرًا بعد عصر حتى بلغت ذروة اكتمالها، أما العروض فقد أخرجه الخليل علمًا يكاد يكون متكاملاً، ولعل ذلك هو السر في أن من أتى بعد الخليل من العروضيين لم يستطيعوا أن يزيدوا على عروضه أي زيادة تذكر أو تمس الجوهر"[1].

وقال صديق حسن خان (المتوفى: 1307هـ): "خليل بن أحمد البصري: صاحب كتاب العين في اللغة أستاذ سيبويه، وهو أول من استخرج العروض، وأخرجه إلى الوجود وحصر الأشعار بها في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرًا، ثم زاد فيه الأخفش بحرًا واحداً وسماه الخبب"[2].

ويقول الدكتور محمود مصطفى (المتوفى: 1360هـ): "والعجب من أمره -وليس في التوفيق والذكاء عجب- أنه أبرز العلمين كاملين مضبوطين مجهزين بالمصطلحات، التي لم يجد المتأخرون عنها مَعْدِلًا، وكل ما استدركه المتأخرون

---

(1) علم العروض والقافية (ص: 10).

(2) أبجد العلوم (ص: 566).

على الخليل فهو مسائل فرعية، وأمور اعتبارية لا تقدم ولا تؤخر في كون الرجل هو الأول والآخر في هذين العلمين، ولم نسمع بمثل ذلك في الأولين ولا في الآخرين، فسبحان الله واهب القوى!"[1].

هذا القول هو المشهور في أن الخليل اخترع هذا العلم من غير مثال سابق، لكن وجدنا لدى بعض أهل العلم السابقين وبعض الباحثين المعاصرين قولاً آخر وهو: أن هذا العلم كان معروفًا لدى العرب قبل الخليل بن أحمد؛ يقول ابن فارس: "وأما العروض فمن الدليل عَلَى أنه كَانَ متعارفًا معلومًا: اتفاقُ أهل العلم عَلَى أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا أَوْ من قال منهم: "إنه شعر" فقال الوليدُ بنُ المغيرة منكراً عليهم: لقد عرضتُ مَا يقرؤه محمد عَلَى أقراء الشعر: هزجه ورجزه، وكذا وكذا، فلم أرَه يشبه شيئًا من ذلك. أفيقول الوليدُ هَذَا، وهو لا يعرف بحور الشعر؟!"[2].

7- اسمه:

علم العروض. علم أوزان الشعر.

8- استمداده:

يستمد هذا العلم من أشعار العرب ولغتها.

---

(1) أهدى سبيل إلى علمي الخليل (ص: 10).

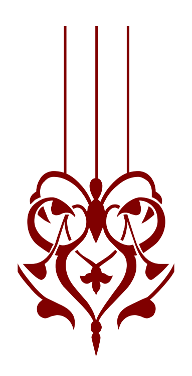
(2) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص: 17). ونقله عنه السيوطي في المزهر(2/ 296).

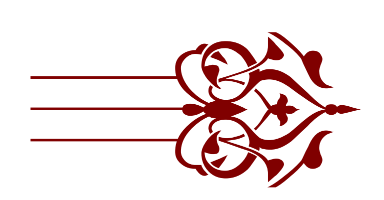
9-حكم تعلمه :

فرض كفاية، يحسن أن يقوم به بعض المسلمين لحماية شعر العربية التي هي لغة دينهم. وخاصة من تقدم ذكرنا لهم من: الشعراء-النقاد-الأدباء-الخطباء-الإعلاميين.

10-مسائله :

وهي قضاياه التي يدرسها، وهي البحور الشعرية ودوائرها وتشكيلاتها، والزحافات والعلل الداخلة على البحور، وغيرها.





ثانيًا: خط العروض والتقطيع العروضي:

خط العروض خط متميز خاضع لقاعدة: "ما ينطق يكتب، وما لا ينطق لا يكتب" قال ابن درستويه: "خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف، وخط تقطيع العروض"(1).

وكان خط العروض كذلك: "لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ، ويسقط عنه ما أسقطه"(2).

فعند التقطيع العروضي للبيت الشعري تكون هناك حروف تسقط من الكتابة، وهناك حروف تضاف:

فمن الحروف التي تضاف:

1-الألف في أسماء الإشارة، كـ: هذا وذلك. مع أن الألف ساقطة في الرسم؛ فلذلك تكتب عروضيًا هكذا: هاذا، ذا لك.

2-الألف في بعض الأعلام مثل: الرحمن، طه، يس. فتكتب هكذا: الرحمان، طاه، ياسين.

4-الألف في لكن، فتكتب: لاكن.

---

(1) البرهان في علوم القرآن (1/ 376).

(2) تفسير الزمخشري (1/ 27).

5-الواو في داود وطاوس، فتكون: داوود، طاووس.

6-الحرف المشدد، فيكون بحرفين.

7-النون الناتجة عن تنوين، فـ: بيتٌ تصبح هكذا: بيتن.

8-الألف التي عليها مدة تصير ألفين، مثل: مآل، تصير: ماأال.

9-حركة الإشباع في هاء الضمير، مثل: عنهُ، تصير: عنهو. وضمير: "هم" أحيانًا يشبع إذا اقتضى الوزن ذلك فيصير: همو، وأحيانًا لا يشبع إذا اقتضى الوزن ذلك. وعلى هذه الطريقة تعامل الضمائر الأخرى.

وكذلك الإشباع في آخر العروض والضرب للحرف المتحرك حيث يتولد من الحركة حرف من جنسها.

وأما الأشياء التي تسقط، فهي:

1-ألف همزة الوصل، مثل: آل التعريف القمرية، مثل: والكريم، تصير ولكريم، وهمزة ابن مثل: وابن، تصير: وبن. وألف الأفعال الأمرية مثل: فاكتب، واقتدر، واستغفر، ومصادر الأفعال الخماسية والسداسية مثل: والاقتدار والاستغفار.

أما إذا جاءت همزة الوصل في أول الكلمة فإنها تثبت مثل: الأفعال والمصادر السابقة.

2-ألف واو الجماعة المزيدة مثل: كتبوا، عملوا.

3-الواو الزائدة في كلمات: أولئك، أولو، أولات، تصير: ألائك، ألو،ألات.

4-اللام الشمسية مثل: الصبر " أصصبر "، الشمس " أششمس "، الظل " أظظل ".

5-الياء في حرف الجر "في" إذا لم يتصل بها شيء.

6-الياء في الأسماء والأفعال المنقوصة مثل: قاضي العدل، يجري الأمر. تصير: قاضلعدل، يجرلأمر.

7-الياء في الأوصاف المنتهية بياء عند الوصل مثل: صاحبي العزيز. تصير: صاحبلعزيز.

8-الألف المقصورة عند الوصل، في بعض أحرف الجر مثل: على الأمر، إلى المسجد. وبعض الأسماء مثل: تقوى الإله. والأفعال المنتهية بألف مقصورة مثل: أحلى الأمور.

9-ألف "إذا" عند الوصل مثل: إذا الأمر.

10-ألف الضمير " أنا" في بعض الأحوال، ففي بعضها يثبت مثل: أنا عند قوم، وفي بعضها يسقط مثل: أنا ابن جلا.

11-الألف الزائدة في لفظ: "مائة" حيث تكتب:" مئة "، ومائتان تكتب: مئتان.

تنبيه مهم: لن يصح تقطيعٌ عروضي إلا إذا بني على قراءة صحيحة للبيت

الشعري، فمن قرأه قراءة خاطئة فسيخطئ في تقطيعه ووزنه.

قال ابن الدماميني: "وإنما يعتبر عندهم في الوزن ما يدرك بحاسة السمع، وعلى ذلك ترسم الحروف عندهم"[1].

وقال القلقشندي: "الضرب الثاني: المصطلح العروضيّ وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر؛ واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى؛ إذ المعتدّ به في صنعة العروض إنما هو اللفظ؛ لأنهم يريدون به عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحرّكًا وساكنًا فيكتبون التنوين نونًا، ولا يراعون حذفها في الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين، ويحذفون اللام وغيره مما يدغم في الحرف الذي بعده: كالرحمن والذاهب والضارب، ويعتمدون في الحروف على أجزاء التفعيل، فقد تقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء كما في قول الشاعر:

ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

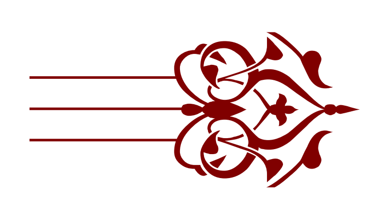
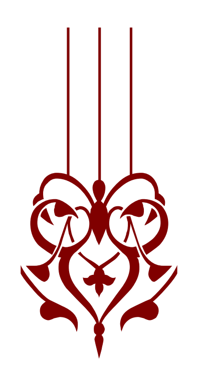
فيكتبونه على هذه الصورة:

ستبدي، لكالأييا، مماكن تجاهلن ويأتي، كبالأخبا، رملّم، تزوّدي"[2]

---

(1) العيون الغامزة على خبايا الرامزة (ص: 12).

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (3/ 168-169).



ثالثًا: بحور الشعر ومفاتيحها:

البحر هو: "الوزن الخاص الذي على مثاله يجري الناظم. والبحور ستة عشر، وضع الخليل أصول خمسة عشر منها، وزاد عليها الأخفش الأوسط بحراً آخر سماه المتدارك. وهي ثلاثة أقسام:

-**ثلاثة منها**- الطويل-المديد-البسيط- تعرف بالممتزجة؛ لاختلاط جزء خماسي-كـ: فعولن-أو فاعلن-مع جزء سباعي كـ: مستفعلن-أو متفاعلن-.

-**وأحد عشر تسمى سباعية وهي**: الوافر-الكامل-الهزج-الرجز-الرمل-السريع-المنسرح-الخفيف-المضارع-المقتضب-المجتث. وسبب تسميتها بالسباعية: أنها مركبة من أجزاء سباعية في أصل وضعها.

-**وبحران يعرفان بالخماسيين وهما**: المتقارب والمتدارك؛ لاشتمالهما على أجزاء خماسية"[1].

وسمي بحر الشعر بحراً؛ لأن الشعراء ينظمون عليه ولا ينتهي، كما لا ينتهي بحر الماء مما يغترف منه. كذا قيل.

وأما مفاتيح البحور، فقد نظم صفي الدين الحلي (المتوفى: 750هـ) ستة عشر بيتًا تضمن الشطر الأول من كل بيت نظمًا على وزن البحر؛ والغرض من ذلك تسهيل حفظ ميزان كل بحر **وهي**:

---

(1) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب (28-29).

1 –الطَّوِيل:

طَوِيــلٌ لَــهُ دُونَ الْبُحُــورِ فَــضَائِلُ   فَعُــولُن مَفَــاعِيلُن فَعُــولُن مَفَاعِــلُ

2 – المَدِيد:

لِمَديــدِ الــشِّعْرِ عِنْــدِي صِــفَاتُ   فَـــاعِلاتُن فـــاعِلُن فَـــاعِلاتُ

3 – البَسِيط:

إِنَّ الْبَــسِيطَ لَدَيْــهِ يُبْــسَطُ الأَمَــلُ   مُــسْتَفْعِلُن فَــاعِلُن مُــسْتَفْعِلُن فَعِــلُ

4 – الوَافِر:

بُحُــورُ الــشِّعْرِ وَافِرُهَــا جَمِيــلُ   مُفَـــاعَلَتُن مُفَـــاعَلَتُن فَعُـــولُ

5 – الكَامِل:

كَمُلَ الْجَمَـالُ مِـن الْبُحُـورِ الْكَامِـلُ   مُتَفَـــاعِلُن مُتَفَـــاعِلُن مُتَفَاعِـــلُ

6 – الهَزَج:

عَلَـــى الأَهْـــزَاجِ تَـــسْهِيلُ   مَفَـــــــاعِيلُن مَفَاعِيـــــــلُ

7 – الرَّجَز:

فِـي أَبْحُـرِ الأَرْجَـازْ بَحْـرٌ يَـسْهُلُ   مُــسْتَفْعِلُن مُــسْتَفْعِلُن مُــسْتَفْعِلُ

8 – الرَّمَل:

رَمَــلُ الأَبْحُــرِ تَرْوِيــهِ الثِّقَــاتُ   فَــاعِلاتُن فَــاعِلاتُن فَــاعِلاتُ

9 – السَّرِيع:

بَحْـــرٌ سَـــرِيعٌ مَـــا لَـــهُ سَـــاحِلُ مُـــسْتَفْعِلُن مُـــسْتَفْعِلُن فَاعِـــلُ

10 – المُنْسَرِح:

مُنْـــسَرِحٌ فِيـــهِ يُـــضْرَبُ الْمَثَـــلُ مُـــسْتَفْعِلُن مَفْعُـــولاتُ مُفْتَعِـــلُ

11 – الخَفِيف:

يَـــا خَفِيفـــاً خَفَّـــتْ بِـــهِ الْحَرَكَـــاتُ فَـــاعِلاتُن مُـــسْتَفْعِلُن فَـــاعِلاتُ

12 – المُضَارِع:

تُعَـــــــدُّ الْمُـــــــضَارِعَاتُ مَفَاعِيـــــــلُ فَـــــــاعِلاتُ

13 – المقتضب:

اقْتَـــــضِبْ كَمَـــــا سَـــــأَلُوا فَـــــــاعِلاتُ مُفْتَعِـــــــلُ

14 –المجتث:

إِنْ جُثَّـــــتِ الْحَرَكَـــــاتُ مُـــــــسْتَفعِلُن فَـــــــاعِلاتُ

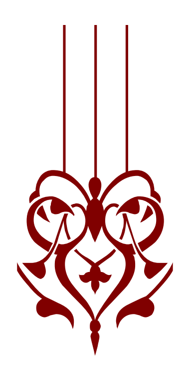
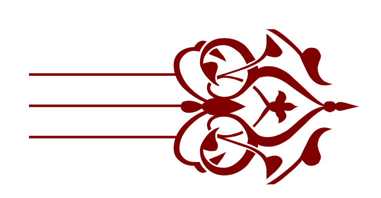
15 – المُتَقَارَب:

عَـــنِ الْمُتَقَـــارَبِ قَـــالَ الْخَلِيـــلُ فَعُـــولُن فَعُـــولُن فَعُـــولُن فَعُـــولُ

16 – المُتَدارك:

حَرَكَـــاتُ الْمُحْـــدَثِ تَنْتَقِـــلُ فَعِلُـــن فَعِلُـــن فَعِلُـــن فَعِـــلُ[1]

(1) ينظر: ميزان الذهب (109–112).

رابعًا: التفعيلات العروضية:

وهي ثمان، وقد تدخل عليها زحافات أو علل فتزيد بناءها أو تنقصه:

1- **فعولن**، وقد تصبح: فعولُ.

2- **فاعلن**، وربما تصبح: فعِلن، أو فعلْن، أو فاعلان.

3- **مفاعلين**، وقد تصير: مفاعلن، أو مفاعيلُ.

4- **فاعلاتن**، وقد تصير: فعلاتن، أو فاعلا، أو فاعلان، أو فاعلاتان.

5- **مستفعلن**، وقد تصير: متفْعِلُن، أو مستعلن، أو متَعِلن، أو مستفعلان، أو مستفعل.

6- **مفعولاتُ**، وقد تصبح: مفعلاتُ، أو مفعلا، أو معلات، أو فعلات.

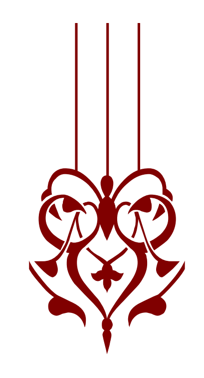
7- **مفاعَلَتُن**، وقد تصبح: مفاعلْتن، أو مفاعي.

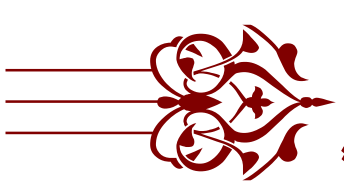
8- **متَفَاعلن**، متْفاعلن، أو متفاعلاتن، أو متفاعلان.

وقد تأتي مستفعلن: مستفع لن. وفاعلاتن: فاع لاتن[1].

---

(1) ينظر: ميزان الذهب(11-13)، العروض التطبيقي الميسر (18).





خامسًا: قصر الوقت في تعلم هذا العلم وسهولته:

هذا العلم قليل المادة، سهل التلقي لدى عدد من شداة العلم؛ فقد قال الصفدي في ترجمة ابن سيد الناس: وقال لي: لم يكن لي في العروض شيخ، ونظرت فيه جُمعةً فوضعت فيه مصنّفًا، ورأيت أنا هذا المصنّف(1).

وقال هارون بن عبد العزيز: قال أبو جعفر الطبري: لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يومًا رجل فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: عليّ قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فصر إليّ، وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي، فأمسيت غير عروضي، وأصبحت عروضيًا(2).

ولكنه قد يستصعب لدى أناس آخرين، حتى على بعض أئمة العربية؛ فيحكى أن الأصمعي أراد أن يقرأ على الخليل العروض وشرع في تعلمه فتعذر ذلك عليه، فيئس الخليل منه، فسأله عن معصوب الوافر، فقال له: يا أبا سعيد، كيف تقطع قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئًا فدعْهُ ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ

(1) أعيان العصر وأعوان النصر (5/ 206).

(2) معجم الأدباء (6/ 2449).

فعلم الأصمعي أن الخليل قد تأذى ببعده عن علم العروض، فلم يعاوده فيه[1].

وفي رواية: أن ذلك هو يونس بن حبيب، فقد قيل: كان يونس يختلف إلى الخليل يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه، فقال له الخليل يوماً: من أي بحر قول الشاعر:

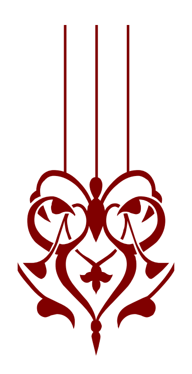
إذا لم تستطع شيئًا فدعْهُ ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ

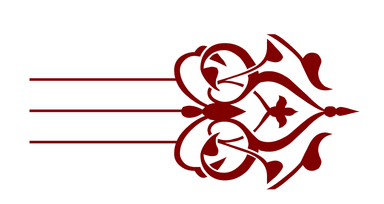
ففطن يونس إلى ما عناه الخليل وترك العروض[2].

---

(1) نزهة الألباء (ص: 51).

(2) التذكرة الحمدونية (3/ 33).





سادسًا: مؤلفات في علم العروض:



(1) العروض، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ).

(2) الكافي في علمي العروض والقوافي، لأبي زكريا: يحيى بن علي الخطيب، التبريزي، المتوفى: سنة 502هـ. نظمه: أحمد بن عبد الله الشهاب، القلحي. مولده: سنة 829هـ.

(3) القسطاس في العروض، لجار الله: محمود بن عمر الزمخشري. المتوفى: سنة 538هـ.

وشرحه: الزنجاني، وهو: عز الدين (تاج الدين): عبد الوهاب بن إبراهيم الحريري، الزنجاني. وسماه: (تصحيح المقياس، في تفسير القسطاس).

(4) عروض الساوي، قصيدة لامية تضاهي الحاجبية، لصدر الدين: محمد بن ركن الدين: محمد الساوي.

من شروحها:

أ-شرح شمس الدين: محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، المتوفى: سنة 749هـ.

ب- وشرح بدر الدين: محمود بن أحمد العيني. توفي: سنة 855هـ، ذكر فيه: أنه شرح شرحًا وسطًا مسمى: (بكتاب الحاوي في شرح قصيدة الساوي) .

ج-وشرح عمر بن عبد الرحمن بن عمر العروضي، الكرخي. المتوفى: سنة 699هـ، وسماه: (الدرة الفريدة في شرح القصيدة).

(5) الرامزة، ويقال: متن الخزرجية، لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي، المتوفى سنة (626هـ).

وهو متن منظوم في (98) بيتًا، ويقال له: الرامزة؛ لأن الناظم رمز في كلامه عن التفاعيل والأبحر والدوائر اختصاراً، ويقال: الخزرجية؛ نسبة إلى المؤلف.

ومن شروحه:

أ ـ العيون الغامزة على خبايا الرامزة، لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني المالكي المتوفى سنة (827هـ) .

ب ـ فتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية، لشيخ الإسلام زكريا ابن محمد الأنصاري المتوفى سنة (926هـ).

ج- وشرحها أيضًا: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد النقاوسي. وهو: شرح كبير.

د- وشرحها: شمس الدين: محمد بن محمد الإيجي، العثماني، الشافعي، وسماه: (رفع حجاب العيون الغامزة، عن كنوز الرامزة).فرغ من تأليفه: في عشر ربيع الأول، سنة 889هـ.

(6) المقصد الجليل في علم الخليل، لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر

بن أبي بكر المالكي، المشهور بابن الحاجب المتوفى سنة (646هـ).

وهي منظومة مشهورة في علمي العروض والقوافي، من بحر البسيط.

ولهذه المنظومة شروح كثيرة منها:

أ-نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، لجمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر القرشي الأموي الإسنوي الشافعي، المتوفى سنة (772هـ).

قال في نهاية شرحه هذا: "إن القصيدة المسماة: (بالمقصد الجليل، في علم الخليل) نظم: الأستاذ: جمال الدين، أبي عمرو: عثمان بن الحاجب. في علم العروض والقوافي. على بحر البسيط؛ من أصنع التصانيف، وأنفع التآليف، وأجمعها. فاستخرت الله – تعالى – في وضع شرح عليه، مفصح عن ألفاظ حاوية لما في كثير من المبسوطات، مشتمل على نوعين آخرين، مهمين، أهملهما الشراح. أحدهما: إعراب المشكل. والثاني: ضبط ما يخشى تصحيفه، من الأبيات المستشهدات. وذكرت أيضًا – قبيل الخوض – فصلاً يتضمن: قواعد، منها: ذكر الزحافات".

ب ـ الدر النضيد في شرح القصيد، لجمال الدين محمد بن ناصر الدين سالم بن واصل الحموي، المتوفى سنة (697هـ).

ج ـ شرح القصيد الجليل في علم الخليل، لبدر الدين أبي علي حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المالكي المشهور بابن أم قاسم، المتوفى سنة (749هـ).

د ـ شرح عروض الإمام ابن الحاجب، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، صاحب المصباح المنير، المتوفى سنة (770هـ).

هـ–وشرحها: محمد بن محمد السفاقسي، المتوفى: سنة 744هـ. وهو: شرح بسيط بالقول ذكر فيه: أنه شرحه أولاً وسماه: (شفاء العليل) ثم خرج من يده. وشرحه ثانيًا وسماه: (المورد الصافي في شرح عروض ابن الحاجب والقوافي).

ز–وشرحها: ابن صبيح:أحمد بن عثمان التركماني. المتوفى:سنة744هـ.

ح–وشرحها: بدر الدين: محمود بن أحمد العيني. مات: سنة 855هـ.

(7) الغاية في العروض، لمحمد بن حسن الزبيدي.المتوفى:سنة 676هـ.

قال حاجي خليفة: وهو: كتاب جليل مفيد".

(8) الوجيزة الكافية في العروض والقافية، لابن المهاجر: أحمد بن عبد الله الوادياشي، الحنفي. المتوفى: سنة 739هـ.

(9) شفاء العليل في علم الخليل، أُرجوزة لأمين الدين: محمد بن علي المحلي. المتوفى سنة 673هـ.

قال السراج الوراق في مدحه:

جزاك الله عن علم الخليلِ مجازاة الخليل عن الخليلِ

وكنا قد أيسنا منه حتى شفيت غليلنا بشفا العليلِ

(10) جواهر البحور في العروض، لمحمد بن أبي بكر بن الدماميني. ثم

شرحه، وسماه: معدن الجواهر.

(11) الروض المروض، أرجوزة للشيخ: طاهر بن حبيب الحلبي. المتوفى: سنة 808هـ. ثم شرحها وسماه: (نافلة العروض).

(12) الكافي في علمي العروض والقوافي، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن عباد بن شعيب القنائي الشافعي، المعروف بالخواص، المتوفى سنة (858هـ).

ولهذا المتن عدة شروح منها:

أ ـ الإرشاد الشافي على المتن الكافي في علمي العروض والقوافي، وهو الحاشية الكبرى على المتن المذكور، لمحمد الدمنهوري المصري الشافعي المتوفى سنة (1288هـ).

ب ـ المختصر الشافي على متن الكافي، وهو الحاشية الصغرى على المتن المذكور، للدمنهوري سابق الذكر، وهو مختصر الشرح السابق.

(13) الشافية في العروض. قصيدة مشتملة على: ستمائة بيت، لأحمد بن إسماعيل الكوراني. نظمها: للسلطان: محمد خان. المتوفى: سنة 893هـ.

(14) الشافي في علم العروض والقوافي، لتقي الدين: حسين بن علي الحصني، ألفه: سنة 956هـ.

(15) الكافية الشافية في علمي العروض والقافية، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، المتوفى سنة (1206هـ). وهي منظومة تقع في (83) بيتاً. **وقد شرحها** مؤلفها.

(16) تسهيل العروض إلى علم العروض، لعبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين الأسفرايني. المتوفى: سنة 1037هـ.

(17) أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية، للدكتور: محمود مصطفى المتوفى سنة (1360هـ) .

(18) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي المتوفى سنة (1362هـ).

(19) الخلاصة الوافية في علمي العروض والقافية، للأستاذ: حامد بن سليمان عباس.

(20) العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، للشيخ: جلال الحنفي.

(21) العروض الواضح وعلم القافية، للدكتور:محمد بن علي الهاشمي[1].

(22) علم العروض والقافية، للأستاذ: عبد العزيز عتيق.

(21)العروض التطبيقي الميسر،لأستاذنا الدكتور:عبد المنعم أحمد صالح.

(22) الشافي في العروض والقوافي، لهاشم صالح مناع .

(23) المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، للدكتور: إميل بديع يعقوب.

---

(1) **استفدت أسماء هذه الكتاب من كتابي**: الدليل إلى المتون العلمية، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

(24) معجم مصطلحات العروض والقافية، د. محمد علي الشوابكة / د. أنور أبو سويلم .

(25) المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر، لعدنان حقي.

(26) موسوعة العروض والقافية، لسعد بن عبد الله الواصل.

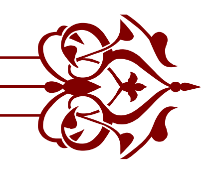
(27) درر الحور في نظم تشكيلات البحور، للدكتور: عبد الله بن عبده العواضي. وهي منظومة مؤلفة من (122) بيتًا نُظمتْ فيها تشكيلات البحور الشعرية الستة عشر، في كل تشكيلة نظم بيتان. وقد جعل لهذه المنظومة موضوع واحد تنضوي تحته كل أبياتها، وهو: الأخلاق الحسنة التي يتخلق بها الإنسان مع الله تعالى، والتي يتخلق بها مع الخلق.

وقُدم بين يدي هذا النظم بيان بعدِّ الزحافات والعلل التي تدخل تفعيلات البحور، مع ذكرِ تعريفاتها، وذكر مثال واحد من التفعيلات لكل زحاف وعلة.

وهناك مؤلفات كثيرة غير ما ذكرنا.

أخيراً: هناك ألفياتٌ نظمت في علوم كثيرة؛ كالنحو والبلاغة وعلوم الشريعة كالفقه ومصطلح الحديث وغير ذلك، والأمر في تلك العلوم سهل؛ لسعتها، لكن العروض رغم قلة المعلومات فيه فقد وجدنا إشارة إلى ألفية نظمت فيه، **قال القلقشندي:** وقد نظم فيه صاحبنا شعبان الآثاري (المتوفى سنة 828) محتسب مصر ألفية فائقة سماها «هداية الضّليل إلى علم الخليل» جمع فيها فأوعى[1].

(1) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (1/ 542).




مقدمة في علم أصول الفقه

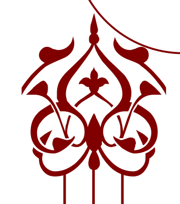
وسنتحدث في هذا العلم عن الآتي:

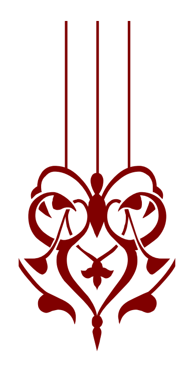
أولاً: المبادئ العشرة لهذا العلم.

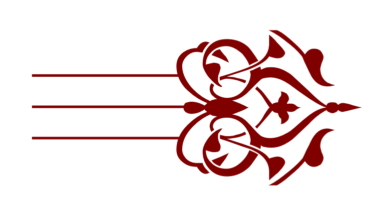
ثانيًا: الفرق بين أصول الفقه والفقه وأيهما يقدم في الدراسة.

ثالثًا: نشأة علم أصول الفقه وطرق التأليف فيه.

رابعًا: متون أصول الفقه في المذاهب الأربعة وبعض شروحها.





أولاً: المبادئ العشرة لهذا العلم:

1 - **حدّه:**

الأصول لغة: جمع أصل، وهو في اللغة: ما يبنى عليه غيره. ويطلق على منشأ الشيء.

ويطلق لفظ الأصل على عدة معان، أهمها ما يلي:

1 - **الدليل**، كما يقول الفقهاء: الأصل في هذه المسألة الكتاب والسنة والإجماع، أي: الدليل عليها.

2 - **القاعدة المستمرة**، كما يقول الأصوليون: الأصل أن الخاص مقدم على العام عند التعارض، وكما يقول النحاة: الأصل في المبتدأ التقديم وفي الخبر التأخير.

3 - **الراجح**، كما يقول الأصوليون: الأصل بقاء ما كان على ما كان. والأصل براءة الذمة من التكاليف الشرعية.

4 - **مخرج المسألة الفرضية**، أي: العدد الذي تخرج منه الفروض المقدرة بلا كسر، كما يقول الفرضيون: أصل هذه المسألة كذا.

5 - **المقيس عليه**، كما يقول الأصوليون في باب القياس: أركان القياس أربعة: الأصل، والفرع، والعلة، والحكم.

وأقرب هذه المعاني لإطلاق الأصل هنا هو المعنى الأول ثم الثاني[1].

اصطلاحًا: هو: معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد[2].

وقيل: مجموع طرق الفقه الإجمالية، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد.

شرح التعريف:

قوله: (مجموع طرق الفقه) أي: مجموع الطرق التي توصل إلى إدراك الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

وعبَّر بالطرق دون الأدلة؛ لأن الأدلة عند كثير من العلماء لا تشمل ما يفيد الظن مثل القياس والاستصلاح ونحوهما من الطرق التي جعلها الفقهاء أمارات على الأحكام، وإنما تطلق على النصوص القطعية والإجماع القطعي فحسب.

وقوله: (الإجمالية): نسبة إلى الإجمال وهو ضد التفصيل، وعبر بالإجمالية ليخرج طرق الفقه التفصيلية التي يعد الاشتغال بها من عمل الفقيه.

وبحث الأصولي لا يتعلق بآية من القرآن بخصوصها كيف تدل على ما دلت عليه من الأحكام، ولا حديث بعينه، ولا قياس بعينه، وإنما يبحث في حجية

(1) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (1/ 26)، نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص: 8)، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: 14).

(2) الإبهاج في شرح المنهاج (1/ 19)، التحبير شرح التحرير (1/ 180)، نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص: 7).

الكتاب وحجية السنة وحجية القياس.

وقوله: (وكيفية الاستفادة منها) أي: طرق استفادة الأحكام من الأدلة والأمارات الموصلة إليها، وهذا يشمل طرق الدلالة اللفظية والعقلية، وطرق نصب الدليل الذي يوصل إلى معرفة الحكم الشرعي، سواء أكان الدليل نصّاً من قرآن أو سنة ونحوهما أم معقولاً من النص كالقياس والاستصلاح وغيرهما، وهذا يدخل ما ذكره الأصوليون في دلالات الألفاظ من العام والخاص والمطلق والمقيد، والأمر والنهي، والمنطوق والمفهوم، كما يُدخل طرق معرفة العلة المستنبطة ونحو ذلك مما لا يخفى.

وقوله: (وحال المستفيد) أي: وكيفية حال المستفيد، **والمراد بالمستفيد صنفان: المجتهد والمقلد، فالمجتهد** يستفيد الحكم من الدليل أو الأمارة التي نصبها الشرع لتهدي إلى الحكم. **والمقلد يستفيد** الحكم من المجتهد بسؤاله عنه.

وحال المجتهد والمقلد مما يدخل في أصول الفقه، فالعلم بشروط الاجتهاد وحكمه، وأنواع المجتهدين وآداب الاجتهاد وحكم التقليد وآداب الاستفتاء، وما يتبع ذلك كله داخل في أصول الفقه[1].

2- موضوعه:

قال التهانوي: "وموضوعه: الأدلة الشرعية والأحكام؛ توضيحه: أنّ كل دليل من الأدلة الشرعية إنما يثبت به الحكم إذا كان مشتملاً على شرائط وقيود

(1) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: 15-16).

مخصوصة، فالقضية الكليّة المذكورة إنما تصدق كلية إذا اشتملت على هذه الشرائط والقيود، فالعلم بالمباحث المتعلّقة بهذه الشرائط والقيود يكون علماً بتلك القضية الكلية، فتكون تلك المباحث من مسائل أصول الفقه. هذا بالنظر إلى الدليل، وأمّا بالنظر إلى المدلول وهو الحكم، فإن القضية المذكورة إنما يمكن إثباتها كلية إذا عرف أنواع الحكم، وأنّ أي نوع من الأحكام يثبت بأيّ نوع من الأدلة بخصوصية ثابتة من الحكم، ككون هذا الشيء علّة لذلك الشيء، فإنّ هذا الحكم لا يمكن إثباته بالقياس"[1].

وقال حاجي خليفة: "وموضوعه: الأدلة الشرعية الكلية، من حيث إنها كيف يستنبط عنها الأحكام الشرعية"[2].

فموضوع هذا العلم إذن: هو الأدلة الإجمالية الموصلة إلى الأحكام الشرعية العملية وأقسامها، واختلاف مراتبها وكيفية أخذ الأحكام الشرعية على وجه كلي، فيبحث الأصولي عن العوارض اللاحقة لهذه الأدلة من كونها: عامة، أو خاصة، أو مطلقة، أو مقيدة، أو مجملة، أو مبينة، أو منطوقاً، أو مفهوماً وهكذا.

وليس موضوع أصول الفقه الأحكام الشرعية؛ لأن الأحكام الشرعية ثمرة الأدلة، وثمرة الشيء تابعة له[3].

---

(1) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 39).

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/ 81).

(3) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (1/ 7)، الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح (ص: 13).

ومعرفة هذه الأمور هي مسائل أصول الفقه.

فمثلاً الكتاب- وهو دليل سمعي كلي- لم ترد نصوصه على حَالة واحدة، بل منها ما هو بصيغة الأمر، أو النهي، أو العام، أو الخاص، أو المطلق، أو المقيد إلى آخره، **فهذه الأمور** -وهي: الأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل، والمطلق والمقيد، وغيرها- تعتبر من أنواع الدليل الشرعي العام الذي هو الكتاب، فيبحث الأصولي هذه الأمور وما تفيده، فبعد بحثه وتمحيصه يتوصل إلى أن الأمر يفيد الفور أو التكرار، ويتوصل إلى أن النهي يفيد التحريم، وأن العام يدل دلالة ظنية، وهكذا. فهذه كلها وجوه الاستدلال بالكتاب، والدليل واحد، وهو نفس الكتاب[1].

ولخص بعضهم موضوع هذا العلم في ثلاث:

1 - **طرق الفقه على سبيل الإجمال**، ويقصد بها الأدلة بنوعيها القطعي والظني، أو المتفق عليه والمختلف فيه، والبحث فيها يشمل حجيتها وقوتها في الإيصال إلى الحكم، وشروط حجيتها وترتيبها وجميع عوارضها.

2 - **صفة الاستفادة منها**، وهذا يشمل طرق الدلالة أهي عقلية أم لفظية؟ حقيقية أم مجازية؟ بطريق المنطوق أم المفهوم؟ بطريق الخصوص أم العموم؟. وهذا يعرف عند المتأخرين بطرق الاستنباط، كما يشمل طرق معرفة العلة وإجراء الأقيسة.

---

(1) المهذب في علم أصول الفقه المقارن (1/ 38).

3 - صفة المجتهد والمقلد وما يتبع ذلك من شروط الاجتهاد وأحكامه، وسبيل دفع التعارض والمرجحات، ومعنى التقليد وأحكامه.

يتبين لنا من هذا أن الفقيه يبحث في فعل المكلف لمعرفة الحكم الشرعي فيه ودليله الجزئي، والأصولي يبحث في الدليل الكلي الموصل إلى ذلك الحكم الفقهي ودليله الجزئي ونوع ذلك الدليل الكلي وأعراضه وأنواع تلك الأعراض[1].

3 -ثمرته:

لهذا العلم ثمرات جليلة كثيرة، منها:

1 - **الوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية** التي هي مناط السعادة الدنيوية والأخروية، والتفقه في الدين، ومعرفة ما للمكلف وما عليه من الحقوق والواجبات، وهذا يحصل بمعرفة أصول الفقه وتطبيق قواعده على الأدلة التفصيلية وعلى الحوادث الجزئية.

2 - **معرفة الحكم الشرعي** لكل ما يجدُّ من الحوادث والوقائع التي لم يرد فيها بخصوصها نص صريح ولا ظاهر بيِّن، ولم يتكلم عنها الفقهاء السابقون لعدم وجودها في عصرهم.

3 - **معرفة حِكَم الشريعة وأسرارها** بالتأمل في علل الأحكام ومقاصدها، ومعرفة المقاصد الشرعية الضرورية والحاجية والتحسينية، وتنزيل كل مقصد في

---

(1) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: 17)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" الحاشية" (1/ 23).

منزلته عند التزاحم.

4- **مواجهة خصوم الشريعة الإسلامية** الذين يزعمون أن الشريعة لم تعد صالحة للتطبيق في هذا الزمن، وذلك ببيان قدرة الشريعة على استيعاب حاجات الناس في الحاضر والمستقبل، وقدرتها على حل مشاكل الناس بما يتفق مع نصوص الوحي وعمل الصحابة والتابعين، وهذا لا يتم إلا بمعرفة أصول الفقه والقدرة على القياس والتخريج، والإحاطة بطرق الاستنباط من منطوق ومفهوم، وخصوص وعموم، وإطلاق وتقييد ونحو ذلك.

5- **حماية الفقيه من التناقض**، فالفقيه الذي لم يتعمق في دراسة هذا العلم تأتي فتاواه متناقضة فيفرق بين المتماثلات، ويسوي بين المختلفات، وهذا يضعف الثقة فيما يقول، ويسيء إلى الشريعة ويقلل من قيمتها في نفوس الجاهلين بها من المسلمين أو غيرهم.

6- **أنه يُبين المناهج والأسس والطرق** التي يستطيع الفقيه عن طريقها استنباط الأحكام الفقهية للحوادث المتجددة.

7- **أن طالب العلم الذي لم يبلغ درجة الاجتهاد**، يستفيد من دراسة أصول الفقه؛ حيث يجعله على بينة مما فعله إمامه عند استنباطه للأحكام، فمتى ما وقف ذلك الطالب للعلم على طرق الأئمة، وأصولهم، وما ذهب إليه كل منهم من إثبات تلك القاعدة، أو نفيها، فإنه تطمئن نفسه إلى مدرك ذلك الإمام الذي قلَّده في عين ذلك الحكم أو ذاك، فهذا يجعله يمتثل عن اقتناع، وهذا يفضي إلى أن يكون

عنده القدرة التي تمكنه من الدفاع عن وجهة نظر إمامه.

8- **أن العارف بالقواعد الأصولية** يستطيع أن يُخرِّج المسائل والفروع غير المنصوص عليها على قواعد إمامه.

9- **أن العارف بتلك القواعد الأصولية** يستطيع أن يدعو إلى الله تعالى وإلى دينه، بناء على أسس ومناهج وطرق يستطيع بها أن يقنع الخصم بما يريد أن يدعوه إليه.

10- **أن المتخصص بعلم التفسير وعلم الحديث** محتاج إلى دراسة علم أصول الفقه، حيث إنه يبين دلالات الألفاظ، وهل تدل على الحكم بالمنطوق أو بالمفهوم، أو بعبارة النص، أو بإشارته، أو بدلالته، أو باقتضائه، ونحو ذلك؛ لذلك تجد أكثر المفسرين والشارحين للأحاديث هم من الأصوليين.

11- **أن كل شخصٍ يريد أن يتخصص بالإعلام** محتاج إلى معرفة أصول الفقه، وذلك لأن علم أصول الفقه قد اعتنى عناية فائقة ومميزة في الأخبار، وكيف أنها تنقسم إلى متواتر، وآحاد، ومشهور، وكيف العمل عند تعارض تلك الأخبار، وطريقة الترجيح فيما بينها، **واعتنى** -أيضًا- في بيان أنه عند إعلان الأخبار لا بد من مراعاة مصالح الناس وأعرافهم.

12- **أن علم أصول الفقه** يعطي الدليل الجازم لعظمة الثروة الفقهية من جهة، ويؤكد للباحث المجرد، والمطلع الحيادي أن أسباب الاختلاف بين الأئمة هي أسباب موضوعية علمية، وليست أسبابًا شخصية أو عشوائية.

13 – **أنه أظهر مزايا التشريع الإسلامي وحيويته ومرونته**، وبه حفظ الله القرآن العظيم من العبث والتأول وحفظ الأحكام من الفوضى.

وأخيراً ربما يظن كثير من الناس أن أصول الفقه تقتصر فائدته على الفقه في المسائل العملية، والحق خلاف ذلك؛ فإن فائدة هذا العلم لا يستغني عنها المفسر والمحدث والمتكلم والباحث في العقائد، وكل من يحتاج إلى فهم نصوص الوحي والاستدلال بها، فإن هذا العلم عبارة عن قواعد للفهم الصحيح والاستدلال الصحيح، والجمع بين ما ظاهره التعارض؛ ولهذا نستطيع القول: إن تسميته بأصول الفقه لا يعني اقتصار فائدته على استنباط الأحكام الفقهية، ولعل الذين سموا مؤلفاتهم بالأصول من غير تقييد بالفقه لحظوا هذا الملحظ فعمموا، **ومن هؤلاء الغزالي** الذي سمى كتابه: المستصفى من علم الأصول، **والرازي** سمى كتابه: المحصول من علم الأصول، **والبيضاوي** سماه: منهاج الأصول في علم الأصول، **والشوكاني** سماه: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول[1].

وقال حاجي خليفة: "والغرض منه: تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية، من أدلتها الأربعة، أعني: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. وفائدته: استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة[2].

(1) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (1/ 7)، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: 18-20)، المهذب في علم أصول الفقه المقارن (1/ 42).

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/ 81).

4-**فضله :**

علم أصول الفقه من أجل العلوم قدرا، وأكثرها فضلاً وخيرا، ولا غنى للناظر في النصوص الشرعية عن معرفته وفهمه؛ لأنه طريقه المنضبط الذي يصل به إلى الفهم الصحيح لتلك النصوص، واستنباط أحكامها ومعرفة مراداتها من منطوقها ومفهومها.

وهذا العلم له فضل كبير على سائر العلوم العقلية؛ لأنه ميزان يضبط به فهم الكتاب والسنة وسائر نصوص الكلام.

ومن خلال ما سبق من بيان بعض ثمراته يعرف فضله.

قال ابن اللحام: "فإن علم أصول الفقه لما كان في علم الشريعة كواسطة النظام متوسطًا بين رتبتي الفروع وعلم الكلام وهو علم عظيم شأنه وقدره، وعلا في العالم شرفه ومخبره؛ إذ ثمرته ما تضمنته الشريعة المطهرة من الأحكام وبه تحكم الأئمة الفضلاء مباحثهم غاية الإحكام..."(1).

وقال الزركشي: "ثُمَّ أَشْرَفُ الْعُلُومِ بَعْدَ الِاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ: مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ، وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ بِالتَّقْلِيدِ وَنَقْلُ الْفُرُوعِ الْمُجَرَّدَةِ يَسْتَفْرِغُ جَمَامَ الذِّهْنِ وَلَا يَنْشَرِحُ بِهَا الصَّدْرُ، لِعَدَمِ أَخْذِهِ بِالدَّلِيلِ، وَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِالْعِبَادَةِ تَقْلِيدًا لِإِمَامِهِ بِمَعْقُولِهِ وَبَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِهَا وَقَدْ ثَلَجَ صَدْرُهُ عَنْ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَهَذَا لَا يَحْصُلُ إلَّا

(1) القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية (ص: 15).

بِالِاجْتِهَادِ، وَالنَّاسُ فِي حَضِيضٍ عَنْ ذَلِكَ، إِلَّا مَنْ تَغَلْغَلَ بِأُصُولِ الْفِقْهِ، وَكَرَعَ مِنْ مَنَاهِلِهِ الصَّافِيَةِ، وَأَدْرَعَ مَلَابِسَهُ الضَّافِيَةَ، وَسَبَحَ فِي بَحْرِهِ، وَرَبِحَ مِنْ مَكْنُونِ دُرِّهِ.

قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِ الْمَدَارِكِ - وَهُوَ مِنْ أَنْفَسِ كُتُبِهِ-": وَالْوَجْهُ لِكُلِّ مُتَصَدٍّ لِلْإِقْلَالِ بِأَعْبَاءِ الشَّرِيعَةِ أَنْ يَجْعَلَ الْإِحَاطَةَ بِالْأُصُولِ شَوْقَهُ الْآكَدَ، وَيَنُصَّ مَسَائِلَ الْفِقْهِ عَلَيْهَا نَصَّ مَنْ يُحَاوِلُ بِإِيرَادِهَا تَهْذِيبَ الْأُصُولِ، وَلَا يَنْزِفُ جَمَامَ الذِّهْنِ فِي وَضْعِ الْوَقَائِعِ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهَا لَا تَنْحَصِرُ مَعَ الذُّهُولِ عَنْ الْأُصُولِ.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي الْمُسْتَصْفَى ": خَيْرُ الْعِلْمِ مَا ازْدَوَجَ فِيهِ الْعَقْلُ وَالسَّمْعُ وَاصْطَحَبَ فِيهِ الرَّأْيُ وَالشَّرْعُ عِلْمُ الْفِقْهِ، وَأُصُولُ الْفِقْهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ صَفْوِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ سَوَاءَ السَّبِيلِ، فَلَا هُوَ تَصَرَّفَ بِمَحْضِ الْعُقُولِ بِحَيْثُ لَا يَتَلَقَّاهُ الشَّرْعُ بِالْقَبُولِ، وَلَا هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّقْلِيدِ الَّذِي لَا يَشْهَدُ لَهُ الْعَقْلُ بِالتَّأْيِيدِ وَالتَّسْدِيدِ، وَلِأَجْلِ شَرَفِ عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ وَرِفْعَتِهِ وَفَّرَ اللهُ دَوَاعِيَ الْخَلْقِ عَلَى طُلْبَتِهِ، وَكَانَ الْعُلَمَاءُ بِهِ أَرْفَعَ مَكَانًا، وَأَجَلَّهُمْ شَأْنًا، وَأَكْثَرَهُمْ أَتْبَاعًا وَأَعْوَانًا.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ فِي كِتَابِهِ " الْأُصُولُ ": اعْلَمْ أَنَّ النَّصَّ عَلَى حُكْمِ كُلِّ حَادِثَةٍ عَيْنًا مَعْدُومٌ، وَأَنَّ لِلْأَحْكَامِ أُصُولًا وَفُرُوعًا، وَأَنَّ الْفُرُوعَ لَا تُدْرَكُ إِلَّا بِأُصُولِهَا، وَأَنَّ النَّتَائِجَ لَا تُعْرَفُ حَقَائِقُهَا إِلَّا بَعْدَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ بِمُقَدِّمَاتِهَا، فَحُقَّ أَنْ يُبْدَأَ بِالْإِبَانَةِ عَنْ الْأُصُولِ لِتَكُونَ سَبَبًا إِلَى مَعْرِفَةِ الْفُرُوعِ"[1].

وقال ابن خلدون: "اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها

---

(1) البحر المحيط في أصول الفقه (1/ 21).

قدراً، وأكثرها فائدة، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام و التآليف"[1].

5-نسبته :

نسبته إلى غيره من العلوم التباين؛ فهو علم مستقل من وجه، وإن تداخلت بعض مباحثه ومسائله في علومٍ أخرى[2]. وهو جزء من العلوم الشرعية والعربية.

6-واضعه :

وواضعه: الإمام: محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرسالة، وحكى الأسنوي وغيره الإجماع على أن أول من صنف في الأصول الإمام الشافعي[3].

"**قال الإمام فخر الدين الرازي** في كتابه مناقب الشافعي: (الناس كانوا قبل الإمام الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون، ولكن لم يكن لهم قانون كلي يرجعون إليه في معرفة دلائل الشريعة وكيفية معارضتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً يُرجع إليه في مراتب أدلة الشرع. ثم قال: والناس وإن أطنبوا بعد ذلك في علم أصول الفقه إلَّا أن كلهم عيال على الشافعي فيه؛ لأنه هو الذي فتح هذا الباب، والسبق لمن سبق).

---

(1) مقدمة ابن خلدون (2/ 111).

(2) شرح الورقات - عبد الكريم الخضير (1/ 8).

(3) شرح الورقات - عبد الكريم الخضير (1/ 8).

قال جلال الدين السيوطي: أول من ابتكر هذا العلم: الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإجماع، وألف فيه كتاب الرسالة الذي أرسل به إلى عبد الرحمن بن مهدي، وهو مقدمة كتاب الأم.

وعقد بدر الدين الزركشي المتوفى سنة 794 هـ في كتابه البحر المحيط فصلاً بعنوان: الشافعي أول من صنَّف في أصول الفقه.

ويكاد يكون كل من أرخ لهذا الفن ذكر أن الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أول من صنف في هذا العلم"[1].

والإمام الشافعي في" الرسالة" لم يضع القواعد الأصولية كلها في هذا الكتاب، ولكنه بهذا العمل لفت أنظار العلماء من الباحثين المدققين إلى متابعة التدقيق، والبحث والترتيب حتى أصبح علم أصول الفقه علماً مستقلاً رتبت أبوابه، وحررت أكثر مسائله، وجمعت مباحثه، وألّفت فيه المؤلفات والمصنفات على اختلاف في الطرق التي اتبعوها في التأليف والتصنيف[2].

7- اسمه :

اسمه: أصول الفقه. "ويسمّى هو وعلم الفقه بعلم الدراية أيضًا"[3].

قال حاجي خليفة: "واعلم: أن الحوادث، وإن كانت متناهية في نفسها،

(1) التحصيل من المحصول" مقدمة المحقق" (1/ 110).

(2) المهذب في علم أصول الفقه المقارن (1/ 58).

(3) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 37).

بانقضاء دار التكليف، إلا أنها لكثرتها، وعدم انقطاعها، مادامت الدنيا غير داخلة تحت حصر الحاصرين، فلا يعلم أحكامها جزئيا.

ولما كان لكل عمل من أعمال الإنسان حكم، من قبل الشارع منوط بدليل يخصه، جعلوها قضايا، موضوعاتها: أفعال المكلفين، ومحمولاتها: أحكام الشارع من الوجوب وأخواته.

فسموا: العلم المتعلق بها، الحاصل من تلك الأدلة: فقهًا.

ثم نظروا في تفاصيل الأدلة والأحكام، وعمومها، فوجدوا الأدلة راجعة إلى: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، ووجدوا الأحكام راجعة إلى: الوجوب، والندب، والحرمة، والكراهة، والإباحة، وتأملوا في كيفية الاستدلال بتلك الأدلة على الأحكام إجمالاً، وبيان طرقه، وشرائطه؛ ليتوصل بكل من تلك القضايا إلى استنباط كثير من تلك الأحكام الجزئية، عن أدلتها التفصيلية، فضبطوها، ودونوها، وأضافوا إليها من اللواحق، وسموا العلم المتعلق بها: أصول الفقه"(1).

8- استمداده:

استمد هذا العلم من مصادر وهي:

أ- القرآن الكريم والسنة النبوية: فإن هذين المصدرين هما أساس العلوم الشرعية كلها، فكل علم لا أصل له في الكتاب والسنة فليس من علوم الشريعة.

ووجه استمداده من هذين المصدرين: أن موضوعات علم أصول الفقه ثلاثة

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/ 81).

أنواع **أهمها**: أدلة الأحكام، والقرآن والسنة ترجع إليهما جميع الأدلة التي يذكرها الأصوليون، سواء أكانت نقلية أم عقلية، محل اتفاق أم محل اختلاف، فحجية الإجماع والقياس والمصالح والاستحسان والعرف وشرع من قبلنا وأقوال الصحابة راجعة إلى الكتاب والسنة، وطرق الدلالة، وطرق دفع التعارض بين الأدلة، وبيان منزلة كل دليل، راجع إلى الكتاب والسنة، ولهذا نجد أن أكثر القواعد الأصولية قد استدل عليها بالقرآن أو بالسنة أو بهما معاً.

ب-علم أصول الدين، ويعبر عنه أكثرهم بعلم الكلام: ووجه استمداد أصول الفقه منه: أن العلم بالأدلة الإجمالية وصحة الاستدلال بها مبني على معرفة الله تعالى وصفاته وما يجب له سبحانه وما يجوز له وما يمتنع إطلاقه عليه، والعلم بصدق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه وما يجوز أن يقع من الرسول ﷺ وما لا يجوز.

وقد استمد منه كذلك: مسائل، من أهمها: مسألة الحاكم، والتحسين والتقبيح العقليين، والتكليف بما لا يطاق، وتكليف المعدوم، وحكم الأشياء قبل البعثة، والمجتهد يخطئ ويصيب، وخلو الزمان من مجتهد، وشكر المنعم، وبعض مسائل النسخ، وشرط الإرادة في الأمر، ونحو ذلك.

ج-اللغة العربية: ووجه استمداده من اللغة العربية: أن اللغة هي وعاء الكتاب والسنة، والكتاب نزل بلغة العرب، والسنة القولية جاءت بلسان الرسول العربي، والاستدلال بهما مبني على معرفة طرق العرب في الإفهام والفهم، ومن جملة أصول الفقه طرق دلالة الألفاظ على المعاني من عموم وخصوص، وإطلاق وتقييد، واشتراك وإجمال، ومنطوق ومفهوم، وحقيقة ومجاز، وهذه كلها إنما يتبع

فيها ما جرى عليه عرف أهل اللغة الذين نزل القرآن بلغتهم وتكلم الرسول ﷺ بها، إلا أن يكون للشرع عرف حادث فيقدم عند الاحتمال.

وفي هذا يقول إمام الحرمين: "ومن مواد أصول الفقه: العربية؛ فإنه يتعلق طرف صالح منه بالكلام على مقتضى الألفاظ، ولن يكون المرء على ثقة من هذا الطرف حتى يكون محققًا مستقلاً باللغة العربية"[1].

د- الأحكام الشرعية: من حيث تصورها؛ لأن المقصود إثباتها أو نفيها، كقولنا: الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصلاة واجبة، والربا حرام.

وقد استمد الأصول من الأحكام الشرعية بسبب: أن المقصود والغرض من هذا العلم هو إثبات الأحكام الفرعية، فلا بد للأصولي أن يعرف قدراً ليس بالقليل من الفقه والأحكام الشرعية، ليتمكن عن طريق معرفته تلك من إيضاح المسائل، وضرب أمثلة لتصوير القاعدة الأصولية، وليتأهل بالبحث فيها للنظر والاستدلال[2].

9- حكم تعلمه:

إن تعلم أصول الفقه يختلف باختلاف المتعلمين: فإن كان الشخص يهيئ نفسه للوصول إلى درجة الاجتهاد في هذه الشريعة الإسلامية، ويريد رفع الجهل عن نفسه ورفع الجهل عن غيره، فإن تعلم أصول الفقه بالنسبة إليه فرض عين؛

(1) البرهان في أصول الفقه (1/ 7).

(2) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (1/ 7)، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: 21) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (1/ 24)، المهذب في علم أصول الفقه المقارن (1/ 55)، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (1/ 48).

لأنه لا يمكن له أن يتوصل إلى درجة الاجتهاد بدون تعلمه، بل هو أهم العلوم التي يجب تحصيلها والوقوف عليها حتى يكون مجتهداً وقادراً على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها.

أما إن كان الشخص طالباً للعلم بصورة عامة، فإن تعلم أصول الفقه فرض كفاية، شأنه شأن أي علم يجب أن يقوم به بعض الناس[1].

وقال ابن النجار: "معرفة أصول الفقه فرض كفاية، كالفقه" قال في "شرح التحرير": وهذا الصحيح، وعليه أكثر الأصحاب. قال في "آداب المفتي": "والمذهب أنه فرض كفاية كالفقه". وقيل: فرض عين. قال ابن مفلح في "أصوله" -لما حكى هذا القول-: والمراد للاجتهاد. فعلى هذا المراد يكون الخلاف لفظيا"[2].

وأما إذا تصدى لتفسير القرآن الكريم فلا يبعد أن يكون تعلمه لأصول الفقه فرض عين.

10- **مسائله:**

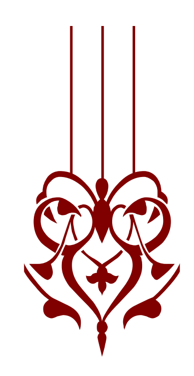
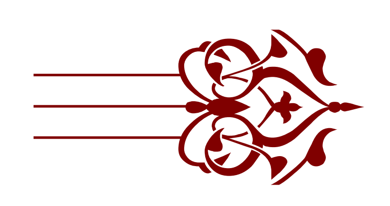
وأما مسائله فهي: أحوال الأدلة المبحوث عنها فيه، وهي الحكم بنوعيه، والأدلة، والألفاظ ودلالاتها، وحال المستفيد منه، وغير ذلك[3].

---

(1) المهذب في علم أصول الفقه المقارن (1/ 41).

(2) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (1/ 47).

(3) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي(1/ 7)، نفائس الأصول في شرح المحصول(1/ 98).


ثانيًا: الفرق بين أصول الفقه والفقه وأيهما يقدم في الدراسة:

أصول الفقه يكون في البحث عن أدلة الفقه الإجمالية بالتفصيل، فهو عبارة عن المناهج والأسس التي يجب أن يسلكها ويتَّبعها الفقيه.

وأما الفقه: فهو يبحث في العلم بالأحكام الشرعية العملية المأخوذة من أدلتها التفصيلية، فهو عبارة عن استخراج الأحكام من الأدلة التفصيلية مع التقيد بتلك المناهج. فأصول الفقه بالنسبة للفقه كعلم المنطق بالنسبة لسائر العلوم الفلسفية، حيث إنه ميزان يضبط العقل، ويمنعه من الخطأ في التفكير.

وقد اختُلف في أيهما يقدم في الدراسة على مذهبين:

المذهب الأول: أن تعلُّم أصول الفقه يقدم على تعلم الفقه؛ ليكون المتعلم على ثقة مما يدخل فيه، ويكون قادراً على فهم مرامي جزئيات الفقه، فالفروع لا تدرك إلا بأصولها، والنتائج لا تعرف حقائقها إلا بعد تحصيل العلم بمقدماتها، وعلى هذا: ينبغي أن تحفظ الأدلة، وتحكم الأصول، ثم حينئذٍ تبنى عليها الفروع؛ لذلك تجد بعض الفقهاء من المالكية وغيرهم يَجعلون القواعد الأصولية كمقدمة لكتبهم الفقهية.

المذهب الثاني: أن تعلُّم الفقه والفروع يُقدم على تعلُّم الأصول؛ لأن من لم يعتد طرق الفروع والتصرف فيها لا يمكنه الوقوف على ما يبتغي بهذه الأصول من الاستدلال، والتصرف في وجوه القياس. أي: أنه بتعلُّم الفروع تحصل له الدربة

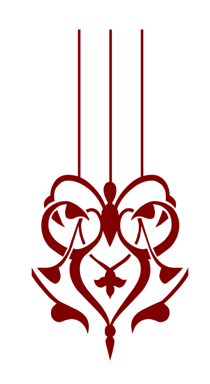
والملكة التي تجعله يستفيد من تلك الأصول والقواعد استفادة صحيحة.
ورجح بعض الأصوليين القول الأول، وأجابوا عن احتجاج أهل القول الثاني: بأنه يمكنه الوقوف على المقصود بتلك القواعد الأصولية بمجرد ضرب مثال أو مثالين من الفقه.

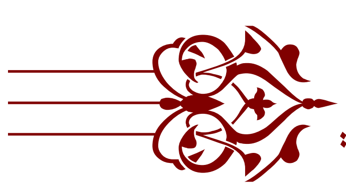
والحاصل: أنه إذا أتقن علم أصول الفقه أمكنه التوصل إلى الأحكام بصورة صحيحة، قال العكبري: "أبلغ ما يتوصل به إلى إحكام الأحكام أصول الفقه وطرف من أصول الدين"[1]"[2].

---

(1) صفة الفتوى (ص: 14).

(2) ينظر: الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح (ص: 12-14)، المهذب في علم أصول الفقه المقارن (1/ 53)، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (1/ 47).





ثالثًا: نشأة علم أصول الفقه وطرق التأليف فيه:

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في زمن النبي ﷺ يرجعون إليه في بيان أحكام الحوادث التي تنزل بهم، فلما توفي ﷺ كان الصحابة يأخذون حكم حوادثهم ونوازلهم من الكتاب والسنة، فإذا لم يجدوا حكمها فيهما اجتهدوا وأخذوا الحكم عن طريق الاجتهاد بأنواعه، ونهج التابعون ذلك، وزادوا أخذهم بفتاوى الصحابة واجتهاداتهم.

ثم بعد ذلك كثر الاجتهاد، وكثرت طرقه، ثم أصبح لكل إمام قواعد قد اعتمدها في الفتوى والاجتهاد، وهؤلاء الأئمة لم يدونوا تلك القواعد التي اعتمدوها في اجتهاداتهم سوى الإمام الشافعي، فقد دوَّنها في كتابه: "الرسالة"، فنبه الشافعي أنظار العلماء والباحثين إلى متابعة البحث في هذا العلم، حتى أصبح علم أصول الفقه علمًا مستقلاً رُتبت أبوابه، وحُررت مسائله، وجُمعت مباحثه، وأُلفت فيه المؤلفات على اختلاف في الطرق التي اتبعوها في التأليف.

قال ابن خلدون: "هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة، وكان السلف في غنية عنه بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية. وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصًا، فمنهم أخذ معظمها. و أما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم. فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول، وانقلبت العلوم كلها صناعة كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى

تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فنًا قائمًا برأسه سموه أصول الفقه.

وكان أول من كتب فيه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ. أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس. ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها. وكتب المتكلمون أيضًا كذلك إلا أن كتابة الفقهاء فيها أمس بالفقه وأليق بالفروع؛ لكثرة الأمثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية. والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون إلى الاستدلال العقلي ما أمكن؛ لأنه غالب فنونهم و مقتضى طريقتهم"[1].

وإليك ذكر طرق التأليف في هذا العلم ومميزات كل واحدة:

الطريقة الأولى: طريقة الحنفية.

الطريقة الثانية: طريقة الجمهور.

الطريقة الثالثة: الجمع بين الطريقتين.

الطريقة الرابعة: طريقة تخريج الفروع على الأصول.

الطريقة الخامسة: طريقة عرض أصول الفقه من خلال المقاصد، والمفهوم العام.

---

(1) مقدمة ابن خلدون (2/ 113).

الطريقة الأولى -وهي: طريقة الحنفية-:

وهي تتميز بأمرين: أولهما: أنها تقرر القواعد الأصولية على مقتضى ما نقل من الفروع عن أئمتهم.

ثانيهما: أنها تغوص على النكت الفقهية.

وسميت هذه الطريقة بطريقة "الفقهاء"؛ لأنها أمس بالفقه، وأليق بالفروع، وسبب ذلك: أن تلك القواعد قد أخذت من الفروع؛ ذلك لأن الحنفية المتأخرين لاحظوا واستقرأوا وتتبعوا الفتاوى الصادرة عن أئمتهم المتقدمين، فعمدوا إلى تلك الفتاوى والفروع واستخلصوا منها القواعد والضوابط، وجعلوها أصولاً لمذهبهم؛ لتكون لهم سلاحًا في مقام الجدل والمناظرة. وقد أُلِّف على هذه الطريقة كتب كثيرة، **ومنها**:

1 - مآخذ الشرائع، لأبي منصور الماتريدي.

2 - رسالة في الأصول، لأبي الحسن الكرخي.

3 - الفصول في الأصول، لأبي بكر الجصاص.

4 - تقويم الأدلة، لأبي زيد الدبوسي.

5 - أصول البزدوي، مطبوع مع كشف الأسرار، لعبد العزيز البخاري.

6 - مسائل الخلاف، لأبي عبد الله الصيمري.

7 - أصول السرخسي، لأبي بكر السرخسي.

8 - ميزان الأصول، لأبي بكر السمرقندي.

9 – المنار، لأبي البركات عبد الله النسفي.

الطريقة الثانية - وهي طريقة الجمهور -:

وهي تتميز بما يلي:

أولاً: أنها اهتمت بتحرير المسائل، وتقرير القواعد على المبادئ المنطقية.

ثانيًا: الميل الشديد إلى الاستدلال العقلي.

ثالثًا: البسط في الجدل والمناظرات.

رابعًا: تجريد المسائل الأصولية عن الفروع الفقهية، وقد أشبهت بذلك طريقة أهل الكلام؛ لذلك سميت طريقتهم بطريقة المتكلمين. وهذه الطريقة قد سار عليها علماء الشافعية، والمالكية، والحنابلة، والظاهرية، والمعتزلة، وذلك من حيث الترتيب والتنظيم.

وإليك ذكر بعض الكتب التي أُلِّفت على هذه الطريقة، -ولقد رتبت ذلك على المذاهب-:

أولاً: بعض الكتب المؤلَّفة على المذهب المالكي:

1 – التقريب والإرشاد في ترتيب طرق الاجتهاد، للقاضي أبي بكر الباقلاني.

2 – إحكام الفصول في أحكام الأصول، والإشارة، والحدود، كلها لأبي الوليد الباجي.

3 – منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، لابن الحاجب،

وقد اختصر هذا الكتاب بكتاب سمَّاه: "مختصر المنتهى".

وشرح هذا المختصر كثير من العلماء، ومنهم:

(أ) عضد الدين الإيجي، شرحه بكتاب سمَّاه: "شرح المختصر".

(ب) ابن السبكي تاج الدين شرحه بكتاب سمَّاه: "رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب".

(ج) شمس الدين الأصفهاني (ت 749 هـ) شرحه بكتاب سمَّاه: "بيان المختصر".

4 - الضياء اللامع شرح جمع الجوامع، لحلولو المالكي.

5 - شرح تنقيح الفصول، لشهاب الدين القرافي.

6 - نفائس الأصول شرح المحصول، للقرافي.

7 - شرح البرهان، للمازري.

ثانيا: بعض الكتب المؤلَّفة على المذهب الشافعي:

1– الرسالة، للإمام الشافعي، وقد شرح هذه الرسالة الإمام الصيرفي، والقفال الشاشي الكبير، وأبو محمد الجويني، وغيرهم.

2– اللمع، وشرح اللمع، والتبصرة، لأبي إسحاق الشيرازي.

3– البرهان، والتلخيص، والورقات، لإمام الحرمين.

4– قواطع الأدلة، لابن السمعاني.

5 – المستصفى، والمنخول، وشفاء الغليل، وأساس القياس، للغزالي.

6 – الوصول إلى الأصول، لابن برهان.

7 – الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي.

8– المحصول، للرازي، وقد شرحه كل من القرافي في " نفائس الأصول "، وشمس الدين الأصفهاني (ت 688 هـ) في: "الكاشف عن المحصول ".

واختصره كل من:

–تاج الدين الأرموي في كتاب سمَّاه: "الحاصل من المحصول ".

–سراج الدين الأرموي في كتاب سمَّاه: "التحصيل من المحصول ".

–النقشواني في كتاب سمَّاه: "تلخيص المحصول ".

–التبريزي في كتاب سماه: "تنقيح المحصول ".

9 – منهاج الوصول إلى علم الأصول، للبيضاوي، وشرحه كثير من العلماء، ومنهم:

–شمس الدين الأصفهاني، شرحه بكتاب سمَّاه: "شرح منهاج البيضاوي ".

–الإسنوي، شرحه في كتاب سمَّاه: "نهاية السول ".

–ابن السبكي، شرحه في كتاب سمَّاه: "الإبهاج في شرح المنهاج ".

–البدخشي، شرحه في كتاب سمَّاه: "مناهج العقول ".

10 – البحر المحيط، للزركشي.

ثالثـًا: بعض الكتب المؤلَّفة على المذهب الحنبلي:

1– العدة، لأبي يعلى.

2– التمهيد، لأبي الخطاب.

3– الواضح، لابن عقيل.

4– روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة.

5– شرح الكوكب المنير، لابن النجار.

6– إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر، د. النملة.

رابعـًا: الكتب المؤلفة على المذهب الظاهري:

1 – الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم.

2 – النبذ، لابن حزم.

خامسًا: الكتب المؤلفة على المذهب المعتزلي:

1– العمد، للقاضي عبد الجبار بن أحمد.

2 – المعتمد، لأبي الحسين البصري.

3– شرح العمد، لأبي الحسين البصري.

أما الطريقة الثالثة – وهي الجمع بين طريقة الحنفية وطريقة الجمهور –:

فقد حقق من جمع بين الطريقتين القواعد الأصولية، وأثبتها بالأدلة النقلية والعقلية، وطبقوها في الفروع الفقهية، فجاءت مؤلفاتهم مفيدة في خدمة الفقه،

وتمحيص الأدلة، وكتب في هذه الطريقة جمع من علماء الجمهور، وعلماء الحنفية، **ومن أهم كتبهم ما يلي:**

1 - بديع النظام الجامع بين أصول البزدوي والأحكام، للساعاتي.

2 - تنقيح أصول الفقه، وشرحه التوضيح، لصدر الشريعة، وقد شرحه التفتازاني في كتاب سمَّاه: "التلويح ".

3 - جمع الجوامع لتاج ابن السبكي، وقد شرحه كثيرون، ومنهم:

(أ) جلال الدين المحلي شرحه بكتاب سمَّاه: "البدر الطالع بشرح جمع الجوامع".

(ب) الزركشي شرحه بكتاب سمَّاه: "تشنيف المسامع ".

(ب) حلولو المالكي شرحه بكتاب سمَّاه: "الضياء اللامع ".

4 - التحرير لكمال الدين ابن الهمام، وقد شرحه كثيرون، ومنهم:

-أمير الحاج، شرحه بكتاب سمَّاه: "التقرير والتحبير ".

-أمير بادشاه، شرحه بكتاب سماه: "تيسير التحرير ".

5 - مسلم الثبوت، لمحب الدين بن عبد الشكور الحنفي، وقد شرحه الأنصاري في كتاب سمَّاه: "فواتح الرحموت ".

6 - المهذب في علم أصول الفقه المقارن " د. عبد الكريم النملة.

أما الطريقة الرابعة - وهي طريقة تخريج الفروع على الأصول - :

فهي تتميز بذكر خلاف الأصوليين في المسألة، مع الإشارة إلى بعض أدلة الفِرَق المختلفة، ثم ذكر عدد من المسائل الفقهية المتأثرة بهذا الخلاف، والغاية منها هو: ربط الفروع بالأصول، ولا يذكر في الكتب المؤلَّفة على هذه الطريقة إلا المسائل التي اختلف العلماء فيها، والخلاف فيها معنوي له ثمرة، أما إذا كان الخلاف لفظيًا فلا يرد فيها.

وقد أُلِّف على هذه الطريقة -وهي الطريقة الرابعة- **مؤلفات كثيرة، ومنها:**

1 - تخريج الفروع على الأصول، للزنجاني " شافعي ".

2 - مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، للتلمساني "مالكي ".

3 - التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، للإسنوي "شافعي ".

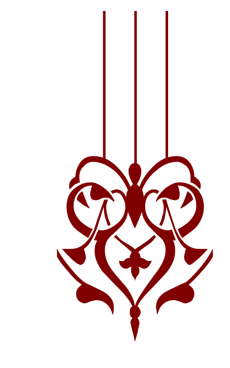
4 - القواعد والفوائد الأصولية، لابن اللحام " حنبلي ".

أما الطريقة الخامسة - وهي طريقة عرض أصول الفقه من خلال المقاصد- :

فلم تسلك هذه الطريقة مسلك المتقدمين، وهي: ذكر القواعد تحت عناوين وأبواب معينة، بل سلكت طريقة أخرى وهي: عرض أصول الفقه من خلال مقاصد الشريعة، والمفهوم العام الكلي للتكليف، وقد ألَّف على هذه الطريقة أبو إسحاق الشاطبي المالكي كتابه: الموافقات في أصول الشريعة[1].

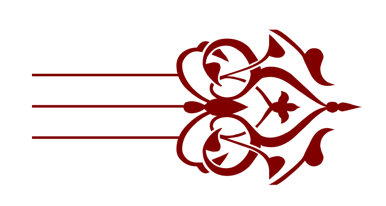
---

(1) ينظر: الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح (ص: 15) وما بعدها، المهذب في علم أصول الفقه المقارن (1/ 59) وما بعدها.



رابعًا: متون أصول الفقه

في المذاهب الأربعة وبعض شروحها:



أولاً: متون أصول الفقه عند الحنفية:

أ-المنار، لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى سنة (710هـ).

من شروحه: كشف الأسرار في شرح المنار لصاحب المتن أبي البركات النسفي.

ب-تنقيح الأصول، لعبيد الله صدر الشريعة الأصغر ابن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي المتوفى سنة (747هـ).

وهو متن مشهور في أصول الفقه، نقح ونظم فيه أصول البزدوي، وأورد فيه زبدة مباحث محصول الرازي، وأصول ابن الحاجب، وزاد على ذلك.

من شروحه: شرح مؤلفه: التوضيح في حل غوامض التنقيح.

ج- التحرير، لمحمد بن همام الدين عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي السكندري القاهري الحنفي المتوفى سنة (861هـ). جمع فيه بين طريقة الحنفية والمتكلمين.

وقد شرحه تلميذ المؤلف: محمد بن محمد بن أمير الحاج الحلبي المتوفى سنة (879هـ) في كتابه: "التقرير والتحبير في شرح كتاب التحرير.

د- مسلم الثبوت، لمحب الله بن عبد الشكور الحنفي المتوفى سنة(1119هـ).

من شروحه: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، لعبد العلي محمد نظام الدين الأنصاري الهندي المتوفى سنة (1225هـ).

ثانيًا: متون أصول الفقه عند المالكية:

أ- مختصر المنتهى، أو المختصر الأصولي، لابن عمر الإسكندري المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة (646هـ).

من شروحه: شرح شمس الدين أبي الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني المتوفى سنة (749هـ)واسم شرحه: "بيان المختصر.

ب- تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، لأحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة (684هـ).

شرحه مؤلفه، وقد طبع باسم " شرح تنقيح الفصول.

ج-مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود، لعبد الله بن الحاج إبراهيم بن أحمد العلوي الشنقيطي المتوفى في حدود سنة (1230هـ).

وهو في الأصل نظم لمتن جمع الجوامع لعبد الوهاب السبكي الشافعي المتوفي سنة (771هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب المالكية اشتمل على مقدمة وسبعة كتب وخاتمة، استوفى فيها جميع مباحث علم الأصول على مذهب الإمام مالك خاصة والمتكلمين عامة، وهو متن منظوم يقع في ألف بيت وبيت:

ألفٌ وبيتٌ عدد المراقي ليس بسافل ولا براقي

وشرحه الناظم في: نشر البنود على مراقي السعود.

وشرحه غيره.

ثالثاً: متون أصول الفقه عند الشافعية:

أ-الورقات في أصول الفقه، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن حيويه الجويني المتوفى سنة (478هـ).

وهو متن مختصر جداً تكلم فيه على خمسة عشر بابًا من أصول الفقه وهي:

1 ـ أقسام الكلام.
2 ـ الأمر.
3 ـ النهي.
4 ـ العام والخاص.
5 ـ المجمل والمبين.
6 ـ الظاهر والمؤول.
7 ـ الأفعال.
8 ـ الناسخ والمنسوخ.
9 ـ الإجماع.
10 ـ الأخبار.
11 ـ القياس.
12 ـ الحظر والإباحة.
13 ـ ترتيب الأدلة.
14 ـ المفتي.
15 ـ أحكام المجتهدين.

قال عنه الحطاب في قرة العين في شرح ورقات إمام الحرمين: "كتاب صغر حجمه، وكثر علمه وعظم نفعه، وظهرت بركته".

له شروح كثيرة منها: شرح جلال الدين أبي عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي المتوفى سنة (864هـ).

وقد نظمه شرف الدين يحيى بن موسى بن رمضان بن عميرة الشهير بالعمريطي الشافعي المتوفى سنة (890هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (211) بيتًا اشتهر هذا النظم باسم " تسهيل الطرقات في نظم الورقات".

ب- منهاج الوصول في علم الأصول، لناصر الدين أبي الخير عبد الله ابن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي المتوفى سنة (685هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهو متن مشهور امتاز بصغر حجمه مع كثرة علمه وعذوبة لفظه، كما امتاز بذكر أهم الآراء الأصولية وإن لم يستوعب، مقرونة بالدليل النقلي والعقلي مع الرد على الآراء الضعيفة، وهو مأخوذ من كتاب: الحاصل، والحاصل مأخوذ من كتاب المحصول، والمحصول مستمد من كتابي المستصفى والمعتمد.

وله شروح منها:

شرح شمس الدين محمد بن يوسف الجزري الشافعي المتوفى سنة (711هـ) وسمّاه: "معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول".

ج- جمع الجوامع في أصول الفقه، لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المتوفى سنة (771هـ).

وهو من المتون الدقيقة العبارة في الأصول جمعه المؤلف من زُهاء مائة مصنف كما ذكر ذلك في المقدمة.

له شروح كثيرة، منها: شرح بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي المتوفى سنة (794هـ) في كتابه: "تشنيف المسامع بجمع الجوامع".

وقد نظمه ناظمون منهم: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (911هـ) في رجز سماه: "الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع"، ثم قام بشرحه.

رابعاً: متون أصول الفقه عند الحنابلة:

أ-المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة (803هـ)

وهو متن مختصر كاسمه يمتاز بالإيجاز والاستقصاء لأبواب الأصول كافة خالصاً من التعديلات العقلية والأدلة الشرعية التي لا يحتاج إليها إلا المختصمون المتعمقون، كما يمتاز بجدّة الترتيب وحسنه حيث ألفه على نظام يسهل الاستفادة منه وييسر على الباحث الحصول على المراد منه دون عناء ومشقة.

وقد شرحه تقي الدين أبو بكر بن زيد الجراعي المقدسي المتوفى سنة (883هـ).

ب- قواعد الأصول ومعاقد الفصول، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي المتوفى سنة (739هـ).

"مختصر تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل". قال عنه الشيخ جمال الدين القاسمي: "وما وقفنا عليه حتى رأيناه من أنفس الآثار الأصولية وأعجبها سبكًا، وألطفها جمعـًا للأقوال وإيجازاً في المقال، ولما تحققنا ماله من الشأن الخطير أسرعنا إلى نقله ثم مقابلته".

ج- مختصر روضة الناظر المشهور بـ" البلبل في أصول الفقه"، لسليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي المتوفى سنة (716هـ).

اختصره المؤلف من " روضة الناظر " لابن قدامة صاحب المغني، وأتى ببعض الفوائد والزوائد مع تقريبها للأفهام في أقل من شطر حجمها، وخالف ترتيبها في بعض المواضع، كما يعلم من مقدمته.

وقد شرحه مؤلفه في مجلدين.

د- تحرير المنقول في تهذيب علم الأصول، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي المتوفى سنة (885هـ).

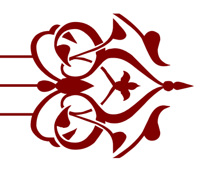
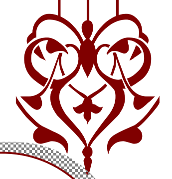
ذكر فيه المذاهب الأربعة وغيرها، قال في أوله: "هذا مختصر في أصول الفقه، جامع لمعظم أحكامه، حاوٍ لقواعده وضوابطه وأقسامه، مشتمل على مذاهب الأئمة الأربعة الأعلام وأتباعهم وغيرهم، لكن على سبيل الإعلام، اجتهدت في تحرير نقوله وتهذيب أصوله..".

وأكثره مستمد من كتاب العلامة: شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ـ المتوفى سنة (763هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في أصول الفقه.

شرحه مؤلفه في كتاب سماه " التحبير شرح التحرير ".

من مختصراته: الكوكب المنير مختصر التحرير، للعلامة الشيخ: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار المتوفى سنة (972هـ)[1].

(1) بتصرف من: الدليل إلى المتون العلمية (ص: 279-343).

مقدمة في علم الفرائض

سنتحدث عن هذا العلم عن الآتي:

أولاً: المبادئ العشرة لهذا العلم.

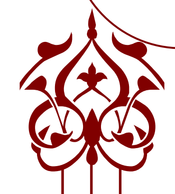
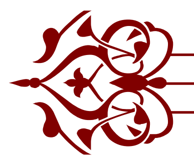
ثانيًا: نظام الإرث عند غير المسلمين.

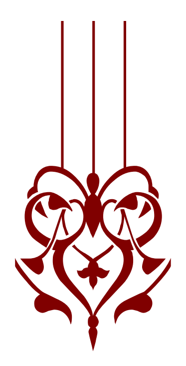
ثالثًا: نظرة مجملة عن الميراث في الإسلام.

رابعًا: المشهورون من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ بعلم الفرائض.

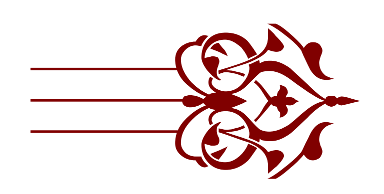
خامسًا: من مصطلحات علم الفرائض.

سادسًا: متون وشروحها في علم الفرائض.



أولاً: المبادئ العشرة لهذا العلم:



١ -حَدُّه:

لغة:

الفرائض: جَمْعُ فَرِيضَةٍ بمعنى مفروضة، والهاء فيها للنقل من المصدر إلى الاسم كالحفيرة ونحوها، **وَهِيَ فِي الْأَصْلِ**: اسْمُ مَصْدَرٍ مِنْ فَرَضَ وَأَفْرَضَ وافترض. **والفرائضُ في الميراث**: فَرائِضُ اللهِ وحُدودُهُ التي أمَرَ بها ونهى فيها، **وأَفْرَضْتُ الرَّجل وفَرَضْتُ الرَّجل وافْتَرَضْتُه**: إِذا أَعطيته، **وَيقال لِلْعَالِمِ بالفرائض**: فَرْضِيٌّ وفَرَضِيٌّ وَفَارِضٌ وَفَرَّاضٌ وفرائضي.

والفرض يأتي لمعانٍ، منها:

أ-التقدير. يقال: فَرَضَ الْقَاضِي النَّفَقَةَ فَرْضًا: قَدَّرَهَا وَحَكَمَ بِهَا. **والفَرَائِضُ قِيلَ**: اشْتِقَاقُهَا مِنْ الْفَرْضِ الَّذِي هُوَ التَّقْدِيرُ؛ لِأَنَّ الْفَرَائِضَ مُقَدَّرَاتٌ لِأَصْحَابِهَا، **وَقِيلَ**: مِنْ فَرْضِ الْقَوْسِ، **وفرض القَوْس**: الحَزُّ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الوَتَرُ.

واسم هذا العلم كذلك مأخوذ من قوله تعالى في آية المواريث: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾[النساء:١١] .

ب-الإيجاب. يقال: فرض الله علينا كذا وافْتَرَضَ، أي: أوجب، والاسمُ الفريضَةُ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾[البقرة:١٩٧]. أي: أوجبه على نفسه بإحرامه.

ج- **الْقَطْعِ**. ومنه قوله تَعَالَى: ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[النساء:7]. أَيْ: مَقْطُوعًا.

د-**التبيين**. قال الله: ﴿ قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾[التحريم:2] أي: بين لكم كيف تكَفِّرون عن أيمانكم إذا حلفتم.

هـ- **الحل**. قال الله: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾[الأحزاب:38].يعني:فيما أحل له،ويجوز أن يكون معناه:أنه أوجب عليك العمل به.

ز- **الإنزال**. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[القصص:85].أي: أنزل، ويجوز أن يكون معناه: أنه أوجب عليك العمل به.

ح- **الفريضة بعينها وهي الخصلة يلزم فعلها**. قال تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾[النساء:11]. **والفريضة**: المهر أصله: قوله: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[البقرة:236].

وَلَمَّا كَانَ عِلْمُ الْفَرَائِضِ مُشْتَمِلًا عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي؛ لِمَا فِيهِ مِنَ السِّهَامِ الْمُقَدَّرَةِ، وَالْمَقَادِيرِ الْمُنْقَطِعَةِ، والواجبة، وَالْعَطَاءِ الْمُجَرَّدِ، وَقَدْ بَيَّنَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ وَأَحَلَّهُ لَهُ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ(1).

(1) ينظر: لسان العرب (7/ 202)، الإبانة في اللغة العربية (3/ 661)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/ 1098)، الكليات (ص: 690)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2/ 469)، تاج العروس (18/ 476)، المطلع على ألفاظ المقنع (ص: 362)، المغرب في ترتيب المعرب (ص: 357)، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء (ص: 113)، تاج العروس (18/ 488)، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص: 368)، الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (6/ 757)، المبدع في شرح المقنع (5/ 317)، كشاف القناع عن متن الإقناع (4/ 402).

وقال الموصلي: "وَإِنَّمَا خُصَّ بِهَذَا الِاسْمِ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّاهُ بِهِ، فَقَالَ بَعْدَ الْقِسْمَةِ: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾[النساء: 11] وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا سَمَّاهُ بِهِ فَقَالَ: (تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ). وَالثَّانِي: أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ مُجْمَلًا وَلَمْ يُبَيِّنْ مَقَادِيرَهَا، وَذَكَرَ الْفَرَائِضَ وَبَيَّنَ سِهَامَهَا وَقَدَّرَهَا تَقْدِيرًا لَا يَحْتَمِلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ، فَخَصَّ هَذَا النَّوْعَ بِهَذَا الِاسْمِ لِهَذَا الْمَعْنَى"[1].

وقال عبد الغني بن طالب: "وسمي هذا النوع من الفقه "فرائض" لأنه سهام مقدرة ثبتت بدليل قطعي لا شبهة فيه؛ فقد اشتمل على المعنى اللغوي والشرعي، وإنما خص بهذا الاسم لأن الله تعالى سماه به، فقال بعد القسمة: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾[النساء: 11]"[2].

ومن أسماء علم الفرائض: علم المواريث:

وهي: جَمْعُ مِيرَاثٍ، **وَهُوَ:** الْمَالُ الْمُخَلَّفُ عَنِ الْمَيِّتِ، **وأصله من:** (وَرِثَ) الْوَاوُ وَالرَّاءُ وَالثَّاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، هِيَ الْوِرْثُ. **وَالْمِيرَاثُ أَصْلُهُ:** الْوَاوُ: مِوْراث، قلبت الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها، **ويقال له أيضًا:** التراث، وأصل التاء فيه واو.

وورث وِرْثًا، ووِرَاثَةً، وإِرْثًا، ورِثَةً، الهاءُ عوضٌ عَنِ الْوَاو. ويُقَال: وَرِثْتُ فُلانًا مَالاً أَرِثُه وِرْثًا ووَرْثًا، إذا مَاتَ مُوَرِّثُك فَصَارَ ميراثُه لَك.

(1) الاختيار لتعليل المختار (5/ 84).

(2) اللباب في شرح الكتاب (4/ 186).

والإرث: بقية الشيء، وانتقال الشيء من قوم إلى قوم آخرين، **ومنه حديث**: (قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)[1].

فَكَانَ معنى الحَدِيث: إِنَّكُم على بقيَّة من وِرْث إِبْرَاهِيم الَّذِي تَرك النَّاس عَلَيْهِ بعد مَوته. أو: عَلَى بَقِيَّةٍ مِنْ بَقَايَا شَرِيعَتِهِ. **وقالَ سَاعِدَةُ ابنُ جُؤَيَّةَ**:

عفَا غيرَ إِرْثٍ مِن رَمَادٍ كأَنَّهُ … حَمَامٌ بأَلْبَادِ القِطَارِ جُثُومُ

أي: بقية من رماد بقي من آثار الديار، **والميراث** أخذ من ذلك؛ لأنه بقية من سلف على خلف، **وقيل لمن يحويه**: وارث، والعلماء ورثة الأنبياء؛ لأن العلم بقية الأنبياء، وَسُمِّيَ الْوَارِثُ لِبَقَائِهِ بَعْدَ الْمُوَرِّث.

والوارِثُ: اسم من أسماء الله تعالَى، وَهُوَ البَاقِي الدَّائِمُ بعدَ فَنَاءِ الخَلْق وَهُوَ يَرِثُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْهَا، وهُوَ خَيْرُ الوَارِثِينَ أَي: يَبقَى بعد فناءِ الكُل، ويَفنَى مَن سِوَاه فيَرجعُ مَا كَانَ مِلْكَ العِبَادِ إِليه وَحدَه لَا شريكَ لَهُ. **وجمع الوارث**: وَرَثَة ووُرّاث.

والميراث: ما يستحق الوارث من مال الميت، والجمع مواريث.

والإرث: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ لِقَوْمٍ ثُمَّ يَصِيرَ إِلَى آخَرِينَ بِنَسَبٍ أَوْ سَبَبٍ، **قَالَ الشاعر**:

---

(1) رواه أبو داود(1919)، والنسائي(3014)، والترمذي(883)، وابن ماجه(3011)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار(10080)، والحاكم(1699)، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، قال الألباني: " قلت: إسناده صحيح، وكذا قال الحاكم والذهبي، وقال الترمذي:" حديث حسن صحيح ". صحيح أبي داود (6/ 167).

وَرِثْنَـــاهُنَّ عَـــنْ آبَـــاءِ صِـــدْقٍ وَنُورِثُهَـــا إِذَا مِتْنَـــا بَنِينَـــا

والوراثة: انتقال قنية إليك من غير عقد ولا ما يجري مجراه، وسمي بذلك المنتقل عن الميت، **ويقال للقنية الموروثة:** ميراث وإرث، **ويقال لمن حصل له شيء من غير تعب:** قد ورث كذا. والوراثة الحقيقية أن يحصل للإنسان شيء لا يكون عليه فيه تبعة ولا عليه محاسبة[1].

شرعاً:

عرف **الحنفية** الفرائض أو المواريث بقولهم: "عِلْمٌ بِأُصُولٍ مِنْ فِقْهٍ وَحِسَابٍ تُعَرِّفُ حَقَّ كُلٍّ مِنْ التَّرِكَةِ والحقوق"[2].

وعرفه **المالكية** بأنه: "علم ما يوصل لمعرفة قدر ما يجب لكل ذي حق من التركة"[3].

"هكذا عرفه ابنُ عرفة المالكي... فحقيقته مركبةٌ من الفقه المتعلق بالإرث، ومن الحساب الذي يتوصل به إلى معرفة قدر ما يجب لكل ذي حق في التركة"[4].

(1) ينظر: المبدع في شرح المقنع (5/ 318)، مقاييس اللغة (6/ 105)، العين (8/ 234)، تاج العروس (5/ 155) (5/ 380)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (11/ 7128)، المعجم الوسيط (2/ 1024)، تهذيب اللغة (15/ 85)، الاختيار لتعليل المختار (5/ 85)، كشاف القناع عن متن الإقناع (4/ 402)، الذخيرة للقرافي (13/ 7)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 336).

(2) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (6/ 757).

(3) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (2/ 249).

(4) شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة (1/ 74).

وعرفه الشافعية بأنه: "نَصِيبٌ مُقدَّرٌ شَرْعًا لِمُستحِقِّه"[1].

وعرفه الحنابلة بأنه: "العلم بقسمة المواريث"[2].

2- موضوعه:

التركات من حيث توزيعها، ومعرفة نصيب كل وارث منها.

قال النفراوي: "وموضوعه: التركات؛ لأنه يبحث فيه عن عوارضها الذاتية؛ كحق الميت المتعلق بالتركة من مؤن التجهيز وقضاء ديونه وحق الوارث والموصى له وغير ذلك، هذا هو الصحيح، خلافًا للصوري من أن موضوعه العدد"[3].

وقال القنوجي: "وموضوعه: التركة والوارث؛ لأن الفرضي يبحث عن التركة وعن مستحقها بطريق الإرث من حيث إنها تصرف إليه إرثًا بقواعد معينة شرعية، ومن جهة قدر ما يحرزه، ويتبعها متعلقات التركة[4].

3- ثمرته:

إيصال كل وارث إلى حقه من مورثه على الوجه الشرعي.

قال حاجي خليفة: "ووجه الحاجة إليه: الوصول إلى إيصال كل وارث قدر استحقاقه.

---

(1) التدريب في الفقه الشافعي (2/ 293).

(2) كشاف القناع عن متن الإقناع (4/ 402).

(3) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (2/ 249).

(4) أبجد العلوم (ص: 455).

وغايته: الاقتدار على ذلك وإيجاده"[1].

وقال الزحيلي: "وثمرته أو فائدته: أن تحصل لمتعلمه ملكة يكون له بها قدرة على قسمة التركة بين المستحقين بالوجه الشرعي"[2].

4-فضله :

هذا العلم علم شريف القدر، رفيع المنزلة، عالي الشأن، كثير الفضل، وقد تحدث عن ذلك الفضل أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، حتى إنهم سوّدوا بينهم العالمين به، وأثنوا عليهم بمعرفته.

وقد وردت في فضله أحاديث مرفوعة، سنذكرها ونبين حكمها عند أهل الحديث، ثم نذكر بعد ذلك الآثار، وكلام أهل العلم في فضل هذا الفن الشريف.

أما الأحاديث فهي:

1 -**عَنْ** أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ؛ فَإِنَّهُ نِصْفُ الْعِلْمِ، وَهُوَ يُنْسَى، وَهُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ يُنْتَزَعُ مِنَ أُمَّتِي**)[3].

---

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1244).

(2) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7701).

(3) رواه ابن ماجه(2719)، والدارقطني في السنن(4059)، والبيهقي في السنن الكبرى (12175)، **وقال عقبه**: "تَفَرَّدَ بِهِ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ بِالْقَوِيِّ". ورواه الحاكم (7948)، **قال الذهبي عقبه**: "حفص بن عمر واه بمرة". ورواه الطبراني في الأوسط: (5293) **وقال عقبه**: " لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ إِلَّا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْعَطَّافِ".

قال ابن الملقن: " لم يُضعفهُ الْحَاكِم، بل سكت عَنهُ، وَهُوَ حَدِيث ضَعِيف؛ لِأَن فِي إِسْنَاده =

"**قال الماوردي**: وإنما حثهم على تعلمه؛ لقرب عهدهم بغير هذا التوارث أي: وهو التوارث المتقدم. واختلف العلماء في تأويل قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (فإنه نصف العلم) على أقوال: أحسنها: أنه باعتبار الحال؛ فإن حال الناس اثنان: حياة، ووفاة؛ فالفرائض تتعلق بحال الوفاة، وسائر العلوم تتعلق بحال الحياة، وقيل: النصف بمعنى الصنف"[1].

2- **وعَنْ** عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ؛ فَإِنِّي امْرُؤٌ مَقْبُوضٌ، وَإِنَّ الْعِلْمَ سَيُقْبَضُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، حَتَّى يَخْتَلِفَ الِاثْنَانِ فِي الْفَرِيضَةِ لَا يَجِدَانِ مَنْ يَقْضِي بِهَا)**[2].

حَفْص بن عُمر بن أبي العطاف الْمدنِي، وَهُوَ واهٍ، ثمَّ رُمي بِالْكَذِب، **قَالَ الْبُخَارِيّ**: مُنكر الحَدِيث. وَأعله بِهِ ابْنُ حبَان فِي «تَارِيخ الضُّعَفَاء» وَقَالَ: حَفْص هَذَا يَأْتِي بأَشْيَاء كلّها مَوْضُوعَة، لَا يجوز الِاحْتِجَاج بِهِ بِحَال. **وأمَّا الْبَيْهَقِيّ** فَإِنَّهُ أَلانَ القولَ فِيهِ؛ **فَقَالَ** فِي «سنَنه»: تفرد بِهِ حفصُ بن عُمر، وَلَيْسَ بالقويّ". البدر المنير (7/ 187).

وقال ابن التركماني-تعليقًا على قول البيهقي-: " لم أر أحدًا وافقه على هذه العبارة اللينة في حق هذا الرجل، بل أساءوا القول فيه؛ **قال البخاري**: منكر الحديث؛ رماه يحيى بن يحيى بالكذب، **وقال النسائي**: ضعيف، **وقال ابن حبان**: لا يجوز الاحتجاج به بحال". الجوهر النقي (6/ 209).

[1] مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (4/ 6).

[2] رواه البيهقي في شعب الإيمان(1548)، وأبو داود الطيالسي(403)، وأبو يعلى (5028)، **قال محققه**: "في إسناده مجهولان". وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(1029)، والدارقطني في السنن(4103)، والدارمي(227)، **قال محققه**: "في إسناده ثلاث علل: ضعف =

3- **وعَنْ** عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ فَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ)(1).

قال البغوي: "وقوله: «فريضة عادلة» **فإنه يحتمل وجهين من التأويل:**

عثمان بن الهيثم، والانقطاع، وجهالة سليمان". والحاكم (7950)، **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وَلَهُ عِلَّةٌ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بِشْرِ بْنِ مُوسَى، عَنْ هَوْذَةَ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ عَوْفٍ"، **وقال الذهبي:** "صحيح". **وقال ابن الملقن:** "سليمَان بن جَابر هَذَا مَجْهُول الْعين وَالْحَال، لَا جَرَم جزم ابْنُ الصّلاح فِي (مسلكه) بضَعْفِهِ". البدر المنير (7/ 186). **وقال ابن حجر:** "وَفِيهِ انْقِطَاعٌ". التلخيص الحبير (3/ 179). وفي الفتح (12/ 5) **قال:** "ورواته موثقون، إلا أنه اختلف فيه على عوف الأعرابي اختلافًا كثيرًا فقال الترمذي: إنه مضطرب والاختلاف عليه أنه جاء عنه من طريق ابن مسعود، وجاء عنه من طريق أبي هريرة، وفي أسانيدها عنه أيضًا اختلاف"، **وقال الهيثمي:** "رواه أبو يعلى، والبزار، وفي إسناده من لم أعرفه". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 223). وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (1/ 92).

(1) رواه أبو داود(2885)، وابن ماجه(54)، والدارقطني في السنن(4060)، والبغوي في شرح السنة (136)، والبيهقي في الكبرى(12172)، والطبراني في الكبير(72)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(1384)، والحاكم(7949)، وضعفه الذهبي في: مختصر تلخيص الذهبي (6/ 3068). **وقال الرُّباعي:** "قال المنذري في "مختصر السنن": في إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي قد تكلم فيه غير واحد، وفيه أيضًا عبد الرحمن بن رافع التنوخي **وقد غمزه** البخاري وابن أبي حاتم". فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار (3/ 1354)، **وقال الألباني:** " (قلت: إسناده ضعيف؛ التنوخي ضعيف، ونحوه ابن زياد- وهو: الإفريقي-. وبهما أعله المنذري. **وقال الحافظ الذهبي:** "الحديث ضعيف". ضعيف أبي داود - الأم (2/ 392).

أحدهما: أن يكون من العدل في القسمة، فتكون معدلة على السهام والأنصباء المذكورة في الكتاب والسنة، **والوجه الآخر**: أن تكون مستنبطة من الكتاب والسنة ومن معناهما، فتكون هذه الفريضة تعدل بما أخذ من الكتاب والسنة إذ كانت في معنى ما أخذ عنهما نصًا، والله أعلم"[1].

وأما الآثار فمنها:

1- **عن** عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: "تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَاللَّحْنَ[2] وَالسُّنَّةَ كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ"[3].

وقال أيضًا: "تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ دِينِكُمْ "[4].

وورد عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كتب إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: "إِذَا لَهَوْتُمْ فَالْهَوْا بِالرِّمْيِ، وَإِذَا تَحَدَّثْتُمْ فَتَحَدَّثُوا بِالْفَرَائِضِ"[5].

(1) شرح السنة للبغوي (1/ 291).

(2) **اللحن هنا**: اللغة. الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب (2/ 237).

(3) رواه البيهقي(12176)، والدارمي(2892)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (1453)، وسعيد بن منصور في سننه(1/ 43)، قال ابن حجر: "رجاله ثقات وفي سنده انقطاع". فتح الباري لابن حجر (12/ 5).

(4) رواه البيهقي(12177)، وابن أبي شيبة في مصنفه(31034)، والدارمي(2898) قال محقق الدارمي: " رجاله ثقات غير أنه منقطع؛ إبراهيم النخعي لم يدرك عمر بن الخطاب وهو موقوف أيضًا على عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ".

(5) رواه البيهقي في الكبرى(12178)،والحاكم(7952)، **وقال**:"هَذَا وَإِنْ كَانَ مَوْقُوفًا فَإِنَّهُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، **وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ** ﷺ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»**وقال الذهبي**: "صحيح".

2- **وعَنْ** عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ، وَالطَّلَاقَ، وَالْحَجَّ؛ فَإِنَّهُ مِنْ دِينِكُمْ"[1].

وقال أيضًا: "تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَفْتَقِرَ الرَّجُلُ إِلَى عِلْمٍ كَانَ يَعْلَمُهُ، أَوْ يَبْقَى فِي قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ"[2].

وعنه أيضًا قال: "مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فَلْيَتَعَلَّمِ الْفَرَائِضَ، وَلَا يَكُنْ كَرَجُلٍ لَقِيَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعْرَابِيٌّ أَمْ مُهَاجِرٌ؟ فَإِنْ قَالَ: مُهَاجِرٌ، قَالَ: إِنْسَانٌ مِنَ أَهْلِي مَاتَ فَكَيْفَ نُقَسِّمُ مِيرَاثَهُ، فَإِنْ عَلِمَ كَانَ خَيْرًا أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، وَإِنْ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: فَمَا فَضْلُكُمْ عَلَيْنَا، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَلَا تَعْلَمُونَ الْفَرَائِضَ!"[3].

---

(1) رواه البيهقي في الكبرى(12182)،والدارمي(2898)، وقال محققه: منقطع.

(2) رواه الطبراني في الكبير(8926)، وابن أبي شيبة(31040)، والدارمي(2895) قال محققه: "إسناده ضعيف من أجل المسعودي وهو: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة. وهو منقطع أيضًا؛ القاسم لم يدرك جده ابن مسعود"، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني، وهو منقطع الإسناد". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 224).

(3) رواه البيهقي في الكبرى(12179)، والطبراني في الكبير(8743)، وسعيد بن منصور في سننه(3)، وابن أبي شيبة(31032)، والدارمي(2900)، **قال محققه:** "رجاله ثقات غير أنه منقطع؛ أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يصح له سماع من أبيه". ورواه الحاكم(7953)، **وقال:** "هَذَا مَوْقُوفٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ شَاهِدٌ لِلْمُرْسَلِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ"، **قال الذهبي عقبه:** "على شرط البخاري ومسلم"، **وقال الهيثمي:** "رواه الطبراني، وفيه مهاجر بن كثير الصنعاني، وهو ضعيف". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 224)، **وقال الألباني:** "ورجاله ثقات، لكنه منقطع؛ فإن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود، ومع ذلك صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي". إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (6/ 106).

3- **وعَنْ** عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟! قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: (إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)(1).

4- **وعَنْ** الْحَسَنِ قَالَ: "كَانُوا يُرَغِّبُونَ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالْفَرَائِضِ وَالْمَنَاسِكِ"(2).

ولابن خلدون نظرة أخرى في معنى الفرائض في هذه النصوص؛ **حيث يقول**: "وقد يحتج الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الفرائض ثلث العلم، وأنها أول ما ينسى، وفي رواية نصف العلم خرجه أبو نعيم الحافظ. واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة. و الذي يظهر أن هذا المحل بعيد، وأن المراد بالفرائض إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والمواريث وغيرها، و بهذا المعنى يصح فيها النصفية و الثلثية. و أما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها، يعني: هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات، ولما يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على علومه مشتقًا

(1) رواه مسلم(817).

(2) رواه الدارمي(2899).

من الفرض الذي هو لغة: التقدير أو القطع، و ما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع الفروض كما قلناه وهي حقيقته الشرعية، فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل في عصرهم فهو أليق بمرادهم منه. والله سبحانه وتعالى أعلم"[1].

لكن يرد على ابن خلدون حديث ابن عباس الآتي في الاستمداد.

وأما أقوال العلماء في بيان فضل هذا العلم فكثيرة، منها:

قال القرافي: "وهذا العلم من أجل العلوم وأنفسها.. وأجمعت الأمة على أنه من فروض الكفاية، واستوفت الصحابة رضوان الله عليهم النظر فيه، وكثرت مناظراتهم وأجوبتهم وفروعهم فيه أكثر من غيره، فمن استكثر منه فقد اهتدى بهديهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"[2].

وقال الزيلعي –عند حديث: **(تعلموا الفرائض وعلموها الناس؛ فإنه نصف العلم)**-: فلولا أنه من أشرف العلوم لما قابل الكل، وهذا كالحسيات؛ فإن الشيء القليل من الجواهر وغيرها إنما يقابل الكثير ويساويه إذا كان القليل أشرف منه"[3].

وقال ابن خلدون: "و هو فن شريف؛ لجمعه بين المعقول والمنقول، والوصول به إلى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة يقينية عندما تجهل

---

(1) مقدمة ابن خلدون (2/ 110).

(2) الذخيرة للقرافي (13/ 8).

(3) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (6/ 229).

الحظوظ وتشكل على القاسمين"[1].

وقال ابن مفلح: "وَقَالَ عُمَرُ: إِذَا تَحَدَّثْتُمْ فَتَحَدَّثُوا فِي الْفَرَائِضِ، وَإِذَا لَهَوْتُمْ فَالْهَوْا بِالرَّمْيِ. وَكَانَ لَا يُوَلِّي أَحَدًا حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ، وَحُكِيَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ رَأَى فِي مَنَامِهِ دَخَلَ بُسْتَانًا، فَأَكَلَ مِنْ جَمِيعِ ثَمَرِهِ إِلَّا الْعِنَبَ الْأَبْيَضَ، فَقَصَّهُ عَلَى شَيْخِهِ الْأَوْزَاعِيِّ، فَقَالَ: تُصِيبُ مِنَ الْعُلُومِ كُلِّهَا إِلَّا الْفَرَائِضَ؛ فَإِنَّهَا جَوْهَرُ الْعِلْمِ، كَمَا أَنَّ الْعِنَبَ الْأَبْيَضَ جَوْهَرُ الْعِنَبِ"[2].

وقال عبد الغني بن طالب الحنفي: "والفرائض من العلوم الشريفة التي تجب العناية بها؛ لافتقار الناس إليها"[3].

5- نسبته:

هو علم من العلوم الشرعية، وباب من أبواب الفقه (علم الفروع)، فكل مؤلف في الفقه العام يجعل له بابًا خاصًا في كتابه، وهو جزء من علم الحساب؛ لكون إعطاء الوارثين حقوقهم يقوم على مسائل حسابية، وهو في مباحثه مباين لسائر العلوم.

قال خليل بن إسحاق المالكي: "وعلم الفرائض علم شريف، وهو وإن كان جزءاً من علم الفقه، لكنه لامتزاج نَظَرِ الناظر فيه من الفقه والحساب صار كأنه

---

(1) مقدمة ابن خلدون (2/ 109).

(2) المبدع في شرح المقنع (5/ 318).

(3) اللباب في شرح الكتاب (4/ 186).

عِلْمٌ مُسْتَقِلٌّ؛ فلذلك أفرد له العلماء التواليف، ولم يُخْلِ الفقهاء تواليفهم منه"(1).

وقال زكريا الأنصاري عن هذا العلم: "هُوَ يَحْتَاجُ إلَى عُلُومٍ ثَلَاثَةٍ -بِمَعْنَى أَنَّهَا حَقِيقَتُهُ-: عِلْمُ الْفَتْوَى- بِمَعْنَى مَعْرِفَةِ مَا يَخُصُّ كُلَّ وَارِثٍ مِنْ التَّرِكَةِ-، وَعِلْمُ النَّسَبِ -بِمَعْنَى كَيْفِيَّةِ انْتِسَابِ الْوَارِثِ لِلْمَيِّتِ-، وَعِلْمُ الْحِسَابِ- بِمَعْنَى الْعَدَدِ الَّذِي تَصِحُّ مِنْهُ الْمَسْأَلَةُ أَوْ أَصْلُهَا، فَحَقِيقَتُهُ مُرَكَّبَةٌ مِنْ الْفِقْهِ وَالْحِسَابِ"(2).

6-واضعه:

هو الله جل وعلا في كتابه الكريم؛ فقد ذكر الآيات المتعلقة بهذا العلم في سورة النساء، ويضاف إلى ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ، وما جاء عنه فهو من عند الله تعالى.

قال الزيلعي: "وسمي هذا العلم فرائض؛ لأن الله تعالى قدره بنفسه، ولم يفوض تقديره إلى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وبين نصيب كل واحد من النصف والربع والثمن والثلثين والثلث والسدس، بخلاف سائر الأحكام كالصلاة والزكاة والحج وغيرها فإن النصوص فيها مجملة كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[النور: 56]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[آل عمران: 97]"(3).

وقال الموصلي: "وَمِنْ شَرَفِ هَذَا الْعِلْمِ: أَنَّ اللهَ تَوَلَّى بَيَانَهُ وَقِسْمَتَهُ بِنَفْسِهِ،

(1) التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب (8/ 568).
(2) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (3/ 421).
(3) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (6/ 229).

وَأَوْضَحَهُ وُضُوحَ النَّهَارِ بِشَمْسِهِ فَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[النساء: 11] إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ ﴾[النساء: 176] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَبَيَّنَ فِيهَا أَهَمَّ سِهَامِ الْفَرَائِضِ وَمُسْتَحِقِّيهَا، وَالْبَاقِي يُعْرَفُ بِالِاسْتِنْبَاطِ لِمَنْ تَأَمَّلَ فِيهَا"[1].

7-اسمه :

علم المواريث، علم الميراث، علم الفرائض، علم التركات.

8- استمداده:

استمد هذا العلم الشريف من:

أ-الكتاب العزيز، فقد وردت فيه آيات من سورة النساء أعطت كل ذي حق حقه من الإرث، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ... وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[النساء:11-12].

وقال: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[النساء:176].

ب-السنة النبوية الشريفة، فقد ورد في بيان أحكامه أحاديث كثيرة، **منها:**

---

(1) الاختيار لتعليل المختار (5/ 85).

1 -**عَنِ** ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ**)[1].

2 - **وعَنْ** أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: (**وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**)[2].

3 - **وعَنْ** أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ، وَلَا الكَافِرُ المُسْلِمَ**)[3].

ج-الإجماع: قال الزحيلي: "وأما الإجماع: فهو إجماع الصحابة والتابعين على أن فرض الجدة الواحدة السدس، وكذلك فرض الجدتين والثلاث، كما حكى البيهقي عن محمد بن نصر من أصحاب الشافعي"[4].

وهناك مسائل عديدة حصل عليها الإجماع.

والمقصود: المسائل المتعلقة بالميراث، والتي اتفق عليها أكثر علماء المسلمين، وجلها له أصل من الكتاب أو السنة، بعضها غير قاطع الدلالة على المعنى. وقد أوردها ابن المنذر في كتابه الإجماع، وقد بلغ عدد مسائل الميراث المجمع عليها ثلاثًا وخمسين مسألة.

وإذا أضفنا إليها مسائل كتاب الولاء، وعددها خمس مسائل، ومسائل كتاب

---

(1) رواه البخاري(6732)، ومسلم (1615).

(2) رواه البخاري(2298)، ومسلم(1619).

(3) رواه البخاري(6764)، ومسلم(1614).

(4) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7700).

الوصايا وعددها أربع عشرة مسألة؛ وذلك لصلتها الوثيقة بكتاب الفرائض حيث تتضمن أحكامًا متعلقة بالوصية والإرث ؛ فإن عدد مسائل الباب تصبح اثنتين وسبعين مسألة، وإذا علمنا أن عدد المسائل المجمع عليها في الكتاب هي خمس وستون وسبعمائة مسألة تبين أن المسائل المتصلة بالفرائض هي من أكثر القضايا الفقهية المجمع عليها، مما يبين ثبات أحكام الميراث؛ لأنها تشريع متصل بالأسرة، وبتدبير تداول المال في المجتمع بشكل سلمي وعادل، كما أنه يبين حرص المشرع على المحافظة على التكافل الأسري، وصيانة الكيان الأسري مما يهدد سلامته واستقراره"[1].

د- أقوال الصحابة واجتهاداتهم: فقد روي عن الصحابة في هذا العلم مسائل كثيرة اختلفوا في بعضها واتفقوا في أخرى، ومن ذلك: الجد والإخوة والعمريتان والمشركة وغيرها.

قال السهيلي: "وَقَالَ السّلف من الْعلمَاء: قد أبقى الْقُرْآن موضعًا للسّنة وأبقت السّنة موضعًا لِلِاجْتِهَاد والرأي، ثمَّ إن الْقُرْآن قد أحَال على السّنة بقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾الآية[الحشر:7]. وأحال الرَّسُول عَلَيْهِ السَّلَام بعدمَا بَين من أُصُول الْفَرَائِض مَا بَين على زيد بن ثَابت بقوله فِي الحَدِيث: **(وأفرضهم زيد بن ثَابت)** فَصَارَ قَول زيد أصلاً عول عَلَيْهِ الْفُقَهَاء، وَاسْتقر الْعَمَل بِهِ"[2].

---

(1) عن: الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم: المواريث وصلتها بالاقتصاد، لأحمد بزوي الضاوي. بحث منشور في ملتقى أهل التفسير، وملتقى أهل الحديث. بتصرف يسير.

(2) الفرائض وشرح آيات الوصية (ص: 77).

9-**حكم الشارع في تعلمه:**

حكمه: أنه فرض كفاية، إذا قام به من يتقنه في بلد سقط الإثم عن أهل ذلك البلد، وإلا أثموا جميعًا. **قال القرافي**: "وأجمعت الأمة على أنه من فروض الكفاية"[1].

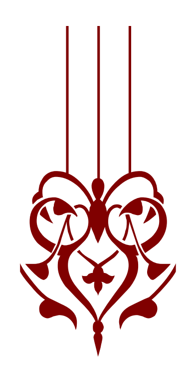
ولكنه يتعين على من ولي القضاء وتقسيم حقوق التركات بين الناس.

10-**مسائله:**

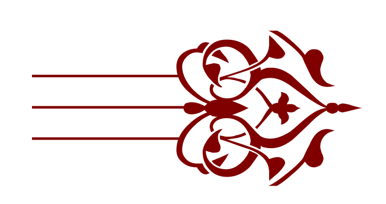
هي: ما يذكر في كل باب من أبوابه؛ كبيان أصحاب النصف وشروط استحقاقهم له، والحجب وأهله، وغير ذلك.

---

(1) الذخيرة للقرافي (13/ 8).



ثانياً: نظام الإرث عند غير المسلمين:



يختلف نظام الإرث عند غير المسلمين من الأمم السابقة والكفار المعاصرين على اختلاف مللهم ومعتقداتهم على النحو الآتي:

"**1 - الإرث عند قدماء المصريين:** كانت الأرض ملكًا للفراعنة، وكان أرشد أولاد الهالك يحل محله في زراعة الأرض والانتفاع بها، ومن ثم فإن نظام المواريث عندهم قائم على توريث أرشد أولاد المورث، فإن لم يوجد فإن التركة تنتقل إلى الأعمام، فالأصهار، فسائر العشيرة.

2 - الإرث عند اليونان والرومان: التركة عند اليونانيين من نصيب أكبر أبناء الأسرة، وتكون رئاسة الأسرة له، وقد تطور عندهم نظام الميراث في القرن السادس قبل الميلاد، لتقسم التركة بين أبناء الهالك الذكور، فإن فقدوا، انتقلت التركة لأقرب عصباته.

أما الرومانيون فمن أجل المحافظة على الثروة، وتركيزها في أيدي الأسر النبيلة، وصيانتها من التفتت، فإنهم ابتكروا نظامًا خاصًا بهم في الميراث، حيث يحرم من الميراث أولاد الصلب الذين زالت عنهم سلطة آبائهم بسبب التبني أو التحرير، ومن ثم حرموا التوارث بين الأم وأولادها، وذلك حتى لا تنتقل الثروة إلى أسر أخرى.

3 - الإرث عند أهل الكتاب: لا يجعل اليهود للبنت حظًا من ميراث الأب إذا

كان له ولد ذكر، فالرجل هو عماد الأسرة عندهم، ومن ثم فإنهم لا يورثون المرأة سواء كانت أمًا، أم زوجة، أم بنتًا، أم أختًا للهالك، وتنتقل التركة إلى الابن فإن لم يوجد فإلى الأخ أو العم.

وأسباب الميراث عند اليهود تتمثل في: البنوة، والأبوة، والأخوة، والعمومة؛ ولذلك فإن الزوجة لا ترث من تركة زوجها إذا توفي قبلها، وهو يرثها إذا توفيت قبله.

أما النصارى فليس لهم نظام خاص بالإرث؛ لأن الإنجيل لم يتعرض للتشريعات التي تنظم العلاقات المختلفة، بل اقتصرت المسيحية على معالجة النواحي الخلقية والروحية، ومن ثم استنبطوا أحكام الميراث من التوراة والنظام الروماني، وفي الأردن أخذ المسيحيون بنظام الإرث الإسلامي.

4- الإرث عند العرب: كان نظام الميراث عند العرب يقوم على الأسباب التالية:

أ- القرابة: وقد كان الإرث بالنسب عندهم مقصورًا على الرجال الأشداء الأقوياء، الذين يجيدون ركوب الخيل، وحمل السلاح، ومن ثم فإنهم لا يورثون الطفل الصغير ولو كان ذكرًا، ولا المرأة مهما كانت درجة قرابتها، وكانوا يقولون: "لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة ".

ب- الحلف: وقد كان يقوم على تعاقد بين رجلين على النصرة. فإذا قال

رجل لآخر: "دمي دمك وهدمي هدمك، وترثني وأرثك"، وقال الآخر ذلك تم التحالف والتعاقد، فإذا مات أحدهما أخذ صاحبه من ماله ما شرطه له، أو سدس ماله إن لم يكن بينهما شرط، وكان يسمى ميراث الحلف أو ميراث المعاقدة.

ج- التبني: إذا نسب الرجل إليه ولدًا، وإن كان أبوه معروفًا، فقال له: أنت ابني، أرثك وترثني، يصبح ولده وتجري عليه أحكام البنوة كلها من الإرث، والنكاح، والطلاق، ومحرمات المصاهرة، وغير ذلك مما يتعلق بأحوال الابن الصلبي على الوجه الشرعي المعروف. و من ثم فإنه يرثه مع أبنائه الذين من صلبه، فإذا لم يوجد من يستحق منهم الميراث انفرد به"[1].

قال الدميري: "وكان أهل الجاهلية يورثون الرجال دون النساء، والكبار دون الصغار، ويجعلون حظ الزوجة أن ينفق عليها من مال الزوج سنة، ويورثون الأخ زوجة أخيه.

وكان في ابتداء الإسلام التوارث بالحلف والنصرة فيقول: دمي دمك ترثني وأرثك، ثم نسخ فتوارثوا بالإسلام والهجرة، ثم نسخ فكانت الوصية واجبة للوالدين والأقربين، ثم نسخ بآيتي المواريث: آية الشتاء التي في أول النساء، وآية الصيف التي في آخرها"[2].

ثم صار التوارث في الإسلام على ما هو معلوم.

(1) عن: الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم: المواريث وصلتها بالاقتصاد، لأحمد بزوي الضاوي. بحث منشور في ملتقى أهل التفسير، وملتقى أهل الحديث.

(2) النجم الوهاج في شرح المنهاج (6/ 107).

5-الإرث عند الأمم الشرقية القديمة: وهم الكلدانيون والآرام والسريان والفينيقيون وغيرهم.

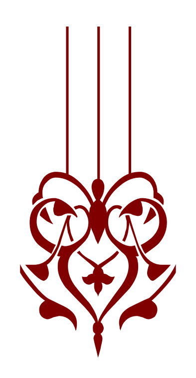
كان الميراث عندهم أن يحل البكر من الأولاد محل أبيه. وعند عدم وجود البكر يقوم مقامه أرشد الذكور من الأولاد ثم الإخوة ثم الأعمام وهكذا إلى أن يدخل الأصهار وسائر العشيرة، وكانوا يحرمون النساء والأطفال من الميراث.

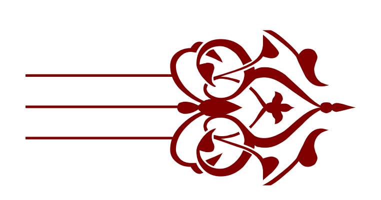
6-الإرث في الغرب: في الغرب يختلف حكم التوريث من بلد لآخر؛ ففي الولايات المتحدة مثلاً للمورّث الحق في ترك وصية بكامل ما يملك لمن أراد؛ سواء كان قريبًا أم غريبًا أم حتى حيوانًا، فيمكن أن يحرم الأبناء كليًا من أي شيء من الإرث، لكن بشكل عام فإن نصف الإرث يذهب للزوج، والنصف الآخر يتوزع بالتساوي بين الأبناء والبنات بلا فرق.

وفي القانون الفرنسي يستحق الإرث الأولاد سواء كانوا شرعيين أم لا وسائر الفروع والأصول والحواشي والزوج والزوجة.

وفي التشريع الإنجليزي: الذكور يقدمون على الإناث في طبقتهم، فالأبناء أولى من البنات في استحقاق الميراث، والابن الأكبر مقدم على جميع الورثة ذكوراً وإناثًا في استحقاق الميراث، وابن الابن مقدم على بنت الميت[1].

(1) ينظر في هذا النقطة والتي قبلها: جامع الكتب الإسلامية على الشبكة العنكبوتية.





ثالثًا: نظرة مجملة عن الميراث في الإسلام:

"**حين نتأمل نظام قسمة الميراث في الإسلام فإننا نلاحظ الآتي:**

أولاً: أنه جعل توزيع الميراث داخل أسرة الميت وأقاربه؛ لأنهم أولى بذلك من الأبعدين.

ثانيًا: أنه جعل له أسبابًا محددة لا تزيد، وهي: النسب الصحيح، والمصاهرة، والولاء -كما كان سابقًا-. فلا يدخل فيه ولد زنى، ولا متبنى، ولا لقيط، ولا حليف.

ثالثًا: أنه جعل الأنصبة مقدرة، وتوزيعها على أهلها مقدراً كذلك.

رابعًا: أنه رتب الزيادة والنقصان والحرمان من الإرث على حسب القرب والبعد من الميت.

خامسًا: أنه لم يعط الميراث لشخص واحد، بل جعله شركة بين الورثة حسب القرب والبعد.

سادسًا: أنه لم يفرق في استحقاقه بين الذكورة والأنوثة، والصغر والكبر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والمتزوج وغير المتزوج، والبار والعاق، بل يعطى الوارث حقه من الميراث: ذكراً كان أم أنثى، صغيراً أم كبيراً، غنيًا أم فقيراً، صحيحًا أم عليلاً، متزوجًا أم غير متزوج، باراً أم عاقًا. إلا أنه منعه عند اختلاف الدين، وقتلِ الوارث مورثَه، فلا توارث بين مسلم وكافر، ولا إرث من مقتول

لقاتله؛ والقتل المانع من الإرث هو: ما أوجب قصاصًا أو دية أو كفارة، وما عدا ذلك لا يمنع.

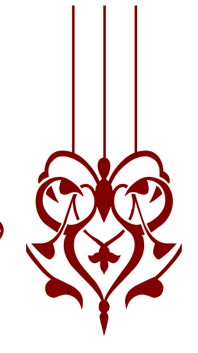
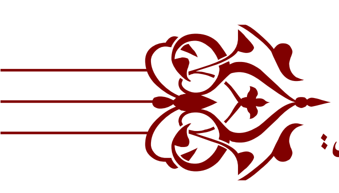
وأما مسألة المفاضلة بين الذكر والأنثى فليست كائنة في كل أبواب الإرث، بل هي حاصلة في باب واحد فقط وهو أن يكون الذكر والأنثى مشتركين ببنوة أو أخوة من أبوين أو أب. فهنا يكون للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا من عدل الله تعالى وحكمته؛ فإن حاجة الذكور إلى المال في الإسلام أعظم من حاجة الإناث؛ فالذكور هم المكلّفون شرعًا بالإعطاء والنفقة، وأما الإناث فإنهن آخذات معطى لهن؛ فالرجل هو من يدفع المهر، وهو المكلف بالنفقة على أهله في المطعم والمشرب والملبس والمسكن والدواء وغير ذلك من نفقات الحياة.

ومع هذا فهناك مسائل كثيرة في غير هذا الباب ترث الأنثى فيها مثل الذكر؛ **مثل**: موت الميت عن: بنت وأب، فللبنت النصف، والباقي للأب وهو النصف.

ومسائل يكون للأنثى فيها أكثر من الذكر؛ مثل: موت الميت عن: بنت وأم وأب، فالبنت لها النصف، والأم لها السدس، والأب له السدس فرضًا والباقي تعصيبًا. فما أحسن شرع الله وأعدله، وأقومه وأكمله!"[1].

---

(1) خطبة بعنوان" قسمة المواريث كما صورتها سورة النساء" المجموعة السادسة من خطب" النور السائر من خطب المنابر(242).

رابعًا: المشهورون من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ بعلم الفرائض:

اشتهر من الصحابة عدد بالفرائض، منهم:

1 –أبو خارجة زيد بن ثابت الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنهُ (ت: 45هـ).

وفي فضله بهذا العلم جاء الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ، إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**)[1].

---

(1) رواه أحمد(12904)، والترمذي(3791) وقال: " هذا حديث حسن صحيح"، والنسائي في الكبرى(8185)، وابن ماجه(154)، وابن حبان(7131)، والبيهقي في الكبرى(12186)، والحاكم(5784)، وقال: " هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ وَإِنَّمَا اتَّفَقَا بِإِسْنَادِهِ هَذَا عَلَى ذِكْرِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَطْ، وَقَدْ ذَكَرْتُ عِلَّتَهُ فِي كِتَابِ التَّلْخِيصِ"، **قال الذهبي عقبه**: "على شرط البخاري ومسلم".
قال ابن حجر: "صححه الترمذي والحاكم وابن حبان وفي رواية للحاكم: (أفرض أمتي زيد)، وصححها أيضًا، وقد أعل بالإرسال، وسماع أبي قلابة من أنس صحيح إلا أنه قيل: لم يسمع منه هذا، وقد ذكر الدارقطني الاختلاف فيه على أبي قلابة في العلل، ورجح هو وغيره كالبيهقي والخطيب في المدرج أن الموصول منه ذكر أبي عبيدة والباقي مرسل، ورجح ابن المواق وغيره رواية الموصول، وله طريق أخرى عن أنس أخرجها الترمذي من رواية داود العطار عن قتادة عنه وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف، ورواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مرسلاً، **قال** =

ورواية أحمد بلفظ: (وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ).

قال الماوردي: "أَفْرَضُكُمْ زَيْدٌ " فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَأْوِيلِهِ عَلَى أَقَاوِيلَ:

أَحَدُهَا: إِنَّهُ قَالَ ذَلِكَ حَثًّا لِجَمَاعَتِهِمْ عَلَى مُنَاقَشَتِهِ وَالرَّغْبَةِ فِيهِ كَرَغْبَتِهِ؛ لِأَنَّ زَيْدًا كان منقطعًا إلى الْفَرَائِضِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ قَالَ لَهُ ذَلِكَ تَشْرِيفًا وَإِنْ شَارَكَهُ غَيْرُهُ فِيهِ، كَمَا قَالَ: (أَقْرَؤُكُمْ أُبَيٌّ، وَأَعْرَفُكُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ، وَأَصْدَقُكُمْ لَهْجَةً أَبُو ذَرٍّ، وَأَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ) وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَعْرَفَ النَّاسِ بالقضاء هُوَ أَعْرَفُهُمْ بِالْفَرَائِضِ وَبِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ الْقَضَاءِ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ كان أفرضهم زيدٌ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى عُمُومِ جَمَاعَتِهِمْ لَمَا اسْتَجَازَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مُخَالَفَتَهُ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ أَرَادَ بذلك: أنه أشد منهم عِنَايَةً بِهِ، وَحِرْصًا عَلَيْهِ، وَسُؤَالًا عَنْهُ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَصَحَّهُمْ حِسَابًا، وَأَسْرَعَهُمْ جَوَابًا، وَلِأَجْلِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ هَذِهِ المعاني أَخَذَ الشَّافِعِيُّ فِي الْفَرَائِضِ بِقَوْلِ زَيْدٍ"[1].

وقد عرف أهل العلم لزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هذه المزية من الصحابة فمن بعدهم:

الدارقطني: هذا أصح". التلخيص الحبير (3/ 180). وصححه الألباني في عدد من كتبه منها: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (3/ 223). وصحح إسناده كذلك شعيب الأرناؤوط في تحقيقه: لمسند أحمد، وسنن ابن ماجه، وصحيح ابن حبان.

(1) الحاوي الكبير (8/ 71).

عن سليمان بن يسار، قال: "ما كان عمر، وعثمان يقدمان على زيد أحدًا في الفرائض، والفتوى، والقراءة، والقضاء".

وعن الشعبي قال: "غلب زيد الناس على اثنتين: الفرائض، والقرآن".

و"لما حُصر عثمان أتاه زيد بن ثابت، فدخل عليه الدار. فقال له عثمان: أنت خارج الدار أنفع لي منك ها هنا، فذب عني. فخرج، فكان يذب الناس، ويقول لهم فيه، حتى رجع أناس من الأنصار، وجعل يقول: يا للأنصار، كونوا أنصارًا لله مرتين، انصروه، والله إن دمه لحرام. فجاء أبو حية المازني مع ناس من الأنصار، فقال: ما يصلح معك أمر، فكان بينهما كلام، وأخذ بتلبيب زيد هو وأناس معه، فمر به ناس من الأنصار، فلما رأوهم أرسلوه. وقال رجل منهم لأبي حية: أتصنع هذا برجل لو مات الليلة ما دريت ما ميراثك من أبيك".

وقال جعفر بن برقان: "سمعت الزهري يقول: لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض، لرأيت أنها ستذهب من الناس".

وقال مالك: "كان إمام الناس عندنا -بعد عمر- زيد بن ثابت، وكان إمام الناس عندنا بعد زيد، ابن عمر".

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: "الناس على قراءة زيد، وعلى فرض زيد"[(1)].

وعن مسروق، عن عبد الله: أنه كان يقول في أخوات لأب وأم، وإخوة

(1) ينظر في هذه الآثار: سير أعلام النبلاء (2/ 433-235).

وأخوات لأب: للأخوات للأب والأم: الثلثان، وما بقي: فللذكور دون الإناث.

فقدم مسروق المدينة، فسمع قول زيد فيها، فأعجبه، فقال له بعض أصحابه: أتترك قول عبد الله؟! فقال أتيت المدينة، فوجدت زيد بن ثابت من الراسخين في العلم، -يعني: كان زيد يشرك بين الباقين"[1].

وقال السهيلي: "علم الْفَرَائِض علم شرِيف قرآني، لَا يشْتَغل بِهِ إِلَّا عَالم رباني، قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -حِين مَاتَ زيد بن ثَابت رَحِمَهُ اللَّهُ-: الْيَوْم مَاتَ رباني هَذِه الْأمة؛ لِأَن رَسُول الله ﷺ قَالَ فِي زيد بن ثَابت: (وأفرضهم زيد بن ثَابت) وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: (الْعلم ثَلَاثَة: آيَة محكمَة، وَسنة قَائِمَة، وفريضة عادلة) فَجعل علم الْفَرَائِض ثلث علم الدّين.

وكان عمر بن الْخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيَّام كَانَ بِالشَّام يكْتب إِلَى زيد بن ثَابت وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهَا فَيبْدَأ باسمه على نَفسه؛ لمكانه من الْعلم وَالْفِقْه فِي الدّين، وَحين أشكلت عَلَيْهِ مَسْأَلَة الْجد مَشى بِنَفسِهِ إِلَى منزل زيد بن ثَابت يَسْتَفْهِمهُ عَن رَأْيه فِيهَا فَانْتهى إِلَى قَوْله، وَاسْتحْسن مَا سمع من قِيَاسه فِيهَا وَنَظره، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أَجْمَعِينَ؛ فَإِنَّهُم اجتهدوا للْمُسلمين وتفقهوا فِي الْكتاب الْمُبين، وتحروا الصدْق فِيمَا نقلوه من وَحي رب الْعَالمين، حَتَّى استقامت قناة الْإِسْلَام، فعلى رَسُول الله ﷺ وعَلى أَصْحَابه وَأَهله أفضل الصَّلَاة وَالسَّلَام"[2].

---

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 437).

(2) الفرائض وشرح آيات الوصية (ص: 25).

وقد اختار الإمام الشافعي مذهب زيد في الفرائض؛ قال ابن الرفعة: "ولم يترك أحد من أكابر الصحابة إلا وله الكلام في الفرائض؛ إلا أن الذين اشتهروا بعلمها أربعة: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال علماؤنا: ولم يتفق هؤلاء الأربعة قط على مسألة إلا وافقتهم الأمة، وما اختلفوا إلا وقعوا فرادى، أو ثلاثة في جانب وواحد في جانب. واختار الشافعي من مذاهبهم مذهب زيد؛ لأنه اقرب إلى القياس، ولقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَفْرَضُكُمْ زَيْدٌ)، وعن القفال أن زيداً لم يهجر له قول، بل أقواله معمول بها، بخلاف أقوال غيره، ومعنى اختياره له: أنه نظر في أدلته فوجدها مستقيمة فاتبعها، لا أنه قلده؛ إذ المجتهد لا يقلد المجتهد"[1].

وقال الدميري: "وقال في (المطلب): إن الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قلده فيها"[2].

لكن قال الذهبي: "قلت: بتقدير صحة: (أفرضهم زيد، وأقراؤهم أبي) لا يدل على تحتم تقليده في الفرائض، كما لا يتعين تقليد أبي في قراءته، وما انفرد به"[3].

قال الرحبي (ت 579هـ):

وَأَنَّ زَيْدًا خُصَّ لَا مَحَالَهْ ... بِمَا حَبَاهُ خَاتَمُ الرِّسَالَهْ

مِنْ قَوْلِهِ فِي فَضْلِهِ مُنَبِّهَا ... "أَفْرَضُكُمْ زَيْدٌ" وَنَاهَيْكَ بِهَا

---

(1) كفاية النبيه في شرح التنبيه (12/ 468).

(2) النجم الوهاج في شرح المنهاج (6/ 109).

(3) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (2/ 432).

فَكَـــانَ أَوْلَـــى بِاتِّبَـــاعِ التَّـــابِعِيْ لَا سِـــيَّمَا وَقَـــدْ نَحَـــاهُ الـــشَّافِعِيْ[1]

قال الدميري: "عجيبة: اجتمع في اسم زيد أصول الفرائض وغالب قواعدها؛ وذلك أن الزاي بسبعة وهي عدد الوارثات من النساء، وأصول المسائل سبعة، والياء بعشرة وهي عدد الوارثين من الرجال وأصناف ذوي الأرحام، والدال بأربعة عدد أسباب الميراث، ومن يرث ويورث، ولا يرث ولا يورث، ومن يورث ولا يرث وعكسه.

وجملة حروفه الثلاثة أحد وعشرون، وهو عدد أصحاب الفروض: النصف لخمسة، والربع لاثنين، والثمن لواحد، والثلثان لأربعة، والثلث لاثنين، والسدس لسبعة، **وضابطه:** (هبادبز)، **وموانع الإرث ثلاثة:** والعصبات على ثلاثة أقسام، وصفة الإخوة والأعمام والأصول العائلة، والوارث قد يحجب حجب نقصان أو حرمان أو لا يحجب، والجد إذا كان معه ذو فرض مخير بين ثلاثة أشياء، والأب والجد يرثان بثلاث صفات.

وأيضًا الزاي حرف معجم من أعلاه بواحدة، والياء من أسفله باثنتين، والدال مهمل، فهي تشبه الذكر والأنثى والخنثى المشكل. ولفظ زيد يرجع إلى معنى الزيادة، والفرائض راجعة إلى هذا المعنى"[2].

ولما مات زيد رثاه حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله:

---

(1) الرحبية(2).

(2) النجم الوهاج في شرح المنهاج (6/ 109).

فمــن للقــوافي بعــد حــسان وابنــه ومن للمثاني بعد زيد بـن ثابـت[1]

2-أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(ت: 32هـ).

فقد رويت عنه أقوال عديدة في هذا العلم:

عن هُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ بِنْتٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **(لِلاِبْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ)** فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ"[2].

وعَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "مَا كَانَ اللهُ تَعَالَى لِيَرَانِي أُفَضِّلُ أُمًّا عَلَى أبٍ"[3].

وعَنِ الْهُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلى عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: إِنِّي أَعْتَقْتُ عَبْدًا لِي سَائِبَةً فَقَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الإِسْلامِ لا يُسَيِّبُونَ، إِنَّمَا كَانَ يُسَيِّبُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ. أَنْتَ وَلِيُّ نِعْمَتِهِ، وَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِمِيرَاثِهِ، فَإِنْ تَحَرَّجْتَ مِنْ شَيْءٍ فَهَاتِهِ فَاجْعَلْهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ"[4].

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 440).

(2) رواه البخاري(6736).

(3) الفرائض للثوري (ص: 26).

(4) الفرائض للثوري (ص: 43).

3 -الخلفاء الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد رويت عنهم أقوال كثيرة في الفرائض.

فمن ذلك:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، «كَانَ يَرَى الْجَدَّ أَبًا»[1].

وقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الْجَدُّ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِ مَا لَمْ يَكُنْ أَبٌ دُونَهُ، وَابْنُ الِابْنِ بِمَنْزِلِهِ الِابْنِ مَا لَمْ يَكُنِ ابْنٌ دُونَهُ»[2].

وعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ عُمَرَ، أَنَّهُ: «كَانَ يُوَرِّثُ الْإِخْوَةَ مِنَ الْأُمِّ مِنَ الدِّيَةِ»[3].

وفِي امرأةٍ وَأَبَوَيْنِ جاء **عَنْ** أَبِي الْمُهَلَّبِ: أَنَّ عُثْمَانَ جَعَلَهَا مِنْ أَرْبَعَةٍ؛ قَالَ: هِيَ مِنْ أَرْبَعَةٍ[4].

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «لَوْ هَلَكَ عُثْمَانُ وَزَيْدٌ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ، لَهَلَكَ عِلْمُ الْفَرَائِضِ، لَقَدْ أَتَى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ وَمَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُمَا»[5].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنَّهُ وَرَّثَ بَنِي عَمٍّ أَحَدُهُمْ أَخٌ لأُمٍّ فَأَعْطَى سَهْمَهُ،

(1) مصنف ابن أبي شيبة (6/ 258).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (6/ 259).

(3) مصنف ابن أبي شيبة (5/ 417).

(4) الفرائض للثوري (ص: 25).

(5) رواه الدارمي(2894).

وَجَعَلَ مَا بَقِيَ بَيْنَهُمْ يورثه دونهم[1].

وعَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ: دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُمْ عَنِ الْجَدِّ ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «لَهُ الثُّلُثُ عَلَى كُلِّ حَالٍ» وَقَالَ زَيْدٌ: «لَهُ الثُّلُثُ مَعَ الْإِخْوَةِ، وَلَهُ السُّدُسُ مِنْ جَمِيعِ الْفَرِيضَةِ، وَيُقَاسِمُ مَا كَانَتِ الْمُقَاسَمَةُ خَيْرًا لَهُ» ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هُوَ أَبٌ فَلَيْسَ لِلْإِخْوَةِ مَعَهُ مِيرَاثٌ» وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[الحج: 78] وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُ آبَاءٌ، قَالَ: «فَأَخَذَ عُمَرُ بِقَوْلِ زَيْدٍ»[2].

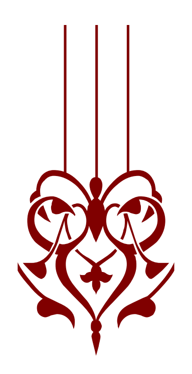
4-أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا (ت: 58هـ).

سئل مسروق: هل كَانَتْ عَائِشَةُ تُحْسِنُ الْفَرَائِضَ؟ قَالَ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ»[3].

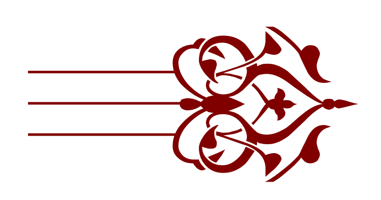
(1) الفرائض للثوري (ص: 31).

(2) رواه عبد الرزاق في المصنف(19059).

(3) رواه الدارمي(2901).



خامسًا: من مصطلحات علم الفرائض:



لهذا العلم مصطلحات يحسن بالدارس معرفتها قبل الولوج في دراسته، وسأذكر من ذلك جملة منها مرتبًا لها حسب حروف المعجم:

1- الأخ والعم:

إذا أطلق الأخ فإنه يعم الأخ الشقيق أو لأب أو لأم؛ لأنه وارث. أما العم فلا يعم العم لأم؛ لأنه من ذوي الأرحام[1].

2- الإدلاء:

هو: الاتصال بالميت: إما مباشرة بالنفس كأبي الميت وأمه وابنه وبنته، وإما بواسطة كإدلاء ابن الابن بالابن، وبنت الابن بالابن. **والإدلاء بالعصبة:** هو العصبة بنفسه: وهو كل ذكر لا تدخل في نسبته إلى الميت أنثى وحدها، سواء أكان الميت ذكراً أم أنثى، مثل: ابن الابن، وابن ابن الابن، وابن البنت[2].

3- الأصل:

إذا أطلق الأصل فيراد به: الأبوان والأجداد الصحاح (من جهة الأب) والجدات الصحيحات (من جهة الأب) وإن علوا. فإذا قيل: الأصل الذكر يراد به الأب والجد[3].

---

(1) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7702).

(2) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7702).

(3) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7702).

4- أصول المسائل:

هي: أقل عدد يخرج منه فرض المسألة أو فروضها بلا كسر، وأصول المسائل: مخارج فروضها وهي: "2 -3 -4 -6 -8 -12 -24"[1].

5- الأكدرية:

الأكدرية: مسألة في المواريث مكونة من: امرأة توفيت عن زوج، وأم، وأخت، وجد[2].

"**وسميت هذه المسألة بالأكدرية**؛ لأنها كَدَّرتْ قواعد باب الجد والإخوة؛ حيث خالفتها في ثلاثة أمور:

الأول: أن قاعدة هذا الباب إذا لم يبق إلا السدس أن يسقط الإخوة، وهنا في الأكدرية لم تسقط الأخت.

الثاني: أن مسائل هذا الباب لا تعول والأكدرية عالت.

الثالث: أنه في غير المعادة لا يفرض للأخت في هذا الباب، وفي الأكدرية فرض لها.

وهذه المسألة كما كدرت قواعد باب الجد والإخوة، فقد كدرت أيضاً قواعد الفرائض كلها؛ حيث ضم فيها فرض إلى فرض، ثم قسما بين صاحبيهما قسمة تعصيب، وليس في الفرائض فرضان مستقلان يضم أحدهما إلى الثاني، وليس في

(1) الفرائض، للاحم (ص: 112).

(2) القاموس الفقهي (ص: 316).

الفرائض وارث فرض له، ثم ورث بالتعصيب"[1].

وقال سُفْيَانُ: "سَأَلْتُ الأَعْمَشَ: لِمَ سُمِّيَتِ الأَكْدَرِيَّةُ؟ قَالَ: طرحها عبد الملك بْنُ مَرْوَانَ عَلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: أَكْدَرُ، فَأَخْطَأَ فِيهَا، فَسُمِّيَتِ الأَكْدَرِيَّةَ"[2].

6- التأصيل:

هو: تحصيلُ أقلِّ عددٍ يتأتى منه نصيب كل فريق من الورثة من غير كسر[3].

7- التباين:

هو: أن لا يكون بين العددين توافق في جزء من الأجزاء. بمعنى: ألا يقسم أحد العددين على الآخر، ولا يقسمهما عدد آخر؛ لأنه ليس بينهما اشتراك. مثل: (2 مع 3) و (3 مع 4) و (4 مع 7) و (8 مع 11) وهكذا[4].

8- التداخل:

هو: أن يكون أحد العددين أكبر من الآخر، ولكن العدد الأكبر يُفني الأصغر مرتين فأكثر. **يعني:** (أن العدد الأكبر ينقسم على الأصغر بلا كسر ولا زيادة) مثاله: "3 مع 6 أو مع 9 أو مع 12"[5].

---

(1) تسهيل الفرائض، لابن عثيمين (ص: 44).

(2) الفرائض للثوري (ص: 24).

(3) شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة، للمارديني (1/ 359).

(4) إعانة الطالب في بداية علم الفرائض، للأهدل (ص: 85).

(5) إعانة الطالب في بداية علم الفرائض (ص: 83).

9- التركة:

هي: "ما خلفه الميت من مال أو حق"[1]. خاص به وليس فيه ملك لغيره.

وقال النفراوي: "والتركات: جمع تركة وهو حق قابل للتجزئ يثبت لمستحق بعد موت من كان له ذلك بقرابة أو ما في معناها مما هو سبب للإرث كالنكاح والولاء"[2].

10- التصحيح:

هو: تحصيل أقل عدد ينقسم على الورثة بلا كسر[3].

11- التعصيب:

هو: الإرث بلا تقدير، والعصبة: هم الذين يرثون بلا تقدير[4].

والعصبة ثلاث:

أ- عصبة النسب بالنفس وهي: كل ذكر ليس بينه وبين المورث أنثى[5]. **وسُمي** العصبة بالنفس بهذا الاسم؛ لأن أهلها لا يحتاجون إلى من يعصبهم[6].

---

(1) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (3/ 261).

(2) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (2/ 249).

(3) الفرائض (ص: 121).

(4) الفرائض (ص: 66).

(5) الفرائض (ص: 67).

(6) الفرائض (ص: 68).

ب-العصبة بالغير، وهم أربعة أصناف:

1- البنت فأكثر مع الابن فأكثر.

2- بنت الابن فأكثر مع ابن الابن فأكثر، سواء كان أخاها أو ابن عمها الذي في درجتها أو أنزل منها إن احتاجت إليه.

3- الأخت الشقيقة فأكثر مع الأخ الشقيق فأكثر.

4- الأخت لأب فأكثر مع الأخ لأب فأكثر.

وسمي العصبة بالغير بهذا الاسم؛ لأن كونهم عصبة ليس بأنفسهم، بل بسبب غيرهم[1].

ج-العصبة مع الغير، وهم صنفان:

1- الأخوات الشقائق مع إناث الفرع الوارث.

2- الأخوات لأب مع إناث الفرع الوارث.

وسمي العصبة مع الغير بهذا الاسم؛ لأنهم لا يحتاجون إلى معصب كما في العصبة بالغير، وليسوا عصبة في كل الأحوال كالعصبة بالنفس، بل تعصيبهم مقيد بكونهم مع نوع خاص من الورثة، فهم عصبة إذا وجد معهم ذلك الغير[2].

---

(1) الفرائض (ص: 74).

(2) الفرائض (ص: 77).

12- التماثل:

هو: أن يكون أحد العددين مماثلاً للآخر مثل: "2 مع 2) و (3مع 3) و (7مع 7" وهكذا[1].

13- التوافق:

هو: أن يتوافق العددان في جزء صحيح من الأجزاء. مثاله: (4 و 6) فإن لكل منهما نصفًا صحيحًا[2].

14- الحجب:

هو: منع شخص معين عن ميراثه كلاً أو بعضًا بوجود آخر، والأول: حجب حرمان، والثاني: نقصان[3].

15- الحساب:

هو: علم بأصول يتوصل بها إلى استخراج المجهولات العددية. وهذا العلم شامل لحساب الفرائض وغيرها[4].

وفي اصطلاح الفرضيين: تأصيل المسائل وتصحيحها[5].

(1) إعانة الطالب في بداية علم الفرائض (ص: 82).
(2) إعانة الطالب في بداية علم الفرائض (ص: 84).
(3) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 136).
(4) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7832).
(5) الفرائض (ص: 105).

16-الحواشي:

هم: الإخوة وبنوهم، والأعمام وبنوهم[1].

17-الخنثى:

هو: آدميٌّ له آلتا الذكر والأنثى، أو ليس له واحدة منهما -أي: من الآلتين- بل له ثقبة لا تشبه آلةً منهما يخرج منها البول[2].

18-ذوو الأرحام:

ذوو الأرحام في الشرع هم: القرابة مطلقًا، سواء أكانوا وارثين أم غير وارثين، وعند علماء المواريث: كل قريب لا يرث بفرض ولا تعصيب.

وذوو الأرحام أحد عشر صنفًا، منهم: أولاد البنات وأولاد بنات الابن[3].

19-الرد:

هو: صرف ما فضل عن فروض ذوي الفروض، ولا مستحق له من العصبات إليهم بقدر حقوقهم[4] وهو ضد العول.

20-السهم:

يراد به: الجزء المعطى لكل وارث من أصل المسألة الذي هو مخرج فرض

---

(1) فقه النكاح والفرائض، لقنديل (ص: 290).

(2) شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة (2/ 664).

(3) الفرائض (ص: 199).

(4) التعريفات (ص: 110).

الورثة، أو عدد رؤوسهم مثل: اثنين من ستة. وقد يطلق على النصيب مع قرينة من القرائن[1].

21- العمريتان أو الغراوان:

هما: مسألتان يكون فيهما أحد الزوجين مع الأم والأب، فالمسألة الأولى: هي زوج وأب وأم، والمسألة الثانية: هي زوجة وأب وأم[2].

22- العول:

هو: زيادة السهام على الفريضة، فتعول المسألة إلى سهام الفريضة، فيدخل النقصان عليهم بقدر حصصهم[3]. **أو**: زيادة في السهام، ونقص في الأنصباء[4].

23- الغرقي والحرقى والهدمى:

المراد بالغرقى ونحوهم في علم المواريث: المتوارثون الذين التبس زمن موتهم؛ كمن ماتوا بحادث عام، كالغرق، والهدم والحرق، والانقلاب والاصطدام، والأمراض العامة؛ كالطاعون، أو ماتوا في غربة، أو في جهات مختلفة، وكقتلى المعارك، وضحايا الاختطاف[5].

---

(1) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7701).

(2) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7805).

(3) التعريفات (ص: 159).

(4) المغيث بأدلة المواريث، للعماري (ص: 41).

(5) الفرائض (ص: 163).

25-الفرض:

هو: النصيب المقدر شرعـًا للوارث، أي: الحظ المقدر صريحـًا من التركة بنص أو إجماع؛ كالثمن والربع، بحيث لا يزيد إلا بالرد ولا ينقص إلا بالعول[1].

26-الفرع:

إذا أطلق الفرع في الميراث فيراد به: ابن الميت وبنته، وابن ابنه وبنت ابنه وإن نزل أبوها. فإذا قيل (الفرع الوارث) يراد به: الابن والبنت، وابن الابن وبنت الابن وإن نزل. ويلاحظ أن ابن الابن بمثابة الابن، أما ابن الأخ فليس بمثابة الأخ.

وفرع الأب: يراد به الإخوة والأخوات، وبنو الأخ الشقيق أو الأب.

وفرع الجد: يراد به العم الشقيق، والعم لأب وبنوهما[2].

27-المشتركة:

وتسمى أيضا: المشرّكة، واليمية -نسبة إلى اليم- والحجرية، والحمارية، والمنبرية[3].

وهي: زوج، وصاحبة سدس -من أم أو جدة-، وإخوة لأم اثنان فأكثر، وإخوة أشقاء ذكورًا، أو ذكورًا وإناثًا، لا إناثًا فقط[4].

(1) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7701).

(2) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7702).

(3) فقه النكاح والفرائض (ص: 319).

(4) الفرائض (ص: 96).

28-المعادة:

هي: أن يعد الإخوة الأشقاء أولاد الأب على الجد[1].

قال الرحبي:

واحكم على الإخوة بعد العد حكمك فيهم عند فقد الجد

واسقط بني الإخوة بالأجداد حكمًا بعدل ظاهر الإرشاد[2]

29-المفقود:

هو: من غاب عن وطنه، وطالت غيبته، وانقطع خبره وجُهِلَ حاله، فلا يُدرى أحي هو أم ميتٌ، سواء كان سبب ذلك سفره، أم حضوره قتالاً، أم انكسار سفينة، أم غيرها، وفي معناه الأسيرُ الذي انقطع خبره عند الجماهير[3].

30-المقاسمة:

هي حالة من حالات الجد مع الإخوة، وهي: أن يوجد مع الجد إخوة وأخوات لأبوين، أو لأب ممن يرثون بالتعصيب، بأن كانوا ذكورًا فقط أو ذكورًا وإناثًا، أو معه أخت شقيقة أو أكثر، أو أخت لأب فأكثر وكن عصبة مع البنتين أو مع بنت الابن أو معهما معًا، فحينئذ يقاسمهم كأخ[4].

---

(1) تسهيل الفرائض (ص: 45).

(2) متن الرحبية = بغيه الباحث عن جمل المواريث (ص: 10).

(3) شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة (2/ 651).

(4) فقه النكاح والفرائض (ص: 310).

31 -**المناسخة:**

هي: أن يموت بعض الورثة قبل قسمة التركة، فينتقل نصيب وارث إلى الورثة الآخرين.

فإذا مات أحد الورثة قبل أن تقسم التركة فإن سهامه تنقل إلى ورثته، وتكون هناك مسألة تجمع بين المسألتين تسمى "الجامعة"[1].

32 - **النسب:**

هـو: البنـوة والأبـوة والإدلاء بأحـدهما، عـن طريـق تغليـب الأبـوة علـى الأمومة[2].

33 -**الوارث:**

هـو: مـن يـستحق حـصته مـن التركـة، وإن لـم يأخـذها بالفعـل؛ كـالمحروم والمحجوب[3].

34 -**الولد:**

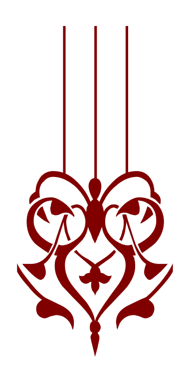
الولد: اسم يجمع الواحد والكثير والـذكر والأنثى، وفيه لغـات: وُلْـد ووِلْـد ووَلَدَ- وهي هذلية- وقد قرئ بالجميع[4].

(1) فقه النكاح والفرائض (ص: 340).

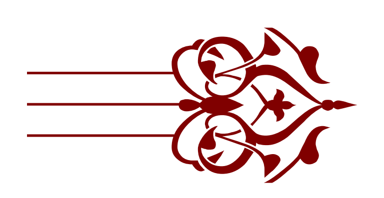
(2) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7701).

(3) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (10/ 7702).

(4) الإبانة في اللغة العربية (4/ 543).



سادسًا: متون وشروحها في علم الفرائض:



هناك مؤلفات كثيرة نسوق في هذه المقدمة بعضًا منها:

متون وشروحها[1]:

أ-الرحبية، لأبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الرحبي الشافعي المتوفى سنة (577هـ).

ومتن الرحبية متن منظوم عدد أبياته (175) بيتًا، وهي منظومة من أنفع ما صنف في هذا العلم للمبتدئ كما قاله العلامة الشنشوري في الدرة المضيئة.

إلا أن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكر في منظومته ما يتعلق ببابي الرد وميراث ذوي الأرحام؛ بناء على مذهب الشافعي من عدم القول بالرد وعدم توريث ذوي الأرحام؛ لذا قام الشيخ: عبد الله بن صالح الخليفي المتوفى سنة (1381هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنظم ذلك في (11) بيتًا.

ذكرها وعلق عليها الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم في حاشيته على الرحبية، وقد شرحت هذه المنظومة بشروح كثيرة، **منها:**

1- الفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية، لعبد الله بن محمد الشنشوري الشافعي المتوفى سنة (999هـ) بطلب من ابنه عبد الوهاب، وقد اعتنى بهذا الشرح جماعة من العلماء ووضعوا عليه تقييدات وحواشي منهم: إبراهيم بن

(1) ينظر: الدليل إلى المتون العلمية (ص: 465).

محمد الباجوري المتوفى سنة (1277هـ) وقيل: (1276هـ)، واسم حاشيته: "التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية".

2-شرح الرحبية، لمحمد بن محمد بن أحمد بن بدر الدين الدمشقي المصري الشافعي سبط جمال الدين عبد الله بن خليل بن يوسف الماريني المتوفى سنة (907هـ).

3- تحفة الإخوان البهية على المقدمة الرحبية، لمحمد بن خليل بن محمد بن خليل بن أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون المصراتي الأزهري المالكي المتوفى نحو سنة (1150هـ).

4-الروضة البهية على متن الرحبية، لمحمد نجيب خياطة المتوفى سنة (1387هـ).

5- تيسير المسائل الفرضية بشرح منظومة الرحبية، لمحمد شيبة الحمد الفقي.

6- اللآلئ الفضية على متن الرحبية في علم المواريث، علي عبده يحيى الشرف.

ب-السراجية، لسراج الدين محمد بن محمد السجاوندي الحنفي المتوفى سنة (600هـ) وقيل: سنة (700هـ).

وهو متن منثور ومن شروحه:

1-شرح أبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني الحنفي المعروف

بالسيد الشريف المتوفى سنة (816هـ)، وعليه حاشية للشيخ: محمد نظام الدين الكيرانوي.

2-شرح محمد نجيب خياطة المتوفى سنة (1387هـ) في كتابه " الرياض الزاهية شرح متن السراجية.

ونظم هذا المتن: عبد الملك بن عبد الوهاب بن صالح الفتني المكي المتوفى سنة (1327هـ) وسمى نظمه " خلاصة الفرائض". وقد قام الناظم المذكور بشرح منظومته وسمى شرحه " شرح خلاصة الفرائض".

ج-المنظومة الفارضية في الفرائض الحنبلية، لشمس الدين محمد القاهري الحنبلي المتوفى سنة (981هـ).

وشرحها شارحون منهم:

1 – عبد القادر بن بدران المتوفى سنة (1346هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسمى شرحه "البدرانية شرح المنظومة الفارضية".

د- العقود البرهانية، لمحمد حجازي بن محمد الحلبي الشافعي المتوفى سنة (1205هـ)، منظومة عدد أبياتها (112) بيتاً.

اعتنى بهذه المنظومة جماعة من العلماء منهم:

1 – عبد الله بن عبد الرحمن الحنبلي الميقاتي المتوفى سنة (1223هـ) شرحها في كتاب سماه " الفرائد الجمانية".

2- أحمد بن عبد الكريم الترمانيني المتوفى سنة (1293هـ).

3- كما اعتنى بها محمد بن علي بن سلوم المتوفى سنة (1246هـ) فشرحها بشرح سماه " وسيلة الراغبين وبغية المستفيدين".

وله شرح آخر مطول اسمه " الفواكه الشهية في حل منظومة القلائد البرهانية".

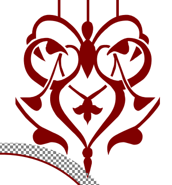
4- وشرحها: ابن عثيمين.

هـ-الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة، لأحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي المالكي المتوفى سنة (1133هـ. منظومة تقع في (432) بيتاً.

وقد قام ناظمها بشرحها في كتابه "إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة[1].

---

(1) **فائدة: ومن الكتب في هذا العلم**: ما ذكره حاجي خليفة في كشفه، **ومن ذلك قوله**: "الكافي في الفرائض، لإسحاق بن يوسف الفرضي، الزرقالي، الصردفي اليمني. المتوفى في حدود سنة (500هـ)، استغنى به أهل زمانه عن الكتب القديمة في المواريث. وهو نافع مبارك، واضح بكثرة الأمثلة، كالجمل في النحو. وهو كاسمه، ومنذ وجد لم يتفقه أحد من أهل اليمن إلا منه، واعترفوا بفضل مصنفه. شرحه: علي بن أحمد بن موسى البجلي، الحنفي. ولد: سنة 732، اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وهو تصنيف حسن. وشرحه: علي بن أحمد بن موسى الركبي. المتوفى: سنة 732، اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وشرحه ابن سراقة، محيي الدين، أبو بكر: محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري، الشاطبي، المصري، شيخ دار الحديث بالكاملية. المتوفى: سنة 662. في مجلد. وشرحه: أبو عبد الله: صالح بن عمر بن أبي بكر البريهي، السكسكي، الشافعي. المتوفى: سنة 714، أربع عشرة وسبعمائة" . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1377).

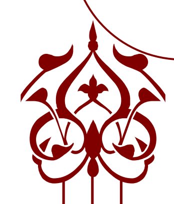
مقدمة في علم العقيدة الإسلامية

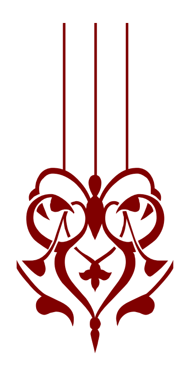
سنتحدث عن هذا العلم في الآتي:

أولاً: مبادئ علم العقيدة العشرة.

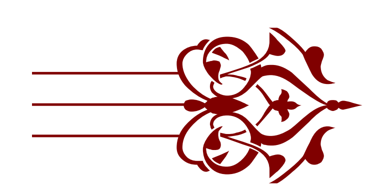
ثانيًا: خصائص العقيدة عند أهل السنة.

ثالثًا: متون وكتب في علم العقيدة.



أولاً: مبادئ علم العقيدة العشرة:



1 - حده:

لغة: عقد: العين، والقاف، والدال، أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها. **وعقد** الحبل، والبيع، والعهد، يعقده: شده. **واعتقد الشيء**: اشتد، وصلب، **يقال**: اعتقد الإخاء بينهما: صدق، وثبت، **وعقد فلان الأمر**: صدقه، وعقد عليه قلبه، وضميره.

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. **وفِي الدّين**: مَا يقْصد بِهِ الِاعْتِقَاد دون الْعَمَل كعقيدة وجود الله وَبَعْثه الرُّسُل. **والجمع**: عقائد[1].

ولعل تسمية مسائل هذا العلم عقيدة جاء من كون الحامل لها يعقد عليها قلبه وفكره، ويشد بها يقينه بحيث تصير لديه من المسائل المسلَّمة التي يجزم بها ويسير عليها.

اصطلاحًا: العلم بالأحكام الشرعية المكتسب من الأدلة اليقينية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية[2].

وقيل: هي مجموعة الأمور الدينية التي تجب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقينًا عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب، فإن كان

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة (4/ 86)، المعجم الوسيط (2/ 614)، القاموس المحيط (ص:300).

(2) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان (8).

فيها ريب أو شك كانت ظنًّا لا عقيدة[1].

والعقيدة الإسلامية: إذا أطلقت فهي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله دينًا لعباده، وهي عقيدة القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان[2].

2- موضوعه:

موضوع العقيدة هو: البحث لإثبات الحق فيما يتعلق بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وما يتعلق بالنبوة والأنبياء، وما يتعلق بمسائل الغيب من الموت وما بعده، وغير ذلك[3].

3- ثمرته:

معرفة هذا العلم يثمر ثمرات يانعة، منها:

1- معرفة الله تعالى، فليس أحد أعرف بالله من أهل العقيدة السليمة الذين وصفوا الله بما يستحقه، ونفوا عنه ما يتنزه عنه، وعبدوه رغبة ورهبة ومحبة، فإذا عرفوا الله وصلوا إلى أكمل السعادة واللذة.

قال ابن القيم (ت:751هـ): "اللذة التَّامَّة والفرح وَالسُّرُور وَطيب الْعَيْش وَالنَّعِيم

---

(1) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: 20).

(2) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة (1/ 25).

(3) ينظر في تفصيل ذلك: طريق الهداية - مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة (133/ وما بعدها). د. محمد يسري.

إِنَّمَا هُوَ فِي معرفَة الله وتوحيده والأنس بِهِ والشوق إِلَى لِقَائِه، واجتماع الْقلب والهم عَلَيْهِ؛ فَإِن أنكد الْعَيْش عَيْش من قلبه مشتت، وهمه مفرَّق، فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مُسْتَقر يسْتَقرّ عِنْده وَلَا حبيب يأوي إِلَيْهِ، ويسكن إِلَيْهِ، كَمَا أفْصح الْقَائِل عَن ذَلِك بقوله:

وَمَا ذاق طعم الْعَيْش من لم يكن لَهُ   حبيب إِلَيْهِ يطمئن ويسكنُ

فالعيش الطّيب والحياة النافعة، وقرة الْعين فِي السّكُون والطمأنينة إِلَى الحبيب الأول، وَلَو تنقل الْقلب فِي المحبوبات كلهَا لم يسكن وَلم يطمئن إِلَى شَيْء مِنْهَا، وَلم تقر بِهِ عينه حَتَّى يطمئن إِلَى إلهه وربه ووليه، الَّذِي لَيْسَ لَهُ من دونه ولي وَلَا شَفِيع، وَلَا غنى لَهُ عَنهُ طرفَة عين[1].

2-عبادة الله تعالى على منهج واضح صحيح مقبول.

3-المبادرة إلى صلاح الظاهر بعد أن صلح الباطن.

لأن العقيدة إذا صحت، وأشرقت أنوارها في القلوب شع من ذلك النور ما يضيء الجوارح لتستقيم على الحق، فتحسن معاملة الخالق ومعاملة الخلق، ومن كان لديه قصور أو إساءة في جوارحه فليراجع عقيدته، وأعمال قلبه.

4-كثرة المراقبة لله تعالى.

فقوة العقيدة الإيمانية تجعل صاحبها لا يغيب عن استشعار مراقبة ربه تعالى في كل حركة وسكون.

---

(1) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص:29).

5-الحياة تحت ظلال الطمأنينة والراحة النفسية، من غير أن يعكر تلك السعادة الروحية حيرة أو شك أو قلق عقدي.

كما هو الحال عند الفلاسفة والمشتغلين بعلم الكلام.

فقد أخبر" الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، **حيث قال:**

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وكذلك قال أبو المعالي الجويني: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام؛ فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور. وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي، وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي، لبعض الفضلاء، وقد دخل عليه يومًا، فقال: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ أو كما قال، فقال: نعم، فقال: أشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته. ولابن أبي الحديد. الفاضل المشهور بالعراق:

فِيكَ يَا أُغْلُوطَةَ الْفِكَرِ حَارَ أَمْرِي وَانْقَضَى عُمُرِي

سَــــافَرَتْ فِيــــكَ الْعُقُــــولُ فَمَــــا رَبِحَــــــتْ إِلَّا أَذَى الــــــــسفر
فلحــــى الله الأولـــــى زَعَمُــــوا أَنَّــــكَ الْمَعْــــرُوفُ بِــــالنَّظَرِ
كَــــذَبُوا إِنَّ الَّــــذِي ذكــــروا خــــارِجٌ عــــن قُــــوّةِ البــــشرِ

وقال الخوفجي عند موته: ما عرفت مما حصلته شيئًا سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجح، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت وما عرفت شيئًا. وقال آخر: أضطجع على فراشي وأضع اللحفة على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء"(1).

4- **فضله:**

علم العقيدة الإسلامية علم عزيز المكانة، عظيم الأثر، يحتاج إليه الخاص والعام، والرجل والمرأة، وتعظم الحاجة إليه في الأزمنة أو الأمكنة التي يحصل فيها التشويش على الفكر بظهور البدع وقوتها، وانتشار الملل والنحل والمذاهب العقدية والفكرية المناوئة لمنهج أهل السنة والجماعة في باب العقيدة.

ولهذا العلم فضل عظيم على سائر علوم الشريعة؛ لأنه أساس صحة العمل وقبوله.

ولب هذا العلم: توحيد الله تعالى، الذي تغدو الحاجة إليه أعظم حاجة.

قال ابن أبي العز: "وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها

(1) شرح الطحاوية، لابن أبي العز(ص:209).

ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه"(1).

وإذا كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر؛ فإن علم العقيدة في الذروة من هذا الفضل العميم، حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من العلوم.

5-نسبته:

نسبة هذا العلم إلى العلوم: التباين والتخالف، وينتسب هذا العلم الشريف إلى العلوم الشرعية.

6-واضعه:

عقيدتنا الصحيحة -نحن المسلمين- جاء بها النبي ﷺ عن ربه تعالى وحيًا أو إقراراً، فأذاعها رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بين أصحابه في نصوص القرآن والسنة، ونقلها الصحابة لمن بعدهم مع شرائع الدين.

ولم يكن هناك تصنيف للعلوم في المائة الأولى، فكان ما يتعلق بالعقيدة مبثوثًا في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وتبيين الصحابة وعلماء التابعين لتلك النصوص.

وبقي الأمر كذلك حتى في ظل كتابة الحديث النبوي التي أمر بها عمرُ بن العزيز محمدَ بن شهاب الزهري وأبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية (ص: 69).

ولما جاء الإمام أبو حنيفة (ت:150هـ) ألف رسالة صغيرة في الاعتقاد اسمها: "الفقه الأكبر"، **قال ابن النديم** (ت:438هـ): "وله من الكتب كتاب الفقه الأكبر"(1). والكتاب مطبوع ومشروح.

وحين دُوِّن الحديث النبوي جُعلت فيه أبواب خاصة ببعض مسائل العقيدة؛ كأبواب الإيمان والتوحيد والشفاعة، وغير ذلك.

وعندما كثر الخوض في بعض مسائل العقيدة واشتد عود بعض البدع طفق العلماء يكتبون كتبًا ورسائل مخصوصة في علم العقيدة؛ **فهذا عبد الله بن وهب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:197هـ) يضع كتابًا في القدر، **وجاء أبو عبيد القاسم بن سلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:224هـ)، وألف كتاب الإيمان، **ثم جاء ابن أبي شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:235هـ) وألف كتاب السنة، **ومثله الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:240هـ)، **وجاء جعفر بن محمد الفريابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:301هـ) وألف كتاب القدر، **ثم جاء ابن سريج البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:306هـ)، وألف كتاب التوحيد، **ومثله فعل ابن خزيمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:311هـ)، **ثم جاء أبو جعفر الطحاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:321هـ) وألف عقيدته المعروفة بالطحاوية. ومن بعد هؤلاء **جاء الإمام أبو بكر الإسماعيلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:371هـ) وألف كتابه اعتقاد أهل السنة.

وليس ما سقناه يقتضي الترتيب والحصر؛ فهناك مؤلفات عقدية أخرى غير ما ذكرنا.

---

(1) الفهرست (ص:251).

7-**اسمه:**

يطلق على هذا العلم أسماء وهي: العقيدة. الاعتقاد. التوحيد. السُّنة. أصول الدين. الفقه الأكبر. الشريعة. الإيمان.

وتحت هذه العناوين سمى من ألف في هذا العلم كتابه.

واسم العقيدة ليس اسمًا حادثًا، بل حملت أسماء كتب قبل القرن الخامس وما تلاه اسم الاعتقاد، أو عقيدة ونحوهما، كما سيأتي.

8-**استمداده:**

والمراد بذلك: مصادره التي أخذ منها.

يستمد علم العقيدة من الكتاب والسنة، وما اتفق عليه الصحابة، وما روي عن بعضهم في مسألة ما ولم يُعلم لذلك القول مخالف.

روى عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه قوله: "..ولست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله عز وجل، أو في حديث عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود"(1).

9-**حكم تعلمه:**

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أجمع العلماء أن من العلم ما هو فرض متعين

(1) السنة لعبد الله بن أحمد (1/ 139).

على كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية، إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين، مثل طلب كل واحد علم ما أمره به وما نهاه عنه، فإن هذا فرض على الأعيان"[2].

لهذا فإن ما كان تعلمه مما يصح به إسلام الإنسان، وإن لم يتعلمه لم يصح؛ فهذا فرض عين، وهذا يكون في الأصول العقدية المشهورة في الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وسائر الغيبيات الظاهرة، مما يشترك فيه الخاصة والعامة.

أما ما يتعلق بالتعمق في مسائل هذا العلم، ومعرفة أدلتها وتفاصيلها، والردود على من خالف فيها، فهذا فرض كفاية، وربما يتعين على من يتصدر للتفسير والفتوى؛ حتى لا يضل الناس بما يقول أو يكتب، والله أعلم.

10 - مسائله:

وهي قضايا كلية تتعلق بأركان الإيمان الستة؛ **ففي الإيمان بالله** ما يتعلق بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وفي الإيمان بالرسل ما يتعلق بالعصمة والمعجزات والحقوق لهم والواجب

(1) جامع بيان العلم وفضله (1/ 56).

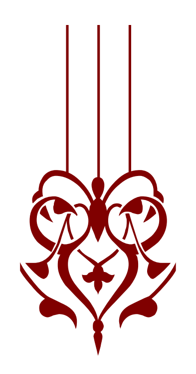
(2) الحسبة لابن تيمية (ص: 256).

نحوهم، وغير ذلك.

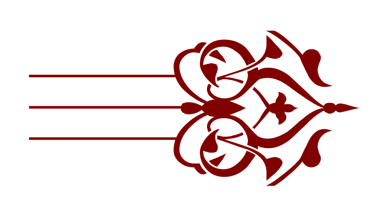
وفي الإيمان باليوم الآخر ما يتعلق بالغيبيات من الموت فما بعده إلى المصير إلى الجنة أو النار.

وفي الإيمان بالقدر، ما يتعلق بأركانه الأربعة: العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق.

وغير ذلك من المسائل؛ كالمسائل التي تذكر في كتب العقيدة؛ لخلاف بعض الفرق فيها؛ لقيامها عندهم على أصول عقدية منحرفة.



ثانيًا: خصائص العقيدة عند أهل السنة:



لعقيدة أهل السنة والجماعة خصائص ومزايا تتميز بها عن غيرها من العقائد المنحرفة، ونجمل ذلك في الآتي:

1- **سلامة المصدر**، وهو القرآن والسنة الصحيحة، وكلاهما وحي من الله.

2- **قيامها على التسليم لله ولرسوله.**

3- **اتصال سندها بالرسول ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة الهدى قولاً وعملاً وعلمًا واعتقاداً.**

4- **الوضوح والبيان وسلامتها من الاضطراب والتناقض واللبس**، فهي تخلو من التعارض والتناقض والغموض، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها؛ لأنها مستمدة من كلام الله المبين، ومن كلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وهي تقوم على قوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده، والتوكل عليه وحده، وقوة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدين، ومن القلق والشك والشبهات، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلل، فالمعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم، وشتان بين المشربين.

5- **أنها سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين**، فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا

يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة.

كما أخبرنا بذلك الرسول ﷺ بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك).

6- **أنها عقيدة الجماعة والاجتماع،** ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم ودنياهم.

7- **البقاء والثبات والاستقرار،** فعقيدتهم في أصول الدين ثابتة طيلة هذه القرون، وإلى أن تقوم الساعة، بمعنى أنها متفقة ومستقرة ومحفوظة، رواية ودراية، في ألفاظها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف، ولا التلفيق ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص.

8- **التوقيفية (الربانية)،** وتعني أن أهل السنة لا يقتبسون عقيدتهم إلا من مشكاة النبوة، قرآنًا وسنة، لا عقل ولا ذوق ولا كشف، ولا يجعلون شيئًا من ذلك معارضًا للوحي.

9- **الغيبية،** والغيبية كأحد خصائص العقيدة الإسلامية تعني قيام العقيدة على التسليم بوجود الغيب، كما تعني وجوب الإيمان بكل ما ورد في النصوص الشرعية من أمور الغيب، وعدم رد شيء منها أو تأويلها.

10- **العقلانية،** يقصد بالعقلانية موافقة عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل الصريح، واهتمامها به، وإعلاء منزلته ومكانته، وتوفير طاقته وتصريفها فيما يفيد، في نطاق حدود العقل.

11- **الشمولية، ويتضح شمول العقيدة في الأمور الثلاثة الآتية:**

الأول: شمول العبادة، فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

فالعبادة تشمل العبادات القلبية؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، وتشمل العبادات القولية كالذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن، وتشمل العبادات الفعلية كالصلاة والصوم، والحج، وتشمل العبادات المالية، كالزكاة، وصدقة التطوع.

وتشمل كذلك الشريعة كلها.

الثاني: أنها تشمل علاقة العبد بربه، وعلاقة الإنسان بغيره من البشر، وذلك في مباحث التوحيد بأنواعه الثلاثة، وفي مبحث الولاء والبراء، وغيرها.

الثالث: أنها تشمل حال الإنسان في الحياة الدنيا، وفي الحياة البرزخية "القبر"، وفي الحياة الأخروية.

13- **الوسطية، فهي وسط في باب العبادات**: بين الرافضة والصوفية.

ووسط في باب أسماء الله وصفاته: بين المعطلة والممثلة.

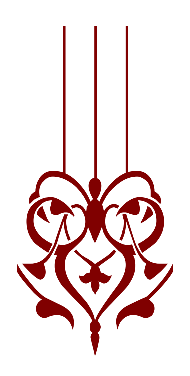
ووسط في باب القضاء والقدر: بين القدرية والخبرية.

ووسط في باب الوعد والوعيد: بين الوعيدية والمرجئة.

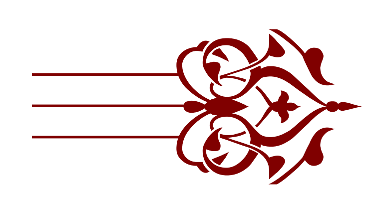
ووسط في باب أصحاب النبي ﷺ: بين الشيعة والخوارج[1].

---

(1) ينظر: تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: 16)، الموسوعة العقدية - الدرر السنية (1/ 42).



ثالثًا: متون وكتب في علم العقيدة:



متون عقدية:

1-الفقه الأكبر، لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه(ت: 150هـ).

2-العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ).

3-اعتقاد أهل السنة، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي(ت:371هـ).

وقد شرحتُ هذا المتن بشرح موسع عنوانه: "معالم المنة في شرح اعتقاد أهل السنة"، وهو مطبوع.

3- عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي عثمان إسماعيل الصابوني (ت: 449هـ).

4- الاعتقاد القادري، لأبي طَاهِرٍ أَحْمَدُ بنُ الحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بنِ خُدَادَادَ الكَرَجِيّ، البَاقِلاَّنِيُّ، البَغْدَادِيّ (المتوفى: 489هـ)، جمع الناس عليه: الخليفة القادر بالله (ت 422هـ).

5- لمعة الاعتقاد، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ).

6-العقيدة الواسطية، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728 هـ).

7- التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع)، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ).

8- العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: 1188هـ)، منظومة أبياتها: (210) أبيات.

9- كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ).

10-سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول، لحافظ بن أحمد حكمي(ت: 1377هـ)، منظومة: أبياتها(290) بيتًا.

11-الدرر النضيدة في نظم مسائل العقيدة، لعبد الله بن عبده العواضي. منظومة أبياتها(316) بيتًا.

كتب عامة في العقيدة ذات أهمية:

1- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: 311هـ).

2-الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: 324هـ).

3-الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيّ البغدادي (المتوفى: 360هـ).

4-الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت: 387هـ).

5-أصول السنة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: 399هـ).

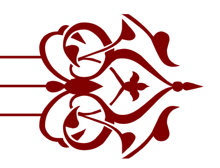
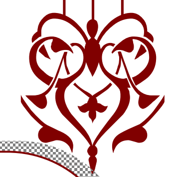
6-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت:418هـ).

7-الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، البيهقي (ت: 458هـ).

8-الفتوى الحموية الكبرى، لتقي الدين أبي العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ).

9-منهاج السنة النبوية، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ).

10-الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية(القصيدة النونية)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ).

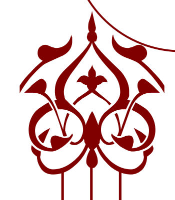



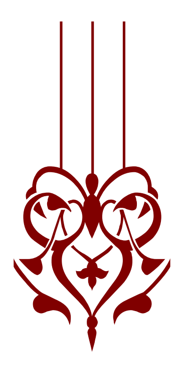
مقدمة في علم التفسير

سيكون الحديث عن علم التفسير في الآتي:

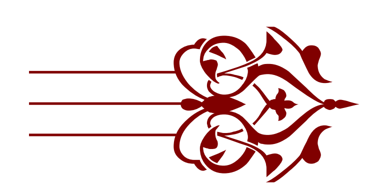
أولاً: المبادئ العشرة لهذا العلم.

ثانيًا: نشأة علم التفسير وتطوره والتأليف فيه.



أولاً: المبادئ العشرة:



١- حدُّه:

التفسير لغة:

فَسرَ: الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ، مِنْ ذَلِكَ: الْفَسْرُ، يُقَالُ: فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ. وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِرَةُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ.

والفَسْرُ: الْبَيَانُ، وفَسَر الشيءَ يفسِرُه، -بالكَسر- ويفْسُرُه- بالضَّمِّ- فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ؛ لأنه بيانٌ وتفصيلٌ للْكتاب، وفسر الشَّيْء: وضحه، وفسر آيات الْقُرْآن الْكَرِيم: شرحها، ووضح مَا تنطوي عَلَيْهِ من معَان وأسرار وَأَحْكَام، واسْتَفْسَرْته كَذَا أَي: سأَلته أَن يُفَسِّره لِي.

والفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطّى، والتَّفْسير: كَشف المُراد عَنِ اللَّفْظِ المُشْكل[1].

وقال الراغب الأصفهاني: "الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تفسيره، وتسمى بها قارورة الماء.

وجُعل السَّفْر لإبراز الأعيان للأبصار، فيقال: سفرت المرأة عن وجهها،

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة (4/ 504)، لسان العرب (5/ 55)، تهذيب اللغة (12/ 283)، العين (7/ 247)، المعجم الوسيط (2/ 688).

وأسفر الصبح، **وسفرت البيت**: إذا كنسته"[1].

اصطلاحًا:

عرف التفسيرَ اصطلاحًا عددٌ من أهل العلم نختار تعريفات ثلاثة منهم:

1-تعريف ابن جزي(ت:741هـ): قال:" ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه"[2].

2-تعريف الزركشي(ت: 749هـ): عرفه بتعريفين في برهانه:

الأول: "التَّفْسِيرُ: عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ"[3].

الثاني: "هُوَ عِلْمُ نُزُولِ الْآيَةِ وَسُورَتِهَا وَأَقَاصِيصِهَا، وَالْإِشَارَاتِ النَّازِلَةِ فِيهَا، ثُمَّ تَرْتِيبِ مَكِّيِّهَا وَمَدَنِيِّهَا وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِهَا، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، وَمُطْلَقِهَا وَمُقَيَّدِهَا، وَمُجْمَلِهَا وَمُفَسَّرِهَا. وَزَادَ فِيهَا قَوْمٌ فَقَالُوا: عِلْمُ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَوَعْدِهَا وَوَعِيدِهَا، وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا، وَعِبَرِهَا وَأَمْثَالِهَا"[4].

3-تعريف أبي حيان(ت: 745هـ)، وهو من أحسن التعريفات لهذا العلم وأشملها: **قال**: "التَّفْسِيرُ: عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ،

(1) تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 10).

(2) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 15).

(3) البرهان في علوم القرآن (1/ 13).

(4) البرهان في علوم القرآن (2/ 148).

وَمَدْلُولَاتِهَا، وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ، وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ".

ثم ذكر شرح تعريفه قائلاً: "فَقَوْلُنَا: (علمٌ) هُوَ جِنْسٌ يَشْمَلُ سَائِرَ الْعُلُومِ. وَقَوْلُنَا: (يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ) هَذَا هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ. وَقَوْلُنَا: (وَمَدْلُولَاتِهَا) أَيْ: مَدْلُولَاتِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ، وَهَذَا هُوَ عِلْمُ اللُّغَةِ الَّذِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْعِلْمِ. وَقَوْلُنَا: (وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ) هَذَا يَشْمَلُ عِلْمَ التَّصْرِيفِ، وَعِلْمَ الْإِعْرَابِ، وَعِلْمَ الْبَيَانِ، وَعِلْمَ الْبَدِيعِ، (وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ) شَمِلَ بِقَوْلِهِ: (الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا) مَا لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ بِالْحَقِيقَةِ، وَمَا دَلَالَتُهُ عَلَيْهِ بِالْمَجَازِ؛ فَإِنَّ التَّرْكِيبَ قَدْ يَقْتَضِي بِظَاهِرِهِ شَيْئًا، وَيَصُدُّ عَنِ الْحَمْلِ عَلَى الظَّاهِرِ صَادٌّ، فَيَحْتَاجُ لِأَجْلِ ذَلِكَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى غَيْرِ الظَّاهِرِ، وَهُوَ الْمَجَازُ. وَقَوْلُنَا: (وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ) هُوَ مَعْرِفَةُ النَّسْخِ، وَسَبَبِ النُّزُولِ، وَقِصَّةٍ تُوَضِّحُ بَعْضَ مَا انْبَهَمَ فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ"[1].

2- موضوعه:

موضوع علم التفسير هو: القرآن الكريم " الذي هو: منبع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة "[2]؛ لبيان ألفاظه ومعانيه ومقاصده.

قال ابن عاشور: "مَعْلُومٌ لَكَ أَنَّ مَوضوع عِلْمِ التَّفْسِيرِ هُوَ: الْقُرْآنُ لِتِبْيَانِ

---

(1) البحر المحيط في التفسير (1/ 26).

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/ 427).

مَعَانِيهِ، وَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ إِرْشَادٍ وَهُدًى وَآدَابٍ، وَإِصْلَاحِ حَالِ الْأُمَّةِ فِي جَمَاعَتِهَا وَفِي مُعَامَلَتِهَا مَعَ الْأُمَمِ الَّتِي تُخَالِطُهَا بِفَهْمِ دَلَالَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ وَالْبَلَاغِيَّةِ"[1].

3 -ثمرته :

لعلم تفسير القرآن الكريم ثمرات كثيرة، منها :

1 -**فهم مراد الله من الآيات على وجه الصحة**. فالقرآن الكريم قد أنزله الله وقت إنزاله على عرب فصحاء كانوا يعرفون ألفاظه ومعانيه، ويدركون مقاصده ومراميه، فأما من جاء بعدهم في عصور الانحطاط اللغوي للعربية فإنهم يحتاجون إلى معرفة تفسير الآيات؛ حتى يفهموا خطاب الله لهم.

"**قال إياس بن معاوية**: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب. ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب"[2].

و"**عن** سعيد بنُ جبير، قال: من قرأ القرآنَ ثم لم يُفسِّره، كان كالأعمى أو كالأعرابي"[3].

و"**عن** الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق

(1) التحرير والتنوير (1/ 70).

(2) تفسير ابن عطية (1/ 40).

(3) تفسير الطبري (1/ 81).

ويقيم بها قراءته؟ فقال: حسَن، فتعلمها؛ فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها، فيهلك فيها"[1].

وقال **حاجي خليفة** في حديثه عن علم التفسير: "والغرض منه: معرفة معاني النظم.

وفائدته: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية، على وجه الصحة.

وغايته: التوصل إلى فهم معاني القرآن، واستنباط حكمه، ليفاز به إلى السعادة الدنيوية، والأخروية"[2].

2- **الإعانة على حسن الاستدلال بآيات القرآن الكريم.** فإن من يعرف تفسير القرآن الكريم يعرف بأيّة آية يستدل استدلالاً صحيحًا في حكم أو أدب أو معتقد أو غير ذلك من الموضوعات، أما من يجهل هذا العلم أو لا يدري تفسير بعض الآيات فإنه قد يسيء الاستدلال لموضوعه بآيات لا تدل على ذلك الموضوع.

قال الكافيجي: "إن علم التفسير محتاج إليه؛ لأن الناس يحتاجون في الاطلاع على الشرائع والأحكام إلى معرفة معاني القرآن، التي لا يطلع عليها - على ما ينبغي - إلا بهذا العلم الشريف، على أن معانيه لا تكاد تنحصر إلا بقواعد، وهي: علم التفسير"[3].

---

(1) روح المعاني (1/ 6).

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/ 427).

(3) التيسير في قواعد علم التفسير (ص: 156).

وقال القنوجي: "وفائدته: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة، والاتعاظ بما فيه من القصص والعبر، والاتصاف بما تضمنه من مكارم الأخلاق، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا يمكن تعدادها؛ لأنه بحر لا تنقضي عجائبه، وسبحان من أنزله وأرشد به عباده"[1].

3-**الإعانة على تدبر القرآن الكريم.** فتدبر القرآن هو غاية من غايات إنزاله كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:29].

والآيات القرآنية هنا قسمان: الأول: ما يكون بيّن الدلالة؛ لوضوح ألفاظه ومعانيه.

والثاني: ما يحتاج في تدبره إلى معرفة تفسيره، وهذا كثير لاسيما لدى عامة المسلمين.

والتدبر لهذا القسم"لا يتأتى إلا بمعرفة تفسير الآية؛ لأن التدبر بدون فهم المعنى ممتنع، ومعرفة تفسيرها لا تمكن بغير معرفة سبب نزولها، **قال الواحدي**: (إنه يمتنع معرفة تفسير الآية وقصدِ سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) اهـ.

فإذا كان التدبر لكتاب الله- وهو مفتاح العلوم والمعارف- موقوفاً على التفسير، والتفسير موقوفاً على سبب النزول؛ فإننا ندرك بذلك المنزلة العالية، والمكانة السامية التي تحظى بها أسباب النزول"[2].

---

(1) أبجد العلوم (ص: 335).

(2) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (1/ 20).

على أن الناس ولو اشتركوا في عملية التدبر القائمة على معرفة التفسير فإنهم يتفاوتون بعد ذلك في نتائج التدبر بحسب تفاوتهم في علومهم وأحوال قلوبهم، قال الغزالي: "وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم، وصفاء قلوبهم، وتوفر دواعيهم على التدبر، وتجردهم للطلب، ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة أعلى منه، فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه، ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله لا نهاية لها، فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير، وظاهر التفسير لا يغني عنه"[1].

4- **حسن توظيف النصوص القرآنية في مواضعها في التعليم والدعوة والردود.** فالذي يعرف معاني الآيات يكون أمامه روض نضير مليء بالأدلة القرآنية التي يؤيد بها كلامه في تعليمه أو دعوته للناس، أو رده على بعض الأخطاء الفكرية أو العملية، أو يقوي بها استدلاله لمسألة ما.

وقد نلحظ أحيانًا تباين الناس في ذلك؛ فنرى العارف بالتفسير -خطيبًا كان أو محاضراً، أو كاتبًا- قد يستدل بآية أو جملة منها في موضوع كنا نجهل أن تكون تلك الآية دليلاً عليه، أما الذي ليس كذلك فيكتفي في استدلاله بالآيات الواضحة.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: "مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى بَلَغَنِي أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَسْمَعُ بِي أَيُّ أَحَدٍ

(1) إحياء علوم الدين (1/ 293).

مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ) قَالَ سَعِيدٌ: فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾[هود: 17] قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ كُلِّهَا"[1].

5-**معرفة دين الإسلام: عقائد وأحكامًا وآدابا.** لأن القرآن والسنة هما المصدر لذلك، والناس بحاجة إلى فهم القرآن، ولا طريق إلى ذلك إلا تفسيره.

قال الزرقاني: "فائدة التفسير هي: التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق؛ ليفوز الأفراد والمجاميع بخير العاجلة والآجلة"[2].

6**الإعانة على تثبيت حفظ الآيات.** فإن الحافظ للقرآن الذي يعرف شيئًا من التفسير يعينه ذلك على ثبات ما يحفظ تفسيره، بخلاف الذي لا يعرف ذلك.

4-فضله:

إن علم التفسير له فضل عظيم على سائر العلوم؛ لشرف معلومه وموضوعه وغايته. **فهو:** أشرف العلوم الإسلامية وأعظمها، ورأسها على التحقيق[3].

وقد بين أهل العلم-ولاسيما أهل التفسير- هذا الفضل وأسبابه:

قال الطبري:" اعلموا -عبادَ الله، رحمكم الله- أن أحقَّ ما صُرِفت إلى علمه

(1) تفسير ابن أبي حاتم(6/ 2015).

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن (2/ 9).

(3) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/ 437)، التحرير والتنوير (1/ 14).

العناية، وبُلِغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضًى، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمعَ ذلك لباغيه كتابُ الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مِرْية فيه، الفائزُ بجزيل الذخر وسنيّ الأجر تاليه، الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:42]"[1].

وقال الواحدي: "وَإِنَّ أُمَّ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَجْمَعَ الأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ، كِتَابُ اللهِ الْمُودَعُ نُصُوصَ الأَحْكَامِ وَبَيَانَ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَالْمَوَاعِظَ النَّافِعَةَ، وَالْعِبَرَ الشَّافِيَةَ، وَالْحُجَجَ الْبَالِغَةَ، وَالْعِلْمُ بِهِ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَعَزُّهَا، وَأَجَلُّهَا وَأَمَزُّهَا؛ لأَنَّ شَرَفَ الْعُلُومِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ. وَلَمَّا كَانَ كَلامُ اللهِ تَعَالَى أَشْرَفَ الْمَعْلُومَاتِ، كَانَ الْعِلْمُ بِتَفْسِيرِهِ وَأَسْبَابِ تَنْزِيلِهِ وَمَعَانِيهِ وَتَأْوِيلِهِ، أَشْرَفَ الْعُلُومِ"[2].

وقال الراغب الأصفهاني: "أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان: تفسير القرآن وتأويله؛ وذلك أن الصناعات الحقيقية إنما تشرف بأحد ثلاثة أشياء: إما بشرف موضوعاتها، وهي المعمول فيها، نحو أن يقال: الصياغة أشرف من الدباغة؛ لأن موضوعها – وهو الذهب والفضة – أشرف من جلد الميتة – الذي هو موضوع الدباغة، وإما بشرف صورها: نحو أن يقال: طبع السيوف أشرف من طبع القيود. وإما بشرف أغراضها وكمالها؛ كصناعة الطب – التي غرضها إفادة الصحة – فإنها أشرف من الكناسة – التي غرضها تنظيف المستراح، فإذا ثبت ذلك، فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث، وهو أن موضوع المفسر كلام

(1) تفسير الطبري (1/ 6).

(2) التفسير الوسيط للواحدي (1/ 47).

الله تعالى: الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة.

وصورة فعله: إظهار خفيات ما أودعه مُنْزِلُهُ من أسراره ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:29]، **وغرضه**: التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقة التي لا فناء لها؛ ولهذا عظمَ الله محله بقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:269] قيل: هو تفسير القرآن "[1].

وقال ابن عطية: "فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظُلَم رمسي[2]، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمتُ أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا؛ علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:42]، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض. هو العلم الذي جعل للشرع قواما، واستعمل سائر المعارف خدّاما، منه تأخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصع، وما خالفه رفض ودفع، فهو عنصرها النمير، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير. وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبًا إلى الله تعالى، وتخليصًا للنيات، ونهيًا عن الباطل، وحضًا على الصالحات؛ إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا، ويمشي في التلطف لها رويدا"[3].

---

(1) تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 36).

(2) **رمسي**: قبري.

(3) تفسير ابن عطية (1/ 3334).

وقال ابن الجوزي: "لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم"[1].

وقال البيضاوي: "فإن أعظم العلوم مقدارا، وأرفعها شرفًا ومنارا، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها: أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها"[2].

وقال أبو حيان: "وبعد، فإن المعارف جمة، وهي كلها مهمة، وأهمها ما به الحياة الأبدية، والسعادة السرمدية، وذلك علم كتاب الله، هو المقصود بالذات، وغيره من العلوم له كالأدوات، هو العروة الوثقى، والوزر الأقوى الأوقى، والحبل المتين، والصراط المبين"[3].

وقال الكافييجي: "إن علم التفسير أشرف العلوم؛ لأن موضوعه أساس علوم الإسلام، ومدار الأحكام، وحبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، ولأن غايته هي الاعتصام بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية، التي لا تفنى، وهما أشرف الغايات وأجداها نفعا"[4].

وقال الشوكاني: "وبعد: فإن أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالتفضيل

---

(1) زاد المسير في علم التفسير (1/ 11).

(2) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (1/ 23).

(3) البحر المحيط (1/ 9-10).

(4) التيسير في قواعد علم التفسير (158).

على الاستحقاق، وأرفعها قدرًا بالاتفاق، هو علم التفسير لكلام القويّ القدير، إذا كان على الوجه المعتبر في الورود والصدر، غير مشوب بشيء من التفسير بالرأي الذي هو من أعظم الخطر، وهذه الأشرفية لهذا العلم غنية عن البرهان، قريبة إلى الأفهام والأذهان، يعرفها من يعرف الفرق بين كلام الخلق والحق، ويدري بها من يميز بين كلام البشر، وكلام خالق القوى والقدر"[1].

وقال الآلوسي: "وأما بيان شرفه، فلأن شرف العلم بشرف موضوعه، وشرف معلومه، وغايته وشدة الاحتياج إليه، وهو حائز لجميعه؛ فإن موضوعه كلام الله تعالى، وماذا عسى أن يقال فيه ومعلومه مع أنه مراد الله تعالى الدال عليه كلامه، جامع للعقائد الحقة، والأحكام الشرعية وغيرها، وغايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى سعادة الدارين، وشدة الاحتياج إليه ظاهرة مما تقدم، بل هو رئيس جميع العلوم الدينية؛ لكونها مأخوذة من الكتاب وهي تحتاج من حيث الثبوت أو من حيث الاعتداد إلى علم التفسير"[2].

5- نسبته:

علم التفسير من العلوم الشرعية، بل هو أساسها، كما قال النيسابوري: "علم التفسير من العلوم بمنزلة الإنسان من العين، والعين من الإنسان"[3].

---

(1) فتح القدير للشوكاني (1/ 13).

(2) تفسير الألوسي (1/ 6).

(3) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (1/ 5).

وبينه وبين سائر العلوم التباين؛ لتميزه بخصائص ينفرد بها عن غيره من الفنون.

قال ابن عاشور: "ويظهر أن هذا العلم إن أخذ من حيث إنه بيان وتفسير لمراد الله من كلامه كان معدوداً من أصول العلوم الشرعية، وهي التي ذكرها الغزالي في الضرب الأول من العلوم الشرعية المحمودة من كتاب "الإحياء"؛ لأنه عد أولها الكتاب والسنة، ولا شك أنه لا يعني بعلم الكتاب حفظ ألفاظه، بل فهم معانيها، وبذلك صح أن يعد رأس العلوم الإسلامية كما وصفه البيضاوي بذلك، وإن أخذ من حيث ما فيه من بيان مكي ومدني، وناسخ ومنسوخ، ومن قواعد الاستنباط التي تذكر أيضًا في علم أصول الفقه من عموم وخصوص وغير هما كان معدودًا في متممات العلوم الشرعية المذكورة في الضرب الرابع من كلام الغزالي، وبذلك الاعتبار عد فيها؛ إذ قال: "الضرب الرابع: المتممات. وذلك في علم القرآن ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ؛ كعلم القراءات، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير؛ فإن اعتماده أيضًا على النقل، وإلى ما يتعلق بأحكامه كالناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه، وهو بهذا الاعتبار لا يكون رئيس العلوم الشرعية"[(1)].

6-واضعه:

واضع هذا العلم-بمعنى: أول من تكلم به- هو نبينا محمد ﷺ؛ فقد وردت عنه

(1) التحرير والتنوير (1/ 13-14).

أحاديث عدة فيها تفسير لبعض الآيات القرآنية، ومن ذلك: حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: 82] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: (**لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ: ﴿لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[لقمان:13])[1].

وحديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: (**﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾**[الأنفال: 60]، **أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**)[2].

ومن بعد النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ جاء الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ففسر علماؤهم – كابن عباس وعلي وعائشة –آيات كثيرة من القرآن.

ثم جاء تلاميذهم من التابعين؛ كتلاميذ ابن عباس، وتلاميذ ابن مسعود، كما سيأتي بيانهم.

وأما الوضع بمعنى التدوين فسيأتي –إن شاء الله– في نشأة التفسير وتطوره والتأليف فيه.

7-اسمه:

علم تفسير القرآن، وعلم تأويل القرآن.

---

(1) رواه البخاري(3360)، ومسلم(124).

(2) رواه مسلم(1917).

قال الزرقاني: "وسمي علم التفسير؛ لما فيه من الكشف والتبيين، واختص بهذا الاسم دون بقية العلوم -مع أنها كلها مشتملة على الكشف والتبيين- لأنه لجلالة قدره، واحتياجه إلى زيادة الاستعداد، وقصده إلى تبيين مراد الله من كلامه؛ كان كأنه هو التفسير وحده دون ما عداه"[1].

8-استمداده:

علم التفسير له مصادره التي يستمد منها وهي الآتي:

1-القرآن الكريم.

فهناك آيات فسرتها آيات أخرى، وقد اعتنى المفسرون بهذا النوع من التفسير في تفاسيرهم، ومن أحسنها: تفسير ابن كثير، وتفسير الشنقيطي: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن".

2-سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فقد فسر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عدداً من الآيات القرآنية، ولم يفسر القرآن كله؛ لقلة الدواعي لذلك، ومن ذلك -سوى ما تقدم-: أن النبي ﷺ فسر المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى فقال: **(فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ النَّصَارَى ضُلَّالٌ)**[2].

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن (2/ 10).

(2) رواه الترمذي(2953) **وقال:** "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب"، والبيهقي في شعب الإيمان(2147)، وأبو داود الطيالسي(1135)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1363).

قال الزركشي: "القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر من **سؤالهم النبي** ﷺ في الأكثر؛ كسؤالهم لما نزل: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: 82] فقالوا: أينا لم يظلم نفسه ففسره النبي ﷺ بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:13] **وكسؤال عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن الحساب اليسير فقال: (**ذلك العرض، ومن نوقش الحساب عذب**) **وكقصة عدي بن حاتم** في الخيط الذي وضعه تحت رأسه، وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه. ولم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن وتأويله بجملته، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجًا إلى التفسير"[1].

3 -**أقوال الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة فنبحث عنه في أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فإنهم أعلم الأمة بعد نبيها بالقرآن؛ لكونه نزل بلغتهم، وعاصروا التنزيل، وشهدوا مواقف الرسول وسمعوه، وعرفوا أحوال النزول، مع ما آتاهم الله تعالى من كمال العلم وقوة الفهم.

فمن أولئك الصحابة: ابن عباس وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

فقد دعا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: (**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي**

---

(1) البرهان في علوم القرآن (1/ 14).

الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)[1].

وفي رواية: (اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ)[2].

وعن أبي وائل قال: "شهدت الموسم مع ابن عباس فخطبنا أو فخطب، فقرأ سورة البقرة ففسرها. ووالله إني لأظن أن لو أن الترك شهدته ففقهوا ما قال لأسلموا"[3].

وعند الطبري عن شقيق، قال: "استعمل عليٌّ ابنَ عباسٍ على الحج، قال: فخطب الناسَ خطبة لو سمعها الترك والرُّوم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سُورة النور، فجعل يفسرها"[4].

وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ إلا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَا نَزَلَتْ. وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تَبْلُغُهُ الإِبِلُ أَوِ الْمَطَايَا لأَتَيْتُهُ"[5].

---

(1) رواه أحمد(2397)، والطبراني(542)، والحاكم(6280) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، **وقال البوصيري:** "قلت: هو في الصحيح غير قوله: "وعلمه التأويل". رواه أحمد، والطبراني بأسانيد، وله عند البزار، والطبراني: " اللهم علمه تأويل القرآن " ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ 276).

(2) رواه الطبراني في الكبير(12022)، والحاكم(6288) وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "وقال الذهبي: " شبيب بن بشر فيه لين".

(3) الطبقات الكبرى (1/ 156).

(4) تفسير الطبري (1/ 81).

(5) الطبقات الكبرى (2/ 260).

4 -أقوال التابعين.

لاسيما كبارهم الذين تتلمذوا على كبار مفسري الصحابة؛ كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة ومسروق وغيرهم.

قال ابن تيمية: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب:

إن أصح الطرق في ذلك: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[النساء: 105]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: 44]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64]؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**) يعني: السنة.

والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، لا أنها تتلى كما يتلى، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال

رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: (**بم تحكم؟**) قال: بكتاب الله. قال: (**فإن لم تجد؟**) قال: بسنة رسول الله. قال: (**فإن لم تجد؟**) قال: أجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: (**الحمد لله الذي وفق رسولَ رَسُولِ الله لما يرضى رسولَ الله**)، وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد. وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبد الله بن مسعود.. ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: (**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**)...إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر؛ فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح، عن مجاهد قال: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. وكسعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المُسَيَّب، وأبى العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مُزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم.."[1].

---

(1) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: 39-45).

5- لغة العرب.

لأن القرآن نزل بهذه اللغة، قال تعالى: ﴿ قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الزمر:28]، ففي القرآن ألفاظ وجمل وأساليب ومقاصد لا تدرك إلا باللغة العربية، فمن كان ذا علم واسع بهذه اللغة فيحل له القول في التفسير بعد معرفة المصادر الأربعة السابقة، وإلا فلا يتجاسر .

قال الزركشي -بعد أن عرف علم التفسير-: "وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ: عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ"(1).

ولهذا شدد السلف والعلماء من بعدهم في النكير على من أقدم على تفسير القرآن وهو ليس ذا تمكن ورسوخ في اللغة العربية.

"**قَالَ يَحْيَى بْنُ نَضْلَةَ الْمَدِينِيُّ**: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: لَا أُوتَى بِرَجُلٍ يُفَسِّرُ كِتَابَ اللهِ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَةِ الْعَرَبِ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ.

وَرَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِذَا سَأَلْتُمُونِي عَنْ غَرِيبِ اللُّغَةِ فَالْتَمِسُوهُ فِي الشِّعْرِ؛ فَإِنَّ الشِّعْرَ دِيوَانُ الْعَرَبِ"(2).

---

(1) البرهان في علوم القرآن (1/ 13).

(2) البرهان في علوم القرآن (1/ 292).

وقال الشاطبي: "كَلُّ مَعْنًى مُسْتَنْبَطٍ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرِ جَارٍ عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ؛ فَلَيْسَ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ فِي شَيْءٍ، لَا مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْهُ، وَلَا مِمَا يُسْتَفَادُ بِهِ، وَمَنِ ادَّعَى فِيهِ ذَلِكَ فَهُوَ فِي دَعْوَاهُ مُبْطِلٌ"[1].

ومن علوم العربية المهمة لتفسير القرآن: علما المعاني والبيان، وعن أهميتهما في التفسير يقول الزمخشري في مقدمة كشافه: "إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح[2]، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها؛ علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزَّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرّية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوّة لحييه؛ لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق؛ إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله"[3].

---

(1) الموافقات (4/ 224).

(2) **القوارح**: جمع القارحة. **والقارح**: هو الكامل السن من الخيل إذا بلغ خمس سنين. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (1/ 655).

(3) الكشاف (المقدمة/ 2-3).

ويقول السكاكي: "وأما علم البيان فهو: معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه، وفيما ذكرنا ما ينبه على الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر على هذين العلمين كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل"(1).

ويقول أيضًا: "ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، ولا تظنن الآية مقصورة على ما ذكرت، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت؛ لأن المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان، وأن لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه، ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه، هو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه، ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه، ولكم آية من آيات القرآن تراها قد ضيمت حقها، واستُلبت ماءها ورونقها إن وقعت على من ليسوا من أهل هذا العلم، فأخذوا بها في مآخذ مردودة، وحملوها على محامل غير مقصودة"(2).

ويقول ابن عاشور: "ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من

(1) مفتاح العلوم (ص: 162).

(2) مفتاح العلوم (ص: 421).

تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز؛ ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم: علم دلائل الإعجاز"[1].

وقال أبو حيان عن أهمية علوم اللسان عمومًا للمفسر: "لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجملة غالبها من كل وجه منها، ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقيًا منه إلى رتبة الإحسان، قد جبل طبعه على إنشاء النثر والنظم دون اكتساب، وإبداء ما اخترعته فكرته السليمة في أبدع صورة وأجمل جلباب، واستفرغ في ذلك زمانه النفيس، وهجر الأهل والولد والأنيس، ذلك الذي له في رياضه أصفى مرتع، وفي حياضه أصفى مكرع، يتنسم عَرْف أزاهر طال ما حجبتها الكَمام، ويترشف كؤوس رحيق له المسك ختام، ويستوضح أنوار بدور سترتها كثائف الغمام، ويستفتح أبواب مواهب الملك العلام، يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد، وينفتح له ما استغلق إذ بيده الإقليد.

وأما من اقتصر على غير هذا من العلوم، أو قصر في إنشاء المنثور والمنظوم، فإنه بمعزل عن فهم غوامض الكتاب، وعن إدراك لطائف ما تضمنه من العجب العجاب، وحظه من علم التفسير إنما هو نقل أسطار، وتكرار محفوظ على مر الأعصار"[2].

---

(1) التحرير والتنوير (1/ 19).

(2) البحر المحيط (1/ 17).

9- حكم الشارع في تعلمه:

"أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ التَّفْسِيرَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ"[1]. فإذا قام به من المسلمين من يسقط به الوجوب سلم بقيتهم من الإثم.

قال ابن كثير في مقدمة تفسيره في الحث على تفهم القرآن وتعلمه والمراد معرفة تفسيره وبيانه:" فهو -صلوات الله وسلامه عليه-رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، مبلغًا لهم عن الله ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:42].

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم إلى تفهمه، فقال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[النساء:82]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص:29]، وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24].

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران:187]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران:77].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن (4/ 199).

فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا -أيها المسلمون-أن نتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:16-17]. ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب بالإيمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي"[1].

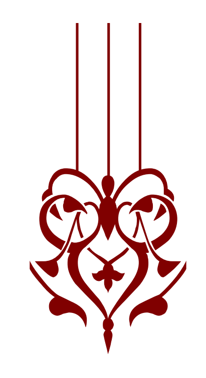
10-مسائله:

وهي مباحثه التي يتناولها في تفسير الآيات، وهي: بيان الغريب، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ومعنى الآية، والقراءات القرآنية فيها، والوجوه البلاغية، وما يستفاد من الآية في الجانبين: العلمي والعملي، وغير ذلك من المباحث التي يحتاج إليها تفسير الجملة القرآنية.

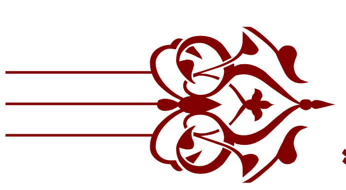
مع العلم بأن مناهج المفسرين تختلف في تفسير القرآن باختلاف اهتمام كل مفسر؛ فبعضهم أكثر اهتمامه التفسير بالمأثور، وبعضهم أكثر عنايته الأحكام والفقه، وبعضهم أكبر همه علوم العربية إما النحو والصرف، وإما علوم البلاغة،وغير ذلك.

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 6).



ثانيًا: نشأة علم التفسير وتطوره والتأليف فيه:



كان التفسير أول ما اشتغل به علماء الإسلام قبل الاشتغال بتدوين بقية العلوم، وفيه كثرت مناظراتهم، وكان يحصل من مزاولته والدربة فيه لصاحبه ملكة يدرك بها أساليب القرآن ودقائق نظمه، فكان بذلك مفيدًا علومًا كلية لها مزيد اختصاص بالقرآن المجيد، فمن أجل ذلك سمي علماً.

وكان هذا العلم أول العلوم الإسلامية ظهورًا؛ إذ قد ظهر الخوض فيه في عصر النبي ﷺ، إذ كان بعض أصحابه قد سأل عن بعض معاني القرآن[1]. كما تقدم.

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم: علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جدًا، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم.

وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير: كأنس وأبي هريرة وابن عمر، وجابر وأبي موسى الأشعري.

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير (1/ 13-14).

وأما التابعون فقد قال ابن تيمية: أعلم الناس بالتفسير: أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس؛ كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم، وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل: زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس انتهى.

فمن المبرزين منهم: مجاهد، قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهدًا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. وعنه أيضًا قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيم نزلت؟ وكيف كانت؟

وقال خصيف: كان أعلمَهم بالتفسير مجاهد. وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

قال ابن تيمية: ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم.

وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: **كان** عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، **وكان** سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، **وكان** عكرمة أعلمهم بالسير، **وكان** الحسن أعلمهم بالحلال والحرام.

ومنهم عكرمة مولى ابن عباس قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وقال سماك بن حرب: سمعت عكرمة يقول: لقد فسرت ما بين اللوحين.

وقال عكرمة: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن.

ومنهم الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وعطاء بن أبي سلمة.

فهؤلاء قدماء المفسرين، وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة.

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين؛ كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون وعبد الرزاق، وآدم بن أبي إياس وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة وعبد بن حميد، وسعيد، وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين، وبعدهم ابن جرير الطبري، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها.

ثم ابن أبي حاتم وابن ماجه والحاكم وابن مردويه، وأبو الشيخ بن حبان وابن المنذر في آخرين. وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير؛ فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك.

ثم ألف في التفسير خلائق؛ فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بترًا، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده، ظانًا أن له أصلاً، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير.

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه؛ فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب، وتكثير الأوجه

المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته؛ كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر، والإخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها والإخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة؛ كالثعلبي، والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين؛ كالقرطبي، وصاحب العلوم العقلية- خصوصًا الإمام فخر الدين- قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها وخرج من شيء إلى شيء، حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية، قال أبو حيان في البحر: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير؛ ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير.

والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث إنه متى لاحت له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعًا له فيه أدنى مجال سارع إليه[1].

وقد نظر الدكتور محمد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) إلى كلام السيوطي السابق ولخصه في خطوات مرتبة مع بعض الإضافات عليه، **فكان مما قال:**

الخطوة الأولى للتفسير: كان التفسير يُتناقل بطريق الرواية؛ فالصحابة يروون

---

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (4/ 233-243).

عن رسول الله ﷺ، كما يروي بعضهم عن بعض. والتابعون يروون عن الصحابة. كما يروى بعضهم عن بعض، وهذه هي الخطوة الأولى للتفسير.

ثم بعد عصر الصحابة والتابعين خطا التفسير **خطوة ثانية**، وذلك حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله ﷺ، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يُفرد له تأليف خاص يُفسِّر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه، بل وُجد من العلماء مَن طوَّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما رُوِي في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي ﷺ، أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين، ومن هؤلاء: يزيد بن هارون السلمي المتوفى سنة 117هـ، وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة 160هـ، ووكيع بن الجراح المتوفى سنة 197هـ، وغيرهم.

وهؤلاء جميعاً كانوا من أئمة الحديث، فكان جمعهم للتفسير جمعاً لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعاً للتفسير على استقلال وانفراد. وجميع ما نقله هؤلاء الأعلام عن أسلافهم من أئمة التفسير نقلوه مسنداً إليهم، غير أن هذه التفاسير لم يصل إلينا شيء منها؛ ولذا لا نستطيع أن نحكم عليها.

الخطوة الثالثة: ثم بعد هذه الخطوة الثانية خطا التفسير خطوة ثالثة، انفصل بها عن الحديث، فأصبح علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورُتِّب ذلك على حسب ترتب المصحف. وتم ذلك على أيدى طائفة من العلماء منهم: ابن ماجه المتوفى سنة 273هـ، وابن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ، وأبو

بكر بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة 318هـ، وابن أبي حاتم المتوفى سنة 327هـ، وأبو الشيخ بن حبان المتوفى سنة 369هـ، والحاكم المتوفى سنة 405هـ، وأبو بكر بن مردويه المتوفى سنة 410هـ، وغيرهم من أئمة هذا الشأن.

وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ، وإلى الصحابة، والتابعين، وتابع التابعين، وليس فيها شيء من التفسير أكثر من التفسير المأثور، اللَّهم إلا ابن جرير الطبري؛ فإنه ذكر الأقوال ثم وجهَّها، ورجَّح بعضها على بعض، وزاد على ذلك الإعراب إن دعت إليه حاجة، واستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآيات القرآنية.

وإذا كان التفسير قد خطا هذه الخطوة الثالثة التي انفصل بها عن الحديث، فليس معنى أن هذه الخطوة محت ما قبلها وألغت العمل به، بل معناه أن التفسير تدرج في خطواته، فبعد أن كانت الخطوة الأولى للتفسير هي النقل عن طريق التلقي والرواية، كانت الخطوة الثانية له، وهى تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة، وهى تدوينه على استقلال وانفراد، فكل هذه الخطوات، تم إسلام بعضها إلى بعض، بل وظل المحدِّثون بعد هذه الخطوة الثالثة، يسيرون على نمط الخطوة الثانية، من رواية المنقول من التفسير في باب خاص من أبواب الحديث، مقتصرين في ذلك على ما ورد عن رسول الله ﷺ، أو عن الصحابة أو عن التابعين.

هذا.. ولا نستطيع أن نُعيِّن بالضبط المفسِّر الأول الذي فسرَّ القرآن آية آية، ودوَّنه على التتابع وحسب ترتيب المصحف.

ونجد في الفهرست لابن النديم (ص 99) أن أبا العباس ثعلبًا قال: "كان السبب في إملاء كتاب الفرَّاء في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه، وكان منقطعًا إلى الحسن بن سهل فكتب إلى الفرَّاء: إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت. فقال الفرَّاء لأصحابه: اجتمعوا حتى أُملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يُؤذِّن ويقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفرَّاء فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسِّرها، ثم نوفي الكتاب كله، فقرأ الرجل ويفسِّر الفراء، قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله مثله، ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه".

فهل نستطيع أن نستخلص من ذلك: أن الفرَّاء المتوفى سنة 207 هـ، هو أول مَن دَوَّن تفسيراً جامعاً لكل آيات القرآن مرتَّباً على وفق ترتيب المصحف؟ وهل نستطيع أن نقول: إن كل مَن تقدَّم الفرَّاء من المفسِّرين كانوا يقتصرون على تفسير المشكل فقط؟.. لا.. لا نستطيع أن نفهم هذا من عبارة ابن النديم؛ لأنها غير قاطعة في هذا.

الخطوة الرابعة: ثم إن التفسير لم يقف عند هذه الخطوة الثالثة، بل خطا بعدها خطوة رابعة، لم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور، وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فصنَّف في التفسير خلق كثير، اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسِّرين من أسلافهم دون أن ينسبوها لقائليها، فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر في هذه الكتب يظن أن كل ما فيها

صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، ونقلوا ما جاء في هذه الكتب من إسرائيليات على أنها حقائق ثابتة، وكان ذلك هو مبدأ ظهور خطر الوضع والإسرائيليات في التفسير

الخطوة الخامسة: ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة خامسة، هي أوسع الخطى وأفسحها، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نُقِل عن سَلَف هذه الأمة، تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ في ذلك.

بدأ ذلك أولاً على هيئة محاولات فهم شخص، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، وكان هذا أمراً مقبولاً ما دام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية. ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد وتتضخم، متأثرة بالمعارف المختلفة، والعلوم المتنوعة، والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، حتى وُجِد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة، لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بُعْدٍ عظيم[1].

وأما ابن خلدون فقد أرخ لعلم التفسير وذكر نوعي التفسير: ما كان بالمأثور، وما كان بالرأي، وانتقد دخول الإسرائيليات في التفسير، وذكر بعض المؤلفات في هذا العلم، مع بيان مالها وما عليها، حيث قال: "وأما التفسير: فاعلم أن القرآن نزل

---

(1) التفسير والمفسرون (1/ 104-108).

بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه. و كان ينزل جملاً جملاً و آيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع. و منها ما هو في العقائد الإيمانية، و منها ما هو في أحكام الجوارح، و منها ما يتقدم و منها ما يتأخر و يكون ناسخًا له. و كان النبي صلى الله عليه و سلم هو المبين لذلك كما قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:44]. فكان النبي ﷺ يبين المجمل، ويميز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه أصحابه فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه. كما علم من قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾[النصر:1] أنها نعي النبي صلى الله عليه و سلم، وأمثال ذلك، ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. و تداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم. ولم يزل متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علومًا، ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين، وانتهى ذلك إلى الطبري والواقدي والثعلبي وأمثال ذلك من المفسرين، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار.

ثم صارت علوم اللسان صناعة من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب، فتنوسي ذلك وصارت تتلقى من كتب أهل اللسان، فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن؛ لأنه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم. وصار التفسير على صنفين: تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي

معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول ومقاصد الآي. و كل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين. وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا، إلا أن كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية. فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل: أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك.

وهؤلاء مثل: كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك و ملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات. و أصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ.

فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص وجاء أبو محمد ابن عطية من

المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى. وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج و احد في كتاب آخر مشهور بالمشرق.

والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب. وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول؛ إذ الأول هو المقصود بالذات. و إنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة. نعم، قد يكون في بعض التفاسير غالبًا، ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير: كتاب الكشاف للزمخشري، من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحِجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة. فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه واقفًا مع ذلك على المذاهب السنية محسنًا للحجاج عنها فلا جرم إنه مأمون من غوائله، فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان"[1].

أما ابن تيمية فقد عقد مقارنة بين تفسيري ابن عطية والزمخشري، وبين فضل تفسير الطبري، وخطأ العدول عن تفاسير الصحابة إلى غيرها، لاسيما إن كان ذلك لهوى أو بدعة، فيقول في مقدمته: "وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في

(1) مقدمة ابن خلدون (2/ 93-95).

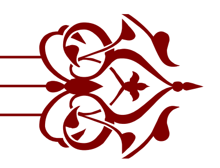
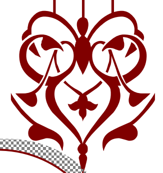
التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل؛ فإنه كثيرًا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرًا، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه، ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب.

فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا.

وفي الجملة من عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا، وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه. فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته، وطرق الصواب. ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا. ومعلوم أن كل من خالف قولهم له شبهة يذكرها إما عقلية وإما سمعية، كما هو مبسوط في موضعه"[1].

---

(1) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: 37-38).

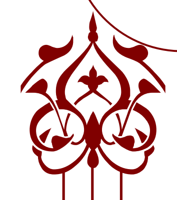
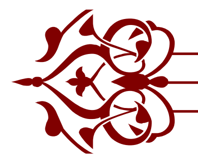



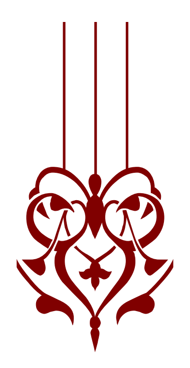
مقدمة في علم الفقه

سنتحدث عن هذا العلم في الآتي:

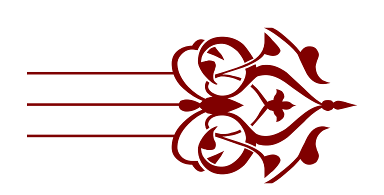
أولاً: المبادئ العشرة لعلم الفقه.

ثانيًا: المتون الفقهية في المذاهب الأربعة وشروحها وحواشيها.



أولاً: المبادئ العشرة لعلم الفقه:



١- حده:

لغة: الْفِقْهُ: فَهْمُ الشَّيْءِ. وَكُلُّ عِلْمٍ بِشَيْءٍ فَهُوَ فِقْهٌ. واشْتِقاقه مِنَ الشَّقّ وَالْفَتْح. **يُقَالُ:** فَقِهَ الرجلُ بِالْكَسْرِ- يَفْقَهُ فِقْهاً إِذَا فَهِم وعَلِم، **وفَقُهَ بِالضَّمِّ يَفْقُهُ:** إِذَا صَارَ فَقِيهاً عَالِمًا. **ويُقَال مِنْهُ:** فقه -بِالْكَسْرِ- يفقه فقهًا بِفَتْح الْقَاف، **وَقَالُوا:** فقْهًا أَيْضا بسكونها. **ويقال:** فقُه- بالضم- إذا صار الفقه له سجية، **وفقَه**- بالفتح- إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقِه -بالكسر- إذا فهم.

والفِقْهُ: العِلْمُ فِي الدّين، يُقَالُ: أُوتِيَ فلانٌ فِقْهاً فِي الدِّينِ: أَيْ: فَهْماً فيهِ. ويُقَال: فَقِهَ الرجل يَفْقَهُ فَهُوَ فَقِيهٌ، وأفْقَهْتُه أَنَا أَي: بيَّنْتُ لَهُ تعلُّمَ الْفِقْه. وفَقِه فُلانٌ عَني مَا بيَّنْتُ لَهُ، يَفْقَهُ فِقْهاً: إذا فَهِمَه، **ويقال:** رَجُلٌ فَقِهٌ بِضَمِّ الْقَافِ وَكَسْرِهَا، وَامْرَأَةٌ فَقُهَةٌ بِالضَّمِّ[1].

اصطلاحًا: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية[2].

شرح التعريف:

١- قوله: "العلم": العلم جنس، والمراد به الصناعة، كما تقول: علم النحو

---

(١) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٢٤٣)، تاج العروس (٣٦/ ٤٥٦)، تهذيب اللغة (٥/ ٢٦٣)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ١٦٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٦٥)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٧٩)، مقاييس اللغة (٤/ ٤٤٢)، البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٣٥٤).

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ٢٨).

أي: صناعته، وحينئذ فيندرج فيه الظن واليقين؛ لأن إدراك الأحكام الفقهية قد يكون يقينيًّا، وقد يكون ظنيًّا، كما في كثير من مسائل الفقه.

2- **قوله:** "بالأحكام": خرج بالأحكام: العلم بالذوات، والصفات، والأفعال.

3- **قوله:** "بالأحكام الشرعية" أي: الأحكام المتلقاة من الشرع؛ كالوجوب والتحريم، فخرج به الأحكام العقلية؛ كمعرفة أن الكل أكبر من الجزء، والأحكام العادية؛ كمعرفة نزول الطل في الليلة الشاتية إذا كان الجو صحواً.

4- **قوله:** "العملية": كالصلاة والزكاة، فخرج به ما يتعلق بالاعتقاد؛ كتوحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته، فلا يسمّى ذلك فقهاً في الاصطلاح، و يخرج به كذلك العلم بالأحكام الشرعية النظرية كالعلم بأن الإجماع حجة.

5- **قوله:** "المكتسب": يخرج به علم الله تعالى، وما يلقيه في قلوب الأنبياء والملائكة من الأحكام بلا اكتساب.

6- **قوله:** "من أدلتها التفصيلية": أي: العلم الحاصل للشخص الموصوف به من أدلتها المخصوصة بها وهي الأدلة الأربعة، وهذا القيد يخرج التقليد؛ لأن المقلد وإن كان قول المجتهد دليلاً له لكنه ليس من تلك الأدلة المخصوصة.

والمراد بها: أدلة الفقه المقرونة بمسائل الفقه التفصيلية؛ فخرج به أصول الفقه؛ لأن البحث فيه إنما يكون في أدلة الفقه الإجمالية[1].

(1) ينظر: شرح التلويح على التوضيح (1/ 19)، البحر المحيط في أصول الفقه (1/ 34)، الأصول من علم الأصول (ص: 7).

2- **موضوعه:**

موضوع علم الفقه: أفعال المكلفين من حيث ما يعرض لها من الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة، وغير ذلك كالصحة والفساد[1].

قال القنوجي: "وموضوعه: فعل المكلف من حيث الوجوب والندوب والحل والحرمة وغير ذلك كالصحة والفساد، وقيل: موضوعه أعم من الفعل؛ لأن قولنا: الوقت سبب أو وجوب الصلاة من مسائله، وليس موضوعه الفعل، وفيه أن ذلك راجع إلى بيان حال الفعل بتأويل إن الصلاة تجب لسبب الوقت، كما أن قولهم: النية في الوضوء مندوبة في قوة أن الوضوء يندب فيه النية.

وبالجملة تعميم موضوع الفقه مما لم يقل به أحد، ففي كل مسألة ليس موضوعها راجعًا إلى فعل المكلف يجب تأويله حتى يرجع موضوعها إليه؛ كمسألة المجنون والصبي؛ فإنه راجع إلى فعل الولي، هكذا في الخيالي وحواشيه"[2].

3- **ثمرته:**

للفقه بالشريعة ثمرات وفوائد وغايات كثيرة، منها:

---

(1) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري (1/ 7)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 41)، الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار (ص: 11)، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص: 714)، خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية (ص: 6)، شرح مختصر خليل للخرشي (1/ 31)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (1/ 18).

(2) أبجد العلوم (ص: 458).

1-تصحيح العبادات والمعاملات، وحصول العمل فيها على الوجه المشروع، والاحتراز من الخطأ في القيام بالعبودية.

2- الفوز بالسعادة الكبرى في الدنيا والآخرة.

3- تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية[1].

4- إذهاب المشقة عن الناس بحل قضاياهم الفقهية، وتعريفهم بالوجه المشروع؛ حتى لا يقعوا في الإثم والتعدي على حق الله أو حق الخلق.

5-تكييف مستجدات الحياة المتعلقة بالعبادات أو المعاملات بالتكييف الشرعي، ومعرفة الحكم الفقهي فيها.

قال حاجي خليفة: "وفائدته: حصول العمل به، على الوجه المشروع، والغرض منه: تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية"[2].

وقال التهانوي: "وغرضه: النجاة من عذاب النار، ونيل الثواب في الجنة"[3].

4-فضله:

للفقه فضل كبير على سائر العلوم، ومما يبين فضيلته: أن الله تعالى دعا إلى الفقه في الدين فقال: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

(1) ينظر: البحر الرائق (1/ 7)، الدر المختار شرح تنوير الأبصار (ص: 11)، خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية (ص: 6)، شرح مختصر خليل للخرشي (1/ 31)، حاشية الروض المربع (1/ 8)، أبجد العلوم (ص: 458).

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1282).

(3) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 42).

وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:122]، ولا ريب أن علم الفقه بالمعنى الاصطلاحي داخل في ذلك دخولاً أوليًا؛ فكم من قضايا في الحرب والسلم مبناها على الأحكام الفقهية.

وقال رسول الله ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[1].

والحديث وإن كان المراد منه عموم الفهم في الدين على القول الصحيح، لكن علم الفروع من أهم ما يعين على تلك الغاية.

قال القاضي عياض في شرح هذا الحديث: "فيه فضل العلم والفقه في الدين؛ لأنه يقود إلى خشية الله تعالى وتقاه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:28]، وهذا يقود إلى الخير في الآخرة وعظيم الثواب"[2].

وقال المُظْهِري: "قوله: (يفقهه في الدين) أي: يجعله عالمًا بأحكام الدين، ويجعله ذا فهم حتى يفهم من ألفاظ قليلة معاني كثيرة، وخيرُ الدنيا والآخرة في العلم بأحكام الدين"[3].

وقال ابن الملقن: "والمراد (بالدين): الإسلام، ومنهم من فسر الفقه في الدين بالفقه في القواعد الخمس ويتصل بها من الفروع"[4].

---

(1) رواه البخاري (71)، ومسلم(1037).

(2) إكمال المعلم بفوائد مسلم (3/ 570).

(3) المفاتيح في شرح المصابيح (1/ 300).

(4) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (3/ 346).

وقال السعدي: "والفقه في الدين يشمل الفقه في أصول الإيمان، وشرائع الإسلام والأحكام، وحقائق الإحسان... ودخل في ذلك: علم الفقه، أصوله وفروعه، وأحكام العبادات والمعاملات، والجنايات وغيرها"[1].

وقد تحدث أهل العلم عن فضل علم الفقه حديثًا كثيراً، فمن ذلك:

1- **قال الشافعي:** "من حفظ القرآن عظمت حرمته، ومن طلب الفقه نبل قدره، ومن وعى الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم"[2].

2- **وقال أبو زرعة الرازي:** "عَلَيْكُمْ بِالْفِقْهِ؛ فَإِنَّهُ كَالتُّفَّاحِ الْجَبَلِيِّ يُطْعَمُ من سَنَتِه"[3].

3- **وقال البخاري** للقاضي الوليد الهمداني حين قصده لطلب علم الحديث فذكر له مطالب ذلك وثمراته ثم قال له: "... وإلا تطق احتمال هذه المشاق كلها فعليك بالفقه الذي يمكنك تعلمه وأنت في بيتك قارٌّ ساكن لا تحتاج إلى بُعد الأسفار، ووطء الديار، وركوب البحار، وهو مع ذا ثمرة الحديث، وليس ثواب الفقيه بدون ثواب المحدث في الآخرة، ولا عزّه بأقل من عز المحدث.

(1) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: 32).

(2) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (ص: 221).

(3) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (ص: 34)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (ص: 407).

قال: فلما سمعت ذلك نقض عزمي في طلب الحديث، وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه إلى أن صرت متفقهاً"[1].

5- **وقال ابن هبيرة:** "فإن علم الفقه هو أفضل علوم الدين، وأعلى منزلة أهل المعرفة واليقين لما جاء فيه عن سيد المرسلين: (**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**)"[2].

6- **وقال الغزالي:** "وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل؛ فإنه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول، بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد، الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد.

ولأجل شرف علم الفقه وسببه، وفر الله دواعي الخلق على طلبه، وكان العلماء به أرفع العلماء مكانا، وأجلهم شأنا، وأكثرهم أتباعا وأعوانا؛ فتقاضاني في عنفوان شبابي اختصاص هذا العلم بفوائد الدين والدنيا، وثواب الآخرة والأولى، أن أصرف إليه من مهلة العمر صدرا، وأن أخص به من متنفس الحياة قدرا..."[3].

7- **وقال ابن الجوزي:** "... فمن كان ذا همة، ونصح نفسه، تشاغل بالمهم

---

(1) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (ص: 33).

(2) اختلاف الأئمة العلماء (1/ 18).

(3) المستصفى (ص: 4).

من كل علم، وجعل جل شغله الفقه؛ فهو أعظم العلوم وأهمها"[1].

8-وقال ابن مفلح: "وفي خطبة مذهب ابن الجوزي: بضاعة الفقه أربح البضائع. وفي كتاب العلم له: الفقه عمدة العلوم. وفي صيد الخاطر له: الفقه عليه مدار العلوم، فإن اتسع الزمان للتزيد من العلم فليكن من الفقه؛ فإنه الأنفع، وفيه المهم من كل علم، هو المهم.

ومن طلبة العلم من تعلو همته إلى فن من العلوم فيقتصر عليه وهذا نقص، فأما أرباب النهاية في علو الهمة فإنهم لا يرضون إلا بالغاية، فهم يأخذون من كل فن من العلم مهمه، ثم يجعلون جل اشتغالهم بالفقه؛ لأنه سيد العلوم، ثم ترقيهم الهمم العالية إلى معاملة الحق ومعرفته، والأنس به.. وقال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى: عليك بالفقه؛ فإنه كالتفاح الشامي يحمل من عامه، وأملى الشافعي على مصعب الزبيري أشعار هذيل ووقائعها، وآدابها حفظًا، فقال له: أين أنت بهذا الذهن عن الفقه؟ فقال: إياه أردت. وقال أحمد عن الشافعي: إنما كانت همته الفقه. وقال أبو حنيفة: ليس شيء أنفع من الفقه، وقال محمد بن الحسن: كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه، وينهانا عن الكلام، وفي خطبة المحيط للحنفية: أفضل العلوم عند الجمهور بعد معرفة أصل الدين وعلم اليقين: معرفة الفقه"[2].

9-وقال الكاساني: "لا علم بعد العلم بالله، وصفاته أشرف من علم الفقه، وهو المسمى بعلم الحلال، والحرام، وعلم الشرائع، والأحكام، له بعث الرسل،

(1) صيد الخاطر (ص: 443).

(2) الفروع وتصحيح الفروع (2/ 354).

وأنزل الكتب؛ إذ لا سبيل إلى معرفته بالعقل المحض دون معونة السمع، وقال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[البقرة:269]، وقيل في بعض وجوه التأويل: هو علم الفقه"[(1)].

10-**وقال ابن نجيم:** "أشرف العلوم وأعلاها، وأوفقها وأوفاها؛ علم الفقه والفتوى، وبه صلاح الدنيا والعقبى، فمن شمر لتحصيله ذيلَه، وادّرع نهاره وليله، فاز بالسعادة الآجلة، والسيادة العاجلة. والأحاديث في أفضليته على سائر العلوم كثيرة، والدلائل عليها شهيرة، لا سيما وهو المراد بالحكمة في القرآن على قول المحققين للفرقان"[(2)].

11-**وقال أيضًا:** "الفقه أشرف العلوم قدرا ،وأعظمها أجرا، وأتمها عائدة، وأعمها فائدة، وأعلاها مرتبة، وأسناها منقبة، يملأ العيون نورا، والقلوب سرورا، والصدور انشراحا، ويفيد الأمور اتساعًا وانفتاحا.

هذا لأن ما بالخاص والعام من الاستقرار على سنن النظام والاستمرار على وتيرة الاجتماع والالتئام؛ إنما هو بمعرفة الحلال من الحرام، والتمييز بين الجائز والفاسد في وجوه الأحكام، بحوره زاخرة، ورياضه ناضرة، ونجومه زاهرة، وأصوله ثابتة، وفروعه نابتة، لا يفنى بكثرة الإنفاق كنزُه، ولا يبلى على طول

---

(1) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (1/ 2).

(2) البحر الرائق (1/ 2).

الزمان عزُّه.

وإنيَ لا أســـطيعُ كُنــــه صـــفاته ولـو أن أعـضائي جميعًـا تكلّـمُ[1]

وأهله قِوَامُ الدِّينِ وَقُوَّامُهُ، وبهم ائتلافه وانتظامه"[2].

12- وقال الشاعر:

إذَا مَـــا اعْتَـــزَّ ذُو عِلْـــمٍ بِعِلْـــمٍ فَعِلْـــمُ الْفِقْـــهِ أَوْلَـــى بِـــاعْتِزَازِ

فَكَـمْ طِيـبٍ يَفُـوحُ وَلَا كَمِـسْكٍ وَكَـمْ طَيْـرٍ يَطِيـرُ وَلَا كَبَـازِي[3]

13- وقال آخر:

وَخَيْـرُ عُلُـومٍ عِلْـمُ فِقْـهٍ لِأَنَّـهُ يَكُـونُ إلَـى كُـلِّ الْعُلُـومِ تَوَسُّـلَا

فَـإِنَّ فَقِيهًـا وَاحِـدًا مُتَوَرِّعًـا عَلَى أَلْفِ ذِي زُهْدٍ تَفَضَّلَ وَاعْتَلَى

وَهُمَا مَأْخُوذَانِ مِمَّا قِيلَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهِ:

تَفَقَّـهْ فَـإِنَّ الْفِقْـهَ أَفْـضَلُ قَائِـدٍ إلَـى الْبِرِّ وَالتَّقْـوَى وَأَعْـدَلُ قَاصِـدِ

وَكُـنْ مُـسْتَفِيدًا كُـلَّ يَـوْمٍ زِيَـادَةً مِنْ الْفِقْهِ وَاسْبَحْ فِي بُحُورِ الْفَوَائِدِ

---

(1) مقتبس من قول بعضهم:

أَيادِيَ لَا أَسْطيعُ كُنهَ صِفَاتِها ولَو أَنَّ أَعضائِي جَميعًا تَكَلَّمُ

الفريد وبيت القصيد (5/ 113).

(2) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: 14).

(3) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 39).

فَـإِنَّ فَقِيهًـا وَاحِـدًا مُتَوَرِّعًـا ... أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدِ[1]

14- وقال ابْن الْوَرْدِيِّ:

وَالْعُمرُ عَنْ تَحْصِيلِ كُلِّ عِلْمِ ... يَقْصُرُ فَابْدَأْ مِنْهُ بِالْأَهَمِّ

وَذَلِكَ الْفِقْهُ فَإِنَّ مِنْهُ ... مَا لَا غِنَى فِي كُلِّ حَالٍ عَنْهُ[2]

15- وقال آخر:

الْفِقْهُ فِي الدِّينِ بِالْآثَارِ مُقْتَرِنٌ ... فَاشْغِلْ زَمَانَكَ فِي فِقْهٍ وَفِي أَثَرِ

فَالشُّغْلُ بِالْفِقْهِ وَالْآثَارِ مُرْتَفِعٌ ... بِقَاصِدِ اللهِ فَوْقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ[3]

5- نسبته :

علم الفقه من العلوم الشرعية، وبينه وبين العلوم الأخرى نسبة المغايرة؛ لكونه مستقلاً عنها. ونسبته لصلاح الظاهر كنسبة العقائد والتصوف لصلاح الباطن، فهو فرع علم التَّوْحِيد[4]، فالتوحيد لإصلاح المعتقدات، وهو لإصلاح العبادات والمعاملات، وبذلك تكمل الديانة.

6- واضعه :

---

(1) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 39).

(2) المصدر السابق.

(3) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (ص: 236).

(4) ينظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 36)، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (1/ 22)، حاشية الروض المربع (1/ 8)، نهاية الزين (ص: 6).

واضع هذا العلم يراد به: من أخرجه للناس بالمصطلح الفني، وشرع في ذكر مسائله والتدليل عليها، وإلا فالفقه من حيث الابتداء والتشريع واضعه الله تعالى، كما قال ابن قاسم: "والواضع هو الله تعالى"[1].

كما أن مسائل الفقه على سبيل الإجمال كانت موجودة منذ ظهور الإسلام على لسان رسول الله ﷺ وأقضيته وأحكامه، وأذهان أصحابه وكبار التابعين لهم.

ثم جاء العلماء بعد ذلك وفصلوا العلوم بعضها عن بعض، ومنها الفقه؛ فلهذا قال بعض العلماء في واضع هذا العلم أنه: "الأئمة المجتهدون"[2]. وهؤلاء الأئمة كثر، منهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

وأول من فتح أغلاق هذا الباب: الإمام أبو حنيفة، قال ابن عمر الجاوي: "والواضع له إجمالاً: الإمام أبو حنيفة النعمان. بمعنى أنه أول مصنف فيه، إلا باب التفليس والحجر والسبق والرمي فأول مصنف فيه إمامنا الشافعي"[3].

وقال الحصكفي: "وقد قالوا: الفقه زرعه عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسقاه علقمة، وحصده إبراهيم النخعي، وداسه حماد، وطحنه أبو حنيفة، وعجنه أبو يوسف، وخبزه محمد، فسائر الناس يأكلون من خبزه. **وقد نظمه بعضهم فقال:**

الفقه زرعُ ابنِ مسعودٍ، وعلقمةٌ   حَصَّاده، ثم إبراهيم دَوَّاسُ

---

(1) حاشية الروض المربع (1/ 8).

(2) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (1/ 22).

(3) نهاية الزين (ص: 6).

نعمــان طاحنــه، يعقــوب عاجنــه محمـد خـابز، والآكـلُ النـاسُ"[1]

وقال الذهبي: "وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. قلت: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه"[2].

وقال ابن نجيم: "ولقد أنصف الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال : من أراد أن يتبحر في الفقه فلينظر إلى كتب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما نقله ابن وهبان عن حرملة، وهو كالصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، له أجره وأجر من دوّن الفقه وألفه وفرع أحكامه على أصوله إلى يوم القيامة"[3].

7-اسمه :

اسم هذا العلم: علم الفقه، ويقال له أيضًا: علم الفروع، وعلم الحلال والحرام، وعلم الشرائع والأحكام، ويطلق عليه وعلى علم أصول الفقه: علم الدراية[4].

وتسمية هذا العلم فقهًا هي تسمية حادثة، وتسمية للجزء باسم الكل؛ إذ الفقه

(1) الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار (ص: 12).

(2) سير أعلام النبلاء (6/ 403).

(3) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: 14).

(4) ينظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 36)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (1/ 2)، مقدمة ابن خلدون (2/ 102)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 40)، أبجد العلوم (ص: 457)، حاشية الروض المربع (1/ 8)، إجابة السائل شرح بغية الآمل (ص: 49)، الكافي شرح البزودي (1/ 167).

هو الفهم عمومًا، ثم صار هذا الفهم يطلق على المعرفة بالدين دون تخصيص هذا اللقب على علم من علومه، **وعليه حديث:** (**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**).

قال ابن الملك: (يُفقّهْه في الدِّين)؛ أي: يجعله عالمًا بأحكام الشريعة، ذا بصيرةٍ فيها، يستخرج المعاني الكثيرةَ من الألفاظ القليلة"[1].

ثم صار يطلق على الزهد والورع؛ قال التهانوي: "وذكر الإمام الغزالي أن الناس تصرّفوا في اسم الفقه، فخصّوه بعلم الفتاوى والوقوف على دلائلها وعللها. واسم الفقه في العصر الأول كان مطلقًا على علم الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، والاطلاع على الآخرة وحقارة الدنيا، ولذا قيل: الفقيه هو الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بذنبه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكافّ عن أعراض المسلمين"[2].

ثم نقل هذا الاسم العام بعد المراحل السابقة إلى المعرفة بأفعال المكلفين؛ لأسباب:

-**قال الزركشي:** "ونقل الفقه إلى علم الفروع بغلبة الاستعمال، كما أشار إليه ابن سيده حيث قال: غلب على علم الدين؛ لسيادته وشرفه كَالنَّجْمِ عَلَى الثُّرَيَّا، وَالْعُودِ عَلَى الْمِنْدَلِ"[3].

---

(1) شرح المصابيح لابن الملك (1/ 191).

(2) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 40)، وينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1282).

(3) البحر المحيط في أصول الفقه (1/ 31)، المخصص (1/ 260).

-**وقال الطيبي**: "وجعله العرف خاصًا بعلم الشريعة، وتخصيصًا بعلم الفروع. وإنما خص علم الشريعة بالفقه؛ لأنه علم مستنبط بالقوانين والأدلة، والأقيسة، والنظر الدقيق بخلاف اللغة، والنحو..."[1].

-**وقال ابن عابدين**: "(قوله: إلا الفقهاء) المراد بهم العالمون بأحكام الله تعالى اعتقادًا وعملا؛ لأن تسمية علم الفروع فقهًا تسمية حادثة، **قال سيدي عبد الغني**: ويؤيده ما مر من قول الحسن البصري: إنما الفقيه المعرض عن الدنيا الراغب في الآخرة "[2].

8-استمداده:

أي: المصادر التي يؤخذ منها.

قال ابن خلدون: "الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب و السنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها: فقه، وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم"[3].

وقال ابن نجيم: "وأما استمداده فمن الأصول الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وأما شريعة من قبلنا فتابعة للكتاب، وأما أقوال الصحابة

---

(1) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (2/ 660).

(2) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 47).

(3) مقدمة ابن خلدون (2/ 102).

فتابعة للسنة، وأما تعامل الناس فتابع للإجماع، وأما التحري واستصحاب الحال فتابعان للقياس"[1].

وقال ابن يونس الصقلي: "الأصل في هذا العلم: اتباع الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، ثم النظر والاستدلال، والقياس على ذلك"[2].

وقال حاجي خليفة: "وله استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية"[3].

وقال ابن قاسم: "والاستمداد: من كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ"[4].

إن الفقيه الحق هو من يجمع بين هذه المصادر، لا من يقف على ظاهر النص فحسب" فدور الفقيه أنه معرف لأحكام الله، وأنه لا تتحقق التقوى ولا العمل الصالح إلا إذا كان المكلف ينجز ما ينجزه في حدود الضوابط المستندة إلى الوحي. والأخذ من نصوص الوحي قرآنًا وسنة لا يتم إلا بتعاضد النقل والعقل.

فالنص هو الخزانة، والعقل هو المفتاح الذي يفتح أبوابها، ويكشف ذخائرها ويبرز لبابها. فليس الفقه محصوراً في دائرة الرواية والنقل، ولا هو منفلت مع مجاري النزعات المختلفة لأهل العقل. ولكنه ثمرة تعاضد الأصلين"[5].

---

(1) البحر الرائق (1/ 7).

(2) الجامع لمسائل المدونة (1/ 9).

(3) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1282).

(4) حاشية الروض المربع (1/ 8).

(5) شرح التلقين (1/ 10).

9- حكمه :

وحكم الشارع في تعلمه: الوجوب العيني فيما يتلبس به الشخص وما لا بد له منه، والكفائي في غير ذلك[1].

ويعني هذا: أن هناك مسائل يجب عينيًا على المكلف العلم بها؛ كفرائض العبادات. وهناك مسائل أخرى يكفي فيها الوجوب الكفائي في عموم المسلمين.

وقد قال رسول الله ﷺ : **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[2].

قال الإمام البغوي: "وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على كل واحد ، فعليه معرفة علمها؛ مثل علم الزكاة إن كان له مال، وعلم الحج إن وجب عليه"[3].

"وسئل الفضيل بن عياض عن قوله ﷺ: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)** فقال: كل عمل كان عليك فرضًا فطلب علمه عليك فرض، وما لم يكن العمل به عليك فرضًا فليس طلب علمه عليك بواجب"[4].

10- مسائله :

المسائل: جمع مسألة، وهي القضايا المبرهن عليها في العلم. ومسائل هذا

---

(1) ينظر: نهاية الزين (ص: 6)، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (1/ 22)، الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 36).

(2) رواه ابن ماجه (224)، والبيهقي، شعب الإيمان (2/ 253)، والطبراني، المعجم الأوسط (9)، والبيهقي في شعب الإيمان (1545)، وهو صحيح.

(3) شرح السنة (1/ 290).

(4) معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي (3/ 38).

العلم: ما يذكر في كل باب من أبوابه، وهي الأحكام الشرعية العملية كقولنا: الصلاة فرض، والنية واجبة، والوضوء شرط لصحة الصلاة، ودخول الوقت سبب لها[1].

وقال ابن عابدين: "ومسائله: كل جملة موضوعها فعل المكلف، ومحمولها أحد الأحكام الخمسة، نحو: هذا الفعل واجب"[2].

وفي المجلة العدلية: "والمسائل الفقهية إما أن تتعلق بأمر الآخرة وهي العبادات، وإما أن تتعلق بأمر الدنيا، وهي تنقسم إلى: مناكحات، ومعاملات، وعقوبات"[3].

وقال التهانوي: "إن أصحاب الشافعي جعلوا للفقه أربعة أركان: فقالوا: الأحكام الشرعية إمّا أن تتعلق بأمر الآخرة وهي العبادات، أو بأمر الدنيا، وهي إمّا أن تتعلّق ببقاء الشخص وهي المعاملات، أو ببقاء النوع باعتبار المنزّل وهي المناكحات، أو باعتبار المدينة وهي العقوبات"[4].

إذن فمسائل الفقه هي: العبادات والمعاملات، أو العبادات، والمعاملات، والمناكحات، والجنايات والقضاء والحدود أو العقوبات.

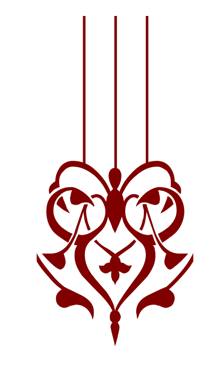
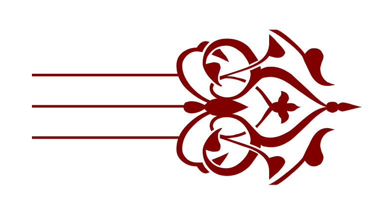
---

(1) ينظر: حاشية الروض المربع (1/ 8)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (1/ 18)، نهاية الزين (ص: 6)، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (1/ 22)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 41).

(2) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (1/ 36)،

(3) مجلة الأحكام العدلية (ص: 15).

(4) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 41).

ثانياً: المتون الفقهية

في المذاهب الأربعة وشروحها وحواشيها:

أولاً: المتون الفقهية عند الحنفية:

أ-مختصر القُدُوري. لأبي الحسين القدوري، المتوفى سنة (428هـ) .

قال عنه صاحب تحفة الفقهاء: "اعلم أن المختصر المنسوب إلى الشيخ أبي الحسين القدوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ جامع جملاً من الفقه مستعملة، بحيث لا تراها مدى الدهر مهملة، يهدي بها الرائض في أكثر الحوادث والنوازل، ويرتقي بها المرتاض إلى أعلى المراقي والمنازل".

وهو مختصر مشهور مبارك متداول بين أيدي الطلبة.

شروحه:

1- الجوهرة النيرة، لأبي بكر بن علي المعروف بالحدادي العبادي المتوفى سنة (800هـ).

2-اللباب في شرح الكتاب، لعبد الغني بن طالب بن حمادة الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي المتوفى سنة (1289هـ).

ب- بداية المبتدي، لبرهان الدين المرغيناني المتوفى سنة (593هـ).

جمع فيه مسائل القدوري والجامع الصغير لمحمد بن الحسن، ورتب أبوابه على ترتيب الجامع الصغير، وجعل مسائل القدوري أول الباب ومسائل الجامع الصغير آخره.

شرح هذا المتن جماعة من العلماء منهم:

1 ـ مؤلفه برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني واسم شرحه " الهداية شرح بداية المبتدي " وهو شرح مختصر لطيف نافع، قال صاحب الوقاية عنه: "كتاب فاخر لم يكتحل عين الزمان بثانيه".

قيل: إنه بقي في تصنيفه ثلاث عشرة سنة، وكان صائماً تلك المدة وكان يجتهد ألا يطلع على صومه أحد.

وله فيه مصطلحات خاصة ذكرها صاحب مفتاح السعادة .

وقد شرح هذا الشرح جماعة من العلماء منهم:

1 ـ أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي المتوفى سنة (786هـ) ، واسم شرحه " العناية على الهداية".

2 ـ كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري المعروف بابن الهمام الحنفي المتوفى سنة (861هـ) ، واسم شرحه " فتح القدير للعاجز الفقير ".

شرع في كتابته في شهور سنة (829هـ) عند الشروع في إقرائه بعض الإخوان كما ذكر ذلك في مقدمته وقال: "ولما جاء بفضل الله ورحمته أكبر من قدري بما لا ينتسب بنسبة علمت أنه من فتح جود القادر على كل شيء فسميته ولله المنة: "فتح القدير للعاجز الفقير" إلا أنه لم يكمله وصل إلى باب الوكالة وشرح الأوراق الأولى من كتاب الوكالة إلى قول صاحب الهداية: "والعقد الذي يعقده الوكلاء

على ضربين". ثم قام الشيخ شمس الدين أحمد بن قودر المعروف بقاضي زاده المتوفى سنة (988هـ) بإكمال الشرح المذكور، وابتدأ بشرح كتاب الوكالة من أوله إلى آخر الكتاب، وسماه: "نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار".

وطبع شرح ابن الهمام على أول كتاب الوكالة وشرح قاضي زاده جميعاً إلا أن شرح المذكور أقل بكثير من شرح ابن الهمام.

وفتح القدير من أجل شروح الهداية. قال ابن تغري بردي: "وهو غاية في الحسن، بل لم يعمل على الهداية مثله".

تخريج أحاديث الهداية:

ألف العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي المتوفى سنة (762هـ)، على أحاديث الهداية: "نصب الراية لأحاديث الهداية".

ج- المختار للفتوى، لمجد الدين الموصلي المتوفى سنة (683هـ).

ألفه في عنفوان شبابه، ثم صنف شرحاً له وسماه: "الاختيار لتعليل المختار"، قال اللكنوي في الفوائد البهية: "وقد طالعت المختار والاختيار، وهما كتابان معتبران عند الفقهاء".

د-مجمع البحرين، لمظفر الدين الساعاتي المتوفى سنة (694هـ).

جمع فيه بين مختصر القدوري ومنظومة النسفي في الخلاف مع زوائد، ورتبه فأحسن وأبدع في اختصاره.

ولـه البـديع في أصـول الفقـه: "بـديع النظـام الجـامع بـين كتـابي البـزدوي والإحكام" جمع فيه بين فصول فخر الإسلام البزدوي والإحكام للآمدي.

قـال اللكنـوي: "قـد طالعـت البـديع والمجمـع وهمـا كتابـان في غايـة اللطـف واللطافة".

شروحه:

1 ـ شرحه مؤلفه في مجلدين كبيرين.

2 ـ المنبع في شرح المجمع، لأحمد بن إبراهيم العينتابي شهاب الدين الحلبي المتوفى سنة (767هـ).

3 ـ وشـرحه الـشيخ عبـد اللطيـف بـن عبـد العزيـز بـن أمـين الـدين بـن فرشـتا الكرماني المعروف بابن الملك المتوفى سنة (801هـ).

4 ـ المستجمع في شرح المجمع، لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد بـن موسى العيني شارح البخاري المتوفى سنة (855هـ).

هـ-كنز الـدقائق، لحـافظ الـدين النـسفي المتـوفى سـنة (701هـ) وقيـل: سـنة (710هـ).

شروحه: لمتن الكنز شروح عديدة منها:

1 – تبيين الحقائق شرح كنـز الـدقائق، لفخـر الـدين عثمـان بـن علـي الزيلعـي الحنفي المتـوفى سـنة (743هـ) وبهامـشه حاشـية للـشيخ أحمـد بـن يـونس الـشهير

بالشلبي.

2-وشرحه معين الدين محمد بن عبد الله الهروي المعروف بمنلا مسكين المتوفى بعد سنة (811هـ).

وعليه حاشية للشيخ محمد أبو السعود بن علي الحسيني المصري الحنفي سماها " الفتح المعين على شرح الكنز للعلامة محمد منلا مسكين".

3-رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق، لأبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة (855هـ).

4- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد بن بكر الشهير بابن نجيم " اسم لبعض أجداده " المتوفى سنة (970هـ).

وهو من أحسن شروح الكنز. **قال فيه منصور البلسي الحنفي:**

على الكنز في الفقه الشروحُ كثيرةٌ بحارٌ تفيد الطالبين لآليا

ولكن بهذا البحر صارت سواقيا ومن وَرَد البحر استقلَّ السواقيا

وقد وصل فيه الشارح إلى الكلام على الإجارة الفاسدة، وقام بإكماله الشيخ محمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري المتوفى بعد سنة (1138هـ)، وقد أكمله من أول الإجارة إلى آخره.

وعلى الشرح المذكور حاشية للسيد محمد أمين الشهير بابن عابدين المتوفى سنة (1252هـ) سماها ": منحة الخالق على البحر الرائق".

5- كشف الحقائق شرح كنز الدقائق، لعبد الحكيم الأفغاني المتوفى سنة (1326هـ).

و- وقاية الرواية في مسائل الهداية، لتاج الشريعة المحبوبي المتوفى سنة (781هـ).

انتخبها من الهداية، وصنفها لأجل ابن ابنه صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن محمود.

وقد قام صدر الشريعة عبيد الله المذكور بشرح الوقاية ثم اختصره وسماه النقاية.

شروحه:

وقد شرحه ووضع عليه حواشي جماعة من العلماء ذكرهم اللكنوي في مقدمة السعاية.

منها: شرح حفيد المؤلف- الذي ألف من أجله المتن - صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن محمود المتوفى سنة (747هـ)، وكان ذا عناية بتقييد نفائس جده وجمع فوائده.

وقد قام علامة الهند الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي المتوفى سنة (1304هـ) بوضع حاشية نفيسة على الشرح المذكور سماها: "السعاية في كشف ما في شرح الوقاية".

تعليق عن متون الحنفية:

قال ابن عابدين عن أصحاب المتون وأنهم من الطبقة السادسة من طبقات الفقهاء: "السادسة: طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين الأقوى والقوي، والضعيف، وظاهر الرواية، وظاهر المذهب، والرواية النادرة كأصحاب المتون المعتبرة، كصاحب الكنز، وصاحب المختار، وصاحب الوقاية، وصاحب المجمع، وشأنهم أن لا ينقلوا في كتبهم الأقوال المردودة، والروايات الضعيفة " أ.هـ.

قال الشيخ محمود بن حمزة في كتاب" الطريقة الواضحة إلى البينة الراجحة":

إن المتون عندنا أربعة صغار　　　وقاية ومجمع والكنز والمختار

قال: وأما القدوري فهو فوق المتون؛ لأنه الكتاب عند المتأخرين والشروح هي شروح هذه المتون كما في شهادات الخيرية".

ثانيًا: المتون الفقهية عند المالكية:

أ- المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لعبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأندلسي المتوفى سنة (1040هـ) .

اشتمل على مقدمة في ذكر الاعتقاد على مذهب الأشاعرة.

ومقدمة في أصول الفقه، ثم تكلم على ما يتعلق بالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج ثم التصوف في (314) بيتًا.

شروحه:

1 – الدر الثمين والمورد المعين، لمحمد بن أحمد بن محمد المالكي الشهير بميارة، المتوفى سنة (1072هـ).

ثم إن الشارح المذكور اختصر شرحه، وقد طبع باسم " مختصر الدر الثمين والمورد المعين " في (88) صفحة.

وللشيخ محمد الطالب بن حمدون بن الحاج المتوفى سنة (1273هـ) حاشية على الشرح المذكور.

2 – الحبل المتين على نظم المرشد المعين على الضروري من علوم الدين في مذهب الإمام مالك، لمحمد بن محمد بن عبد الله بن المبارك الفتحي المراكشي.

3 – الفتح المتين على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، للحسن فضل الله بن نور.

ب–الرسالة، لأبي محمد عبد الله النفزي القيرواني المتوفى سنة (386هـ).

جمع فيها جملة مختصرة من واجب أمور الديانة، مما تنطق به الألسنة، وتعتقده القلوب، وتعمله الجوارح، وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها، ونوافلها، ورغائبها، وشيء من الآداب منها، وجمل من أصول الفقه وفنونه.

شروحها: شرحت بشروح عديدة منها:

1 –شرح أبي الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني المتوفى سنة (837هـ).

2-شرح العلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق المتوفى سنة (889هـ).

3-كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأبي الحسن علي بن محمد المنوفي المصري المالكي المتوفى سنة (939هـ).

4- تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المالكي المتوفى سنة (942هـ).

5- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي المالكي الأزهري المتوفى سنة (1120هـ).

6- الثمر الداني في تقريب المعاني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهري المتوفى سنة (1335هـ).

ج- مختصر خليل، لضياء الدين خليل بن إسحاق ابن شعيب المعروف بالجندي المتوفى سنة (776هـ).

مكث في تأليفه نيفاً وعشرين سنة.

لخصه في حياته إلى باب النكاح، وجمع أصحابه باقيه من المسودة. وباب المقاصة منه من تأليف تلميذه الشيخ تاج الدين بهرام بن عبد الله الدميري المتوفى سنة (805هـ) ، وكمل الشيخ جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسي المتوفى سنة (823هـ) جملة يسيرة ترك المصنف لها بياضاً. وقد حوى أربعمائة ألف مسألة فقهية، وصار هو العمدة عند المالكية منذ تأليفه حتى الآن. وهو من أجل

المختصرات عند المالكية؛ إذ هو كتاب صغر حجمه، وكثر علمه، وجمع فأوعى، وفاق أضرابه جنساً ونوعاً، واختص بتبيين ما به الفتوى، وما هو الأرجح والأقوى، لم تسمح قريحة بمثاله، ولم يسنج ناسج على منواله.

وقد كثرت شروحه، وحواشيه، حتى جاوزت المائة. فمنها:

1-مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب المتوفى سنة (954هـ) . وقد أطال في أوله، وعرضت له عوارض نتج عنها الاختصار في آخر الشرح كما ذكر ذلك في المقدمة.

2-التاج والإكليل لمختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري الشهير بالمواق المتوفى سنة (897هـ).

3-شرح الزرقاني، المتوفى سنة (1099هـ).

4- الشرح الصغير، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الخرشي -بفتح الخاء والراء وبدون ألف - المتوفى سنة (1101هـ).

وقد ألف شرحاً مطولاً على مختصر خليل ثم طلب منه جماعة من إخوانه وجملة من خلانه شرحاً آخر لا يكون قاصراً عن إفادة القاصرين، خالياً من الإطناب، وعما يصعب فهمه من الإيجاز على المبتدئين؛ ليعم نفعه البلاد، ويتعاطاه الحضري والباد، فأجابهم إلى ذلك.

5-الشرح الكبير، لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير العدوي المتوفى سنة (1201هـ).

وهو شرح مختصر على المختصر، اقتصر فيه على فتح مغلقه، وتقييد مطلقه، وعلى المعتمد من أقوال أهل المذهب.

وعلى الشرح المذكور حاشية للشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي.

6- الإكليل شرح مختصر خليل ، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السنباوي المالكي الأزهري المشهور بالأمير المتوفى سنة (1232هـ). وهو شرح مختصر طبع بتصحيح وتعليق الشيخ أبي الفضل عبد الله الصديق الغماري.
7- منح الجليل على مختصر سيدي خليل، لمحمد بن أحمد بن محمد الملقب بعليش المتوفى سنة (1299هـ).

د-إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، لعبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي المتوفى سنة (732هـ).

ألفه بناء على سؤال ولده أن يضع له كتاباً يكون مع كثرة معانيه وجيز اللفظ، سهل المتناول والحفظ، فاستخار الله تعالى، وجمع له هذا المختصر، وأودعه جزيلاً من الجواهر والدرر.

شروحه:

أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك، لأبي بكر بن حسن الكشناوي.

هـ- أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، لأحمد بن محمد الدردير العدوي المتوفى سنة (1201هـ).

"اقتطفه من ثمار مختصر الإمام خليل، في مذهب إمام أئمة التنزيل، اقتصر فيه على أرجح الأقاويل، مبدلاً غير المعتمد منه به مع تقييد ما أطلقه وضده للتسهيل"، ويمتاز هذا المختصر بسهولة عباراته.

شروحه:

1-شرحه مؤلفه شرحاً اقتصر فيه على بيان معاني ألفاظه، وسماه الشرح الصغير، ووضع على الشرح المذكور الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المتوفى سنة (1241هـ) حاشية سماها " بغية السالك لأقرب المسالك " .

وقام الشيخ محمد بن إبراهيم بن مبارك الأحسائي المالكي بالتعليق على هذه الحاشية بما سماه: "التعليق الحاوي لبعض البحوث على شرح الصاوي".

2-كما شرحه الشيخ محمد الشيباني بن محمد بن أحمد الشنقيطي الموريتاني بشرح سماه: "تبيين المسالك لتدريب السالك إلى أقرب المسالك".

و-مجموع الأمير، أو مختصر الأمير، لمحمد بن محمد بن عبد القادر السبناوي المالكي الأزهري المتوفى سنة (1232هـ).

وقد نهج فيه نهج الشيخ العلامة خليل في مختصره، إلا أنه اعتمد فيه على الآراء الراجحة في المذهب، خلافاً لما ذكره خليل، وأضاف إليه فروعاً فقهية لم

ترد في المختصر، وسماه: "المجموع"؛ لما حواه من مضمون كتب متعددة. واشتهر بين علماء عصره حتى إن شيخه الشيخ علي العدوي الصعيدي كان يرجع إليه، وقد شرحه مؤلفه بشرح لطيف.

ثالثاً: المتون الفقهية عند الشافعية:

أ- متن التنبيه، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي المتوفى سنة (476هـ).

قال عنه مؤلفه في المقدمة: "هذا كتاب مختصر، في أصول مذهب الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إذا قرأه المبتدي وتصوره، تنبه به على أكثر المسائل، وإذا نظر فيه المنتهي، تذكر به جميع الحوادث إن شاء الله تعالى".

وقال عنه الإمام النووي: "أما بعد، فإن التنبيه من الكتب المشهورات النافعات المباركات المنتشرات الشائعات؛ لأنه كتاب نفيس حفيل صنفه إمام جليل".

شروحه:

شرحه الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (911هـ).

وألف النووي في بيان لغته: تحرير ألفاظ التنبيه.

كما ألف النووي كذلك في تصحيح مسائله:" تصحيح التنبيه، أو العمدة في تصحيح التنبيه".

وفي الاستدلال لمسائله ألف الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى سنة (774هـ): إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه.

ب- الغاية التقريب، لأبي شجاع أحمد بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة (593هـ).

ألفه بناء على سؤال بعض أصدقائه في أن يعمل مختصراً في الفقه على مذهب الإمام الشافعي في غاية الاختصار ونهاية الإيجاز؛ ليقرب على المتعلم درسه، وليسهل على المبتدئ حفظه، وأن يكثر فيه من التقسيمات وحصر الخصال، فأجاب إلى ذلك، وألف هذا المختصر.

شروحه: شرح هذا المتن بشروح كثيرة منها:

1-كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، لأبي بكر بن محمد الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي المتوفى (829هـ).

2-فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب، أو القول المختار في شرح غاية الاختصار، لأبي عبد الله محمد بن قاسم الغزي المتوفى سنة (918هـ)، وسماه بهذين الاسمين؛ لأنه يوجد في بعض نسخ المتن تسميته تارة بالتقريب، وتارة بغاية الاختصار كما ذكر ذلك في المقدمة.

وقد قام بعض علماء الشافعية بتأليف حواش على هذا الشرح طبع منها:

أـ حاشية الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد البرماوي المتوفى سنة (1106هـ).

ب ـ حاشية الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري المتوفى سنة (1277هـ).

وقد قامت لجنة من علماء الأزهر بتوضيح هذه الحاشية وتهذيبها والتعليق عليها في كتاب سموه " توضيح البيجوري على شرح ابن قاسم لمتن أبي شجاع".

جـ ـ" قوت الحبيب الغريب توشيح على فتح القريب المجيب "، لمحمد نووي بن عمر الجاوي المتوفى سنة (1315هـ).

3 – النهاية في شرح الغاية، لأبي عبد الله محمد ولي الدين البصير المتوفى سنة (972هـ).

وعلى هذا الشرح حواش كثيرة طبع منها ما يلي:

أـ حاشية الشيخ: حسن المنطاوي الشهير بالمدابغي المتوفى سنة (1170هـ) اسمها: "كفاية اللبيب في حل شرح أبي الشجاع الخطيب ".

ب ـ حاشية الشيخ: سليمان بن محمد بن عمر البيجرمي المتوفى سنة (1221هـ) المسماة:" تحفة الحبيب على شرح الخطيب".

جـ ـ حاشية الشيخ: عبد الله النبراوي المتوفى سنة (1257هـ).

4–الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع " للشيخ محمد الشربيني الخطيب المتوفي سنة (977هـ).

5 – التهذيب في أدلة متن الغاية والتقريب " للدكتور مصطفى ديب البغا.

ونظم متن الغاية جماعة من العلماء منهم:

شرف الدين يحيى بن الشيخ نور الدين موسى بن رمضان ابن عميرة الشهير بالعمريطي المتوفى سنة (890هـ) ، سماه: "نهاية التدريب في نظم غاية التقريب ".

وقد شرحه الشيخ أحمد بن الحجازي بن بدير الفشني المتوفى سنة (978هـ)، وسمى شرحه: "تحفة الحبيب بشرح نظم غاية التقريب".

ج-منهاج الطالبين وعمدة المفتين، للإمام العلامة الشيخ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة (676هـ).

اختصره من كتاب المحرر للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني المتوفى سنة (623هـ) وقيل: (624هـ) ، في نحو نصف حجمه، وزاد عليه نفائس.

شروحه: شرحه جماعة من العلماء بشروح كثيرة منها:

1-شرح العلامة الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة (864هـ) .

ومعه حاشيتان هو بهامشهما:

الأولى: حاشية الشيخ: شهاب الدين أحمد البرلسي الملقب بعميرة المتوفى سنة (957هـ).

الثانية: حاشية الشيخ: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المصري المتوفى سنة (1069هـ).

2 ـ تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة (974هـ).

كما طبع بهامش حاشيتين عليه وهما:

أـ حاشية الشيخ عبد الحميد الشرواني المكي.

ب ـ حاشية الشيخ أحمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة (994هـ).

3-مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد بن محمد الشربيني الخطيب المتوفى سنة (977هـ).

4-نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير المتوفى سنة (1004هـ).

ومعه حاشيتان:

الأولى: حاشية الشيخ أبي الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي القاهري المتوفى سنة (1087هـ).

الثانية: حاشية الشيخ أحمد بن عبد الرزاق بن محمد بن أحمد المعروف بالمغربي الرشيدي المتوفى سنة (1096هـ).

5-السراج الوهاج شرح متن المنهاج، لمحمد الزهري الغمراوي المتوفى بعد سنة (1337هـ).

وفي الاستدلال لمسائله ألف سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المشهور بابن الملقن المتوفى سنة (804هـ): تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج.

وألف عبد الملك الحلبي المشهور بعبيد الضرير المتوفى سنة (839هـ): دلائل المنهاج من كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين.

وفي بيان مصطلحاته ألف أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي الحضرمي المتوفى بعد سنة (1315هـ): الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج. رسالة صغيرة في (17) صفحة.

وفي بيان رموزه ألف أحمد الميقري شميلة الأهدل المتوفى سنة (1390هـ): سلم المتعلم المحتاج إلى معرفة رموز المنهاج.

وفي بيان لغته ألف مؤلفه: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي المتوفى سنة (676هـ): دقائق المنهاج.

د- إرشاد الغاوي في مسائل الحاوي، لشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم الشندري الشاوري اليمني الحسيني الشافعي المشهور بشرف الدين بن المقرئ صاحب كتاب " عنوان الشرف الوافي " سنة (837هـ) .

والمراد بالحاوي هنا: كتاب الحاوي الصغير، تأليف نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم بن عبد الغفار القزويني المتوفى سنة (665هـ).

قال شرف الدين المقرئ عنه: "لم يكن في المذهب مصنف أوجز ولا أعجز من الحاوي للإمام عبد الغفار القزويني؛ فإنه كتاب لا ينكر فضله، ولا يختلف اثنان في أنه ما صنف قبله مثله، ولقد أبدع الشيخ في تأليفه، وأغرب في تصنيفه وترصيعه.."

قال الشوكاني عن الإرشاد: "وهو كتاب نفيس في فروع الشافعية، رشيق العبارة، حلو الكلام، في غاية الإيجاز مع كثرة المعاني، وشرحه في مجلدين. وقد طار في الآفاق، واشتغل به علماء الشافعية في الأقطار، وشرحه جماعة منهم" .

شروحه: شرحه جماعة من العلماء منهم:

1-مؤلفه شرف الدين المقرئ في كتابه " إخلاص الناوي في إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي " قال الشيخ شجاع الدين عمر بن محمد المفتي المتوفى سن (887هـ) : "إن مسائل هذا الكتاب بلغت تسعين ألف مسألة: المنطوق ستون ألفًا، والمفهوم ثلاثون ألفًا".

2-شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي الشافعي المتوفى سنة (974هـ) في كتابه " فتح الجواد بشرح الإرشاد ".

هـ-روض الطالب، لشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله اليمني المقرئ المتوفى سنة (925هـ) صاحب كتاب الإرشاد السابق.

اختصره من روضة الطالبين للإمام النووي، المختصرة من العزيز شرح الوجيز للإمام الرافعي.

شرحه شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى سنة (925هـ) وقيل: (926هـ).

وسمى شرحه " أسنى المطالب شرح روض الطالب ". وبهامشه حاشية الشيخ أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي الكبير الأنصاري المتوفى سنة (957هـ).

و-متن الزبد، لأحمد بن حسين بن حسن بن رسلان الشافعي المتوفى سنة (844هـ).

شروحه: له شروح عديدة منها:

1-مواهب الصمد في حل ألفاظ الزبد، لأحمد بن حجازي الفشني المتوفى سنة (978هـ).

2-غاية البيان شرح زبد ابن رسلان، لشمس الدين محمد بن أحمد الرملي الأنصاري المشهور بالشافعي الصغير المتوفى سنة (1004هـ).

3-فتح المنان شرح زبد ابن رسلان، لمحمد بن علي بن محسن الحبيشي الإبي المتوفى سنة (1283هـ).

ز- منهج الطلاب " لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري المتوفى سنة (926هـ).

اختصره من مختصر النووي المسمى: منهاج الطالبين، وضم إليه ما تيسر مع إبدال غير المعتمد به، وحذف منه الخلاف لتيسيره على الراغبين.

وشرحه مؤلفه باسم " فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب"، وقد حشى على

هذا الشرح جماعة من العلماء منهم:

أـ سليمان بن عمر العجيلي المشهور بالجمل المتوفى سنة (1204هـ) ، وقد سمى حاشيته " فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب ".

ب ـ سلمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي المتوفى سنة (1221هـ) ، واسم حاشيته " التجريد لنفع العبيد ".

رابعاً : المتون الفقهية عند الحنابلة :

أ–مختصر الخرقي للإمام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي المتوفى سنة (334هـ).

وهذا المتن من أول ما ألفه علماء الحنابلة في الفقه، وتلقاه علماء المذهب الحنبلي بالقبول، وعنوا به أشد العناية؛ لغزارة علمه، مع صغر حجمه، وقلة لفظه.

قال ابن البنا في شرحه للمختصر المذكور: "وكان بعض شيوخنا يقول: ثلاثة مختصرات في ثلاثة علوم لا أعرف لها نظائر: الفصيح لثعلب في اللغة، واللمع لابن جني في النحو، وكتاب المختصر للخرقي في الفقه، فما اشتغل بها أحد، وفهمها كما ينبغي، إلى أفلح".

قال يوسف بن عبد الهادي في الدر النقي: "وانتفع بهذا المختصر خلق كثير، وجعل الله له موقعاً من القلوب حتى شرحه من شيوخ المذهب جماعة من المتقدمين والمتأخرين كالقاضي أبي يعلى وغيره.. وقال شيخنا عز الدين المصري: إنه ضبط له ثلاثمائة شرح".

من شروحه:

1-شرح القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء البغدادي المتوفى سنة (458هـ).

2- المقنع في شرح مختصر الخرقي، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا المتوفى سنة (471هـ).

3-شرح الزركشي شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي المتوفى سنة (772هـ).

4-المغني، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي المتوفى سنة (620هـ). وهو أشهر من أن يعرّف به.

5-حاشية مختصر الإمام أبي القاسم الخرقي في الفقه على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، لمحمد بن عبد الرحمن بن حسين آل إسماعيل.

كتب تتعلق بمختصر الخرقي:

1- الهادي، أو عمدة الحازم في المسائل الزوائد على مختصر أبي القاسم، لموفق الدين ابن قدامة -صاحب المغني- ضمنه زوائد كتاب الهداية لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني المتوفى سنة (510هـ).

2-غاية المطلب في معرفة المذهب، لأبي بكر بن زيد الجراعي المتوفى سنة

(883هـ) ، ذكر فيه المسائل الزوائد على مختصر الخرقي من الفروع لابن مفلح.

3-مسائل عبد العزيز غلام الخلال التي خالف فيها الخرقي، ومسائله التي خالف فيها شيخه الخلال على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمهم الله جميعاً. وهي ثمان وتسعون مسألة، لأبي الحسين محمد ابن أبي يعلى المتوفى سنة (526هـ).

وفي لغته ألف جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسين بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بابن المبرد المتوفى سنة (909هـ): الدر النقي في شرح مختصر الخرقي.

ب- عمدة الفقه، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (620هـ).

ذكر في مقدمته أنه اختصره حسب الإمكان، واقتصر فيه على قول واحد؛ ليكون عمدة لقارئه، فلا يلتبس الصواب عليه باختلاف الوجوه والروايات، ليقرب على المتعلمين ويسهل حفظه على الطالبين.

شروحه وحواشيه: لهذا المتن عدة شروح وحواشٍ منها:

1-العدة شرح العمدة ، لبهاء الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة (624هـ).

2-شرح شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المتوفى سنة (728هـ)، لكنه لم يكمله، **قال ابن القيم:** "شرح العمدة في أربعة مجلدات".

قال صاحب كتاب العقود الدرية: "وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب العمدة في الفقه للشيخ موفق الدين في مجلدات، وصل فيه شيخ الإسلام إلى قريب من آخر كتاب الحج.

ج- زاد المستنقع، لشرف الدين أبي النجا موسى بن أحمد بن موسى ابن سالم المقدسي الحجاوي ثم الصالحي الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة (960هـ) وقيل: (968هـ).

اقتصر فيه على القول الراجح في مذهب الإمام أحمد، وحذف ما يندر وقوعه من المسائل مما هو مذكور في أصله الذي هو المقنع، وزاد من الفوائد ما يعتمد على مثله مما ليس في المقنع.

شروحه: لهذا المتن عدة شروح وحواشٍ منها:

1- الروض المربع بشرح زاد المستنقع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن أحمد بن علي بن إدريس البهوتي الحنبلي المتوفى سنة (1051هـ).

2- الشرح الممتع على زاد المستقنع، لمحمد بن صالح العثيمين.

3- السلسبيل في معرفة الدليل، حاشية على زاد المستقنع، لصالح بن إبراهيم البليهي المتوفى سنة (1410هـ).

وهي حاشية نفيسة ذكر فيها الدليل لمسائل الكتاب، والخلاف العالي بين الأئمة، واختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، مع ذكر زيادة شروط وأركان وتنبيهات وتوضيح بعض العبارات وشيء من حكم التشريع.

د- دليل الطالب لنيل المطالب، لمرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (1033هـ).

وهو متن متين محرر منظم، ذكر مؤلفه أنه لم يذكر فيه إلا ما جزم بصحته أهل التصحيح والعرفان، وعليه الفتوى فيما بين أهل الترجيح والإتقان، وهو مختصر من " منتهى الإرادات في الجمع بين المقنع والتنقيح وزيادات " للشيخ: أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الشهير بابن النجار.

قال الشيخ عبد السلام الشطلي في مدح المتن المذكور:

يـا مـن يـروم لفقهـه	في الـدين نيـل مطالـبِ
اقـرأ لـشرح المنتهـى	واحفـظ دليـل الطالـبِ

شروحه: شرح هذا المتن بعدة شروح منها:

1-منار السبيل في شرح الدليل، لإبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان المتوفى سنة (1353هـ).

وقام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بتخريج أحاديث الشرح المذكور في كتابه " إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل".

ونظم هذا المتن جماعة من العلماء منه:

1- عبد القادر القصاب المتوفى سنة (1360هـ) وسمى نظمه: "تيسير المطالب نظم دليل الطالب " في (1476) بيتاً.

2- موسى بن محمد شحادة، وسمى نظمه: "الذهب المنجلي في الفقه الحنبلي ".

هـ- أخصر المختصرات، لشمس الدين محمد بن بدر الدين بن عبد القادر البلباني الدمشقي المتوفى سنة (1082هـ).

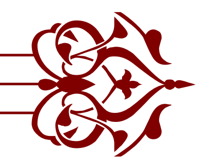
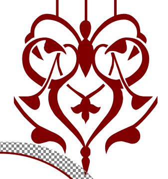
اختصره من كتابه " كافي المبتدي " في نحو نصفه وسماه: "أخصر المختصرات"؛ لأنه لم يقف على أخصر منه جامع لمسائله في فقه الحنابلة.

شروحه: شرح هذا المتن بعدة شروح منها:

1-كشف المخدرات والرياض المزهرات شرح أخصر المختصرات، لزين الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي ثم الدمشقي المتوفى سنة (1192هـ).

2-الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات، لعثمان ابن عبد الله بن جمعة بن جامع بن عبيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي النجدي المتوفى سنة (1240هـ).

3-حاشية عبد القادر بن أحمد بن بدران المتوفى سنة (1346هـ).

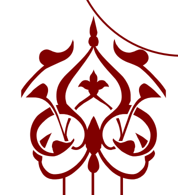
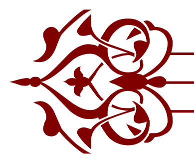
مقدمة في علم السِّيرة النبوية

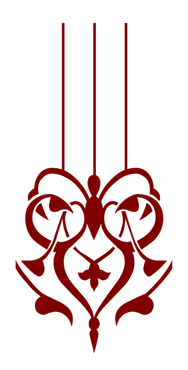
سنتحدث في هذا العلم عن الآتي:

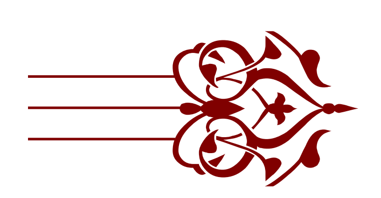
أولاً: المبادئ العشرة لعلم السيرة النبوية.

ثانيًا: التأليف في السيرة النبوية: أوليته وتطوره وأنواعه.

ثالثًا: الجهود العلمية في التمييز بين صحيح السيرة من ضعيفها.





أولاً: المبادئ العشرة لعلم السيرة النبوية:

1- حده:

السِّيرَةُ لغةً: الطَّرِيقَةُ فِي الشَّيْءِ، وَالْحَالَة الَّتِي يكون عَلَيْهَا الْإِنْسَان وَغَيره، وَالسُّنَّة؛ لِأَنَّهَا تَسِيرُ وَتَجْرِي. **يُقَالُ:** سَارَتْ، وَسِرْتُهَا أَنَا. قَالَ الشاعر:

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

والسِّيرَةُ: الهَيْئَةُ، وَبِه فُسِّر قولُه تعالَى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾[طه:21].

ويُقَال: سارَ الوالِي فِي رَعِيَّته سِيرَةً حَسَنَةً، **وَالْجَمْعُ** سِيَرٌ مِثْلُ: سِدْرَةٍ وَسِدَرٍ، وَغَلَبَ اسْمُ السِّيَرِ فِي أَلْسِنَةِ الْفُقَهَاءِ عَلَى الْمَغَازِي، **وَيُقَال:** قَرَأت سيرة فلَان: تَارِيخ حَيَاته، **وسَيَّرَ سِيرَةً:** حَدَّث أحادِيثَ الأَوائِل، وسارَ الكَلامُ والمَثَلُ في النَّاسِ: شاعَ.

والسيرة النَّبَوِيَّة وَكتب السّير مَأْخُوذَة من السِّيرَة بِمَعْنى: الطَّرِيقَة، وَأدْخل فِيهَا الْغَزَوَات وَغير ذَلِك.

والسيرة هي: اسم من السير، ثم نقلت إلى الطريقة، وهي الطريقة في الأمور، **وفي الشرع:** تختصّ بسير النبي عليه السلام في المغازي، وسمّيت المغازي سيرًا لأنّ أول أمورها السّير إلى الغزو، وغلبت في الشرع على أمور المغازي وما يتعلّق بها كالمناسك على أمور الحج[1].

(1) ينظر: مقاييس اللغة (3/ 120)، تاج العروس (12/ 116- 117)، المحكم والمحيط الأعظم (8/ 573)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 299)، المعجم الوسيط =

السيرة اصطلاحًا: هي الترجمة المأثورة لحياة النبي ﷺ.

أو هي: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية، سواء كان قبل البعثة أم بعدها.

وهذا التعريف ذكره المحدِّثون للسنة، وهو تعريف للسيرة أيضًا؛ لأنّ من معاني السيرة في اللغة: السُّنّة، ولأنّ التعريف اشتمل على ذكر حياة النبي ﷺ كلها قبل البعثة أي: من ولادته وبعدها حتى وفاته(1).

2- **موضوعه:**

حياة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مراحلها الثلاث: من الولادة إلى البعثة، ومن البعثة إلى الهجرة، ومن الهجرة إلى الوفاة، والنظر -للعلم والعمل- فيما جاء في ذلك من أخبار وأحداث وأقوال وأفعال.

3- **ثمرته:**

قال القَنَّوْجي (المتوفى: 1307هـ) عن علم السيرة: "وموضوعه ومنفعته وغايته وغرضه لا يخفى على كل واحد من ذي اللب"(2)؛ لذلك كان لدراسة سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثمرات جليلة لا تحصى، ويمكن أن نلخص بعضها في إطارين:

(1/ 467)، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية (ص: 79)،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 998).

(1) ينظر: أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين (ص: 6).

(2) أبجد العلوم (ص: 520).

الإطار الأول: الثمرات العلمية، ومنها:

1-الإعانة على فَهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فأسباب نزول بعض الآيات، أو تفسيرها، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لا تتأتى إلا بمعرفة السيرة، وبيان بعض الأحاديث النبوية لا يكون إلا بدراية السيرة؛ إذ هناك أحاديث لها أسباب ورود، وقصص احتفت بها تبينها.

2-اكتساب العلوم والمعارف الكثيرة في شؤون الدين والدنيا.

إذ تتضمن السيرة النبوية كثيراً من المعارف في الجوانب الدينية والسياسية والعسكرية والقضائية والاقتصادية والثقافية والعلمية والاجتماعية وغيرها.

قال المقريزي (المتوفى: 845هـ):"فغير جميل بمن تصدر للتدريس والإفتاء، وجلس للحكم بين الناس وفصل القضاء؛ أن يجهل من أحوال رسول الله ﷺ ونسبه وجميل سيرته ورفيع منصبه، وما كان له من الأمور الذاتية والعرضية ما لا غنى لمن صدقه وآمن به عن معرفته، ولا بد لكل من اتسم بالعلم من درايته"[(1)].

وعن الإمام الزُّهْرِيِّ(المتوفى:124هـ) قال: "فِي عِلْمِ الْمَغَازِي عِلْمُ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا"[(2)].

3-الإفادة من الطرق والوسائل الناجحة في التربية والتعليم والدعوة.

فالسيرة النبوية هي المعين الدفاق النقي الذي يزخر بتلك الطرق والوسائل،

(1) إمتاع الأسماع (1/ 3).

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 195).

وعلى العلماء والدعاة والمربين والمعلمين أن يجعلوا السيرة النبوية هي المصدر الثالث بعد القرآن والحديث في تعليم الناس وتربيتهم وإرشادهم.

4-تكشف السيرة النبوية عن المكانة السامية التي كان عليها أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **الذين ربّاهم رسول الله بيده ورعاهم بعينه**، وكيف كان تعظيمهم له، ومسارعتهم في طاعته، وتضحياتهم من أجله، وفي رفع راية الإسلام.

5-في السيرة النبوية دروس وعبر وإرشادات يستقيها الإنسان لكل مراحل حياته: طفلاً وشابًا ورجلاً وشيخًا، وفي كل علاقاته الاجتماعية: أبًا، وابنًا، وأخًا، وقريبًا، وزوجًا، وجاراً، وصديقًا، وفي كل وظائفه الحياتية: قائداً وحاكمًا ومجاهداً وقاضيًا، ومعلمًا ومربيًا.

إذ السيرة النبوية كشفت بجلاء المعارف المتصلة بهذه الأمور من حياة خير البشر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا توجد سيرة مخلوق سجلت كل دقائق حياته الخاصة والعامة، وبلغت النهاية في الشرف والنقاء، وكمال الاقتداء، وروتها الأجيال جيلاً بعد جيل؛ إلا سيرة نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

يقول المستشرق مونتييه -في وصف وضوح حياة الرسول ﷺ: "ولقد ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد، وإن ما قام به من إصلاح الأخلاق، وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية"[1].

وقال: ر. ف. بودلى: "لا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح، أما في سيرة

(1) أوائل المؤلفين في السيرة النبوية (ص: 11).

محمد فنعرف الشيء الكثير، ونجد التاريخ بدل الظلال والغموض"[1].

الإطار الثاني: الثمرات العملية، ومنها:

1-أن دراسة السيرة النبوية بتأمل تزيد من محبة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتعظيمه، وتعين على حسن اتباعه.

2-أن السيرة النبوية تمثل المثل الأعلى، والنموذج الأسمى، والصورة الإنسانية الأرقى في العمل بالإسلام في جميع شؤون الحياة.

قال المستشرق الإيطالي: ميكلانجلو اغناطيوس جويدي :"والذى يريد أن يتعرف على الإسلام أدعوه ليتعرف على سيرة المصطفى الذى تم اختياره وتدريبه وتأديبه من السماء؛ ليكون أهلاً للرسالة التي تم صنعه من الله لها منذ الأزل"[2].

وكيف يمكن العمل بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:21] إلا بمعرفة السيرة النبوية؛ إذ هي:" تجسيد حي لتعاليم الإسلام كما أرادها الله تعالى أن تطبق في عالم الواقع، فتعاليم الإسلام لم تنزل لتحصر بين جدران المساجد، وداخل أروقة بيوت العلم الشرعي وكلياته، بل تنزلت من الحكيم العليم لتكون سلوكًا إنسانيًا ومنهجًا حياتيًا يعيشها الفرد المسلم في نفسه وشخصه، ويدركها في واقعه ومجتمعه، وَيَشِبُّ عليها فتصبح جزءًا لا يتجزأ من كيانه، ويتصرف على هديها في

(1) الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة (ص: 177).

(2) الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة (ص: 169).

كل صغيرة وكبيرة، وفي كل موقف وشأن. فالمبدأ النظري يُرى ماثلًا قائمًا في شخص صاحبه، وهذا ما نجده في السيرة النبوية، حيث كان رسول ﷺ يُجسِّد تعاليم الإسلام كما أرادها الله تعالى أن تطبق في عالم الأحياء والبشر، وذلك في جميع أحواله وظروفه، نومًا ويقظة، سِلْمًا وحربًا، جِدًا ومداعبة، غَضَبًا ورضا، فردًا وجماعة"(1).

فالناظر في تلك السيرة العطرة بعين الاقتداء يصلح باطنه وظاهره من خلال ذلك المعين العذب الرقراق.

يقول سليمان الندوي (المتوفى: 1373هـ): "حياة العظيم التي يجدر بالناس أن يتّخذوا منها قدوة لهم في الحياة ينبغي أن تتوفر فيها أربع خصال:

1 - أن تكون «تاريخيّة»، أي: أنّ التاريخ الصحيح الممحّص يصدِّقها، ويشهد لها.

2 - أن تكون «جامعة» أي: محيطة بأطوار الحياة، ومناحيها، وجميع شؤونها.

3 - أن تكون «كاملة» أي: أن تكون متسلسلة، لا تنقص شيئًا من حلقات الحياة.

فمسّت الحاجة إلى أن تكون سيرته ﷺ معلومة على حقيقتها في كلّ زمان ومكان إلى يوم القيامة؛ ليتيسّر التأسّي بها لجميع أمم الأرض. وهذا من أصدق

(1) مصادر السيرة النبوية وتقويمها (20).

البراهين على كون محمّد ﷺ خاتم النبيين، ولا نبيّ بعده : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:40]"[1].

وقال آرنولد توينبى: "لقد أخذت سيرة الرسول العربي ﷺ بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى علّيين، فآمنوا برسالته إيمانًا جعلهم يتقبلون ما أوحي به إليه، وأفعاله- كما سجّلتها السنة- مصدر للقانون، لا يقتصر على تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وحدها، بل يرتب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عددا"[2].

3-إن معرفة حياة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقلوب مهتدية توصل إلى سعادة الدارين، وتعين على زيادة الإيمان، والثبات في مواقف التزعزع، والتفاؤل في رهج البلاء والشدائد، والتفكير في الخروج من المحن، وتعين على كمال الاتباع والبعد عن الابتداع.

قال ابن القيم: "وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ مُعَلَّقَةً بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ وَمَحْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"[3].

---

(1) الرسالة المحمدية (ص: 58).

(2) الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة (ص: 116).

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد (1/ 69).

4-**في السيرة النبوية** رسم للطريقة الصحيحة لفهم الحياة والتعامل مع أهلها، والعمل في إطار الهدى مع اختلاف الظروف وتغير الأحوال.

فهي النبراس الذي يضيء درب السالك المتبع في هذه الحياة.

والثمرات المستفادة من دراسة السيرة النبوية كثيرة، وقد تحدث عنها دارسون كثر تحت عناوين مختلفة[1].

4-فضله :

لعلم السيرة النبوية فضل كبير على غيره من سائر العلوم، فمن ذلك:

1-**أنها سيرة** تحكي صورة رجل كامل في إنسانيته في جميع الجوانب التي بلغ فيها كمال الرقي البشري النقي في بيته وخارج بيته، حتى أثنى عليه بها أقرب الناس إليه وأبعدهم منه، ومسلمهم وكافرهم به.

وقد قيل: "«إنّ الرجل لا يكون عظيماً في داخل بيته، ولا بطلاً في أسرته» يريد: أنّ عظمة المرء لا يعترف بها من هو أقرب الناس إليه؛ لاطّلاعه على دخيلته

(1) **منها كتيب بعنوان:** "أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين، للعواجي.

ومما ذكر فيه خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: أهمية دراسة السيرة النبوية، من الناحية الدينية [المنهج الدعوي] .

المبحث الثاني: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية الاجتماعية.

المبحث الثالث: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية السياسية.

المبحث الرابع: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية الاقتصادية.

المبحث الخامس: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية العسكرية.

في مباذله. وهذا الحكم يشذّ عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فيقول باسورت سمث: إن ما قيل عن العظماء في مباذلهم لا يصحّ - على الأقل - في محمد رسول الإسلام، **واستشهد بقول كبن**: «لم يمتحن رسول من الرسل أصحابه كما امتحن محمد أصحابه، إنه قبل أن يتقدّم إلى الناس جميعًا، تقدم إلى الذين عرفوه إنسانًا المعرفة الكاملة، فطلب من زوجته، وغلامه، وأخيه، وأقرب أصدقائه إليه وأحبّ خلانه أن يؤمنوا به نبيًا مرسلاً، فكلّ منهم صدّق دعواه، وآمن بنبوّته. وإنّ حليلة المرء أكثر الناس علماً بباطن أمره، ودخيلة نفسه، وألصقهم به، فلا يوجد من هو أعرف منها بهَناته، ونقائصه، أليس أول من آمن بمحمد رسول الله زوجه الكريمة التي عاشرته خمسة عشر عامًا، واطّلعت على دخائله في جميع أموره، وأحاطت به علماً ومعرفة، فلما ادّعى النبوّة كانت أول من صدّقه في نبوّته»"[1].

وهذا الكمال الإنساني الطاهر لم يخرج بنبي الله عن بشريته؛ فـ" سيرة رسول الله ﷺ تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، فلم تخرجه عن إنسانيته، ولم تلحق حياته بالأساطير، ولم تضف عليه الألوهية قليلاً ولا كثيرًا، وإذا قارنا هذا بما يرويه المسيحيون عن سيرة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما يرويه البوذيون عن بوذا، والوثنيون عن آلهتهم المعبودة؛ اتضح لنا الفرق جليًا بين سيرته عليه السلام وسيرة هؤلاء؛ ولذلك أثر بعيد المدى في السلوك الإنساني والاجتماعي لاتباعهم، فادعاء الألوهية لعيسى عليه السلام ولبوذا جعلهما أبعد منالاً من أن يكونا قدوة نموذجية للإنسان في حياته

(1) الرسالة المحمدية (ص: 95).

الشخصية والاجتماعية، بينما ظل وسيظل محمد ﷺ المثل النموذجي الإنساني الكامل لكل من أراد أن يعيش سعيدًا كريمـًا في نفسه وأسرته وبيئته"[1].

2 – **أن السيرة النبوية** هي الصورة الناصعة لحضارة المسلمين، ورقي شأنهم، وبلوغهم أعلى منازل السمو الديني والدنيوي.

فهي بهذا تعد مفتاح تطور المسلمين اليوم، ومنطلق مجدهم وشرفهم بين الأمم لو أخذوا بها، كما أنها تمثل النموذج الحسن للمسلمين العاملين بالإسلام على الحقيقة.

"**يقول العلامة المجري المسلم**: محمد أسد (ليوبولدفايس) في بيان أهمية السيرة العطرة في تاريخ المسلمين وحضارتهم قال: "لقد كانت السيرة النبوية مفتاحـًا لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من خمسة عشر قرنـًا، فلماذا لا تكون مفتاحـًا لفهم انحلال الحاضر؟"[2].

3 –أنها الطريق الأمثل للاقتداء برسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

"فنحن مكلفون بالاقتداء برسول الله ﷺ، ولن نتمكن من الاقتداء والتأسي به ما لم نفقه سيرته وندرسها ونتعرف عليها.

وإن كانت السيرة النبوية هي ما ورد عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة؛ فأفعال النبي ﷺ تبرز أكثر ما يكون في السيرة.

(1) السيرة النبوية – دروس وعبر (ص: 18).

(2) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ (ص: 73).

ونحن مكلفون باتباع خيرة هذه الأمة، وأن لا نخرج على سنتهم وهديهم ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:100].

وكيف نتبع سلف هذه الأمة ما لم نطلع على أعمالهم وجهادهم وسلوكهم؟!"[1].

4-ومن فضل السيرة النبوية أنها امتازت بخصائص، منها:

أ-كونها ربانية المصدر. بمعنى: أن الله تعالى ربى رسول الله فأحسن تربيته، فكانت أفعاله وأقواله صادرة عن الحق وإقرارها من الله تعالى، فلو كان فيها مخالفة نزل الوحي للتصويب.

ب- ثبوتها وصحة ما جاء فيها. فقد ذكرت بعض فصولها في القرآن، وفي الأحاديث الصحيحة.

ج-شمولها وكمالها. فلا تكاد تجد سيرة لنبي من أنبياء الله السابقين وصفت وصفًا دقيقًا، ابتداء من ولادته حتى وفاته، وبقيت بعده سوى سيرة نبينا ﷺ.

د- وسطيتها ويسرها[2].

(1) فقه السيرة النبوية، لمنير الغضبان (ص: 15).

(2) ينظر: أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين (7-10).

5-أنها وحدها تعد معجزة من معجزات رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال ابن حزم: "فإن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقًا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى"[1] ثم مثّل ودلّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا القول وشرحه.

6-ولما علم السلف فضلها اعتنوا بها اعتناء كبيراً، وحثوا على تعلمها.

فعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بن أبي وقاص، قَالَ: "كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا مَغَازِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَعُدُّهَا عَلَيْنَا، وَسَرَايَاهُ وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ، هَذِهِ مَآثِرُ آبَائِكُمْ، فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا "[2].

وقال عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: "كُنَّا نُعَلَّمُ مَغَازِيَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَرَايَاهُ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ"[3].

5-**نسبته:**

علم السيرة النبوية هو أحد العلوم الشرعية، والتاريخية كذلك، وبينه وبين العلوم الأخرى-بما يختص به- التباين.

6-**واضعه:**

كانت سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مدونًا بعضها في القرآن الكريم، وبعضها

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (2/ 73).

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/ 195).

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (2/ 195).

الآخر في الأحاديث النبوية، وبعضها حدث به الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مما سمعوه، أو رأوه، أو بلغهم عن صحابة آخرين، وكان الناس يتناقلونها من هذه المصادر دون أن يضعها واضع في كتاب.

غير أن بعض المصادر تشير إلى أن أول من صنف في السيرة النبوية: عروة بن الزبير (ت:93هـ)، وأبان بن عثمان(ت: 105هـ)، وابن شهاب الزهري (ت:124هـ)، ووهب بن منبه(ت: 114هـ)، وموسى بن عقبة بن أبي عياش (ت:141هـ)، ومحمد بن إسحاق بن يسار (ت:151هـ)[1]. وسيأتي مزيد كلام في التأليف في السيرة.

7-اسمه :

علم السيرة النبوية، وهذا هو الاسم العام، ولكن هناك أسماء خاصة تنضوي تحته تختص بجزء منه، وهي: المغازي، الشمائل، دلائل النبوة، الخصائص.

8-استمداده :

استمد علم السيرة النبوية من المصادر الآتية:

1-القرآن الكريم:

فـ" أهمّ ما في سيرته ﷺ، وأوثقها، وأكثرها صحة هو ما اقتبس من القرآن

(1) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1746)، أبجد العلوم (ص: 520)، جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (ص: 9)، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (ص: 227).

الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد، وهو الذي لم يشك في صحته العدوّ اللدود، فضلاً عن الحبيب الودود. والقرآن يقصّ علينا جميع مناحي السيرة النبوية، وطرفًا من حياته ﷺ قبل النبوة، فيذكر لنا يتمه، وفقره، وتحنثه، كما يذكر لنا شؤونه بعد النبوة؛ من هبوط الوحي الإلهي عليه، وتبليغه إيّاه، والعروج به، وعداوة الأعداء، وهجرته، وغزواته، وفي القرآن الكريم ذكر أخلاقه ﷺ"[1][2].

2-الحديث النبوي:

فقد جمعت الحديثَ النبوي كتبُ الصحاح والمسانيد، والسنن والجوامع، والمصنفات والمستدركات والمستخرجات، وبوّب مصنفوها أبوابًا خاصة بالسيرة النبوية؛ ككتب: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، والمغازي، والفضائل والمناقب، ودلائل النبوة، ونحوها.

" ولا شك أن مادة السيرة في كتب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها، وتقديمها على روايات كتب المغازي والتواريخ العامة، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة؛ لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحيص

---

(1) الرسالة المحمدية (ص: 84).

(2) وقد أفرد بعض الباحثين "حديث القرآن الكريم عن السيرة النبوية في مؤلفات مستقلة، مثل: سيرة الرسول ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم، محمَّد عزة دروزة (مجلدان)، وحديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ لمحمد بن بكر آل عابد (مجلدان)". صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ (ص: 24).

الحديث ونقده سنداً ومتناً، وهذا التدقيق والنقد الذي حظي به الحديث لم تحظ به الكتب التاريخية، ولكن ينبغي التفطن إلى أن كتب الحديث - بحكم عدم تخصصها - لا تورد تفاصيل المغازي وأحداث السيرة، بل تقتصر على بعض ذلك، مما ينضوي تحت شرط المؤلف أو وقعت له روايته، ومن ثم فإنها لا تعطي صورة كاملة لما حدث، وينبغي إكمال الصورة من كتب السيرة المختصة، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى لبس كبير"[1].

3 -كتب تراجم الصحابة:

"فقد تضمنت الحديث عن مواقف الصحابة، ومشاهدهم مع رسول الله ﷺ، وجهادهم ومشاركاتهم المختلفة في عصر النبوة،**ومن أشهر كتب تراجم الصحابة:**

أ- كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير علي بن محمَّد الجزري (ت 630 هـ) **وقد جمعه من أربعة كتب مع الاستدراك عليها وهي:**

1 - كتاب معرفة الصحابة، للحافظ ابن منده (ت: 303 هـ).

2 - كتاب معرفة الصحابة، للحافظ أبي نعيم (ت: 430 هـ).

3 - كتاب الاستيعاب، لابن عبد البر القرطبي (ت: 463 هـ).

4 - كتاب أبي موسى المديني (ت: 581 هـ) الذي استدرك فيه على ابن منده.

---

(1) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (1/ 50).

ب- كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ) وهو من أوسع كتب معرفة الصحابة من حيث عدد التراجم"[1].

4- كتب السِّيَر التي جمعت أحداث السيرة.

وهي أوفى المصادر في الجمع والترتيب؛ كسيرة ابن إسحاق، وسيرة ابن هشام، وغيرهما.

5- كتب التاريخ العام:

ومن تلك الكتب:

أ-تاريخ الرسل والملوك، المعروف بتاريخ ابن جرير الطبري (ت:310 هـ)، وقد عرض لسيرة النبي ﷺ في سياقها التاريخي، واستفاد من المؤلفات السابقة، وخاصة كتاب ابن إسحاق.

ب- المنتظم في أخبار الدول والأمم، لابن الجوزي (ت:579 هـ) وهو كتاب كبير مرتب على السنين.

ج- الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري (ت:630 هـ) وهو كتاب حافل، ومرتب على السنين.

د- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي (ت: 748 هـ) ويعتبر من الموسوعات العامة في التاريخ والرجال.

---

(1) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ (ص: 26).

هـ - البداية والنهاية، لابن كثير (ت: 774هـ) وهو كتاب جامع في التاريخ البشري منذ خلق الله آدم إلى عصر المؤلف، وقد اهتم ابن كثير بالسيرة النبوية في كتابه هذا، وأطال وجمع ما لم يجمع غيره، وساعدته حافظته، ومعرفته بالحديث والسنة، فجمع بين كتب المغازي والسير، وبين روايات المحدثين في كتبهم، وأقوال المفسرين، وأسباب النزول[1].

6-**كتب المغازي:**

مثل:

أ-مغازي الإمام الزهري[2].

ب- مغازي موسى بن عقبة[3].

ج-مغازي الواقدي(207هـ)" وهو كبير، وقد فقد بعضه، والموجود منه مطبوع في ثلاثة مجلدات"[4].

---

(1) ينظر: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (ﷺ) (ص: 28).
(2) وللدكتور: محمد بن محمد العواجي: "مرويات الإمام الزهري في المغازي" جمع فيه ما ورد عن الزهري فيما يختص بهذا الباب.
(3) وقد جمعها باقشيش محمد، وكانت رسالته في الماجستير بعنوان: مغازي موسى بن عقبة، جمع ودراسة، الجامعة الإسلامية قسم السنة (1406هـ 1986م)". جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (ص: 9).
(4) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (ﷺ) (ص: 26).

7-كتب الشمائل:

مثل:

1-الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، للترمذي(المتوفى: 279هـ).

2- شمائل النبي ﷺ، لأبي العباس المستغفري (المتوفى: 432 هـ).

3- الأنوار في شمائل النبي المختار، للبغوي (المتوفى: 516هـ).

8-كتب دلائل النبوة:

مثل:

1- دلائل النبوة، للفِرْيابِي (المتوفى: 301هـ).

2- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي (المتوفى: 458هـ).

3- دلائل النبوة، لقوام السنة الأصفهاني(المتوفى: 535هـ).

9-كتب الخصائص:

مثل:

1- خصائص سيد العالمين وما له من المناقب والعجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام، لجمال الدين السُّرَّمَرِّي(المتوفى: 676هـ).

2- خصائص أفضل المخلوقين، لابن الملقن (المتوفى: 804 هـ).

3-الخصائص الكبرى، للسيوطي (المتوفى: 911هـ).

4-مقدمة موسوعة: "نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ. في موضوع: الخصائص من تلك المقدمة".

10- **الشعر ودواوينه:**

فمن الشعر: شعر حسان، وابن رواحة، وكعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكل ما ورد من الشعر عمن عاصر النبوة، أو كان من شعراء التابعين، وفي سيرة ابن هشام نماذج من ذلك.

9-**حُكم تعلمه:**

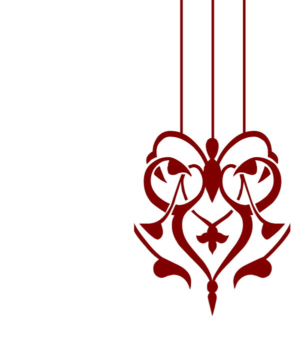
تعلم علم السيرة النبوية ومعرفة ما ورد في السيرة على سبيل التفصيل فرض كفاية، ولكن قد يتعين ذلك فيما يتعلق بالواجبات الشرعية التي لا مصدر لها إلا منها، قال الخطيب البغدادي: "تَتَعَلَّقُ بِمَغَازِي رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْكَامٌ كَثِيرَةٌ، فَيَجِبُ كَتْبُهَا وَالْحِفْظُ لَهَا"[1].

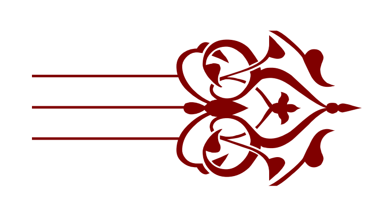
كما يتعين علمها على مفسر القرآن، وشارح الحديث، والمفتي المخوّل بذلك؛ إذ هناك آيات لا يصح تفسيرها إلا بمعرفة السيرة، وكذلك الأحاديث -لاسيما أحاديث الأوامر والنواهي- لا يتم بيانها إلا بدراية السيرة، ومسائل فقهية لا يعرف الحكم الصواب فيها إلا بإدراك السيرة النبوية؛ كالحوادث التي كان للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيها فتاوى.

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (2/ 195).

10 - مسائله :

وهي قضاياه التي يدرسها، فمسائله: دراسة حياة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مراحلها الثلاث التي تقدمت، بما فيها من أحداث وأحوال، وأقوال وأفعال، وما جاء عن شخص الرسول من الصفات الخَلقية والخُلقية، وما جرى له من المعجزات والآيات، وغير ذلك.





ثانيًا: التأليف في السيرة النبوية: أوليته وتطوره وأنواعه:

لقد اعتنى أهل العلم بنقل سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتدوينها عناية كبيرة، فكان هذا فيه خير كبير للأمة الإسلامية حيث ترى من خلال تلك الكتب حياة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كأنها شاهدة عيان فيها، فيعينها ذلك على التأسي بنبيها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

كما أن" التبكير في كتابة السيرة قلّل إلى حد كبير من احتمال تعرضها للتحريف، أو للمبالغة والتهويل أو للضياع"(1).

أوائل المعتنين بتدوين السيرة:

1 – عروة بن الزبير بن العوام (ت: 93 هـ)، وهو أول من صنف في المغازي(2)، ولكن لم يصل إلينا كتابه هذا، وإنما وصلت رواياته في السيرة في كتب الحديث والسير.

2–أبان بن عثمان (ت:105هـ). وأبان" عرف بالحديث والفقه، والظاهر أن سيرته التي جمعت لم تكن إلا صحفًا فيها أحاديث عن حياة رسول الله ﷺ، وأيامه، ومغازيه، وقد فقدت فيما فقد من كتب المسلمين"(3).

---

(1) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (1/ 53).

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1746).

(3) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (1/ 28).

3-عامر بن شراحيل الشعبي (ت: 103هـ). وهو محدث ثقة له كتاب المغازي.

5-شرحبيل بن سعد المدني (ت: 123هـ)، قال ابن عيينة: "ولم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه"[1].

4-محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت:124هـ) وهو من كبار المحدثين في عصره.

6-يزيد بن هارون الأسدي المدني (ت: 130هـ) تابعي ثقة، ألفّ في المغازي معتمداً على عروة والزهري، يروي عنه ابن إسحاق.

7-عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم (ت: 135هـ)، " وهو أول من دوّن الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز، أو من أوائلهم، فقد نشأ في بيت علم ورواية، وقد نقلت عنه أخبار كثيرة ذكرها ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد"[2].

8-موسى بن عقبة (ت: 141 هـ).

قال مُطَرِّفٌ، وَمَعْنٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ: "كَانَ مَالِكٌ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْمَغَازِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِمَغَازِي الرَّجُلِ الصَّالِحِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ؛ فَإِنَّهُ أَصَحُّ الْمَغَازِي"[3].

وقال أيضًا: "عليكم بـ (مغازي موسى)؛ فإنه رجل ثقة، طلبها على كبر السن؛

---

(1) تهذيب التهذيب (4/ 321).

(2) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (1/ 30).

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (2/ 195).

ليقيد من شهد مع رسول الله ﷺ، ولم يكثر كما كثر غيره"[1].

و"**قال أحمد بن أبي خيثمة:** كان يحيى بن معين يقول: (كتاب موسى بن عقبة) عن الزهري: من أصح هذه الكتب"[2].

وقال الذهبي: "وأما (مغازي موسى بن عقبة) : فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناها، وغالبها صحيح، ومرسل جيد، لكنها مختصرة، تحتاج إلى زيادة بيان، وتتمة"[3].

و"**قال يُونُس بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى:** قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: «كُتُبُ الْوَاقِدِيِّ كَذِبٌ» وَلَيْسَ فِي الْمَغَازِي أَصَحُّ مِنْ كِتَابِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ مَعَ صِغَرِهِ، وَخُلُوِّهِ مِنْ أَكْثَرِ مَا يُذْكَرُ فِي كُتُبِ غَيْرِهِ"[4].

9-معمر بن راشد(ت: 153هـ). **قال ابن النديم:** "معمر بن راشد: من أهل الكوفة يروي عنه عبد الرزاق من أصحاب السير والأحداث، وله من الكتب: كتاب المغازي"[5].

---

(1) سير أعلام النبلاء (6/ 115).

(2) سير أعلام النبلاء (6/ 117).

(3) سير أعلام النبلاء (6/ 116).

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (2/ 164).

(5) الفهرست (ص: 123).

المؤلفات في السيرة النبوية المختصة التي وصلت إلينا :

تقدم معنا في استمداد السيرة ذكر مصادرها المتعددة التي دونت فيها، وهنا نحب أن نذكر شيئًا من المؤلفات التي اختصت بسيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -مما وصل إلينا- ولم تتناول شيئًا آخر، **ويمكن أن نقسمها إلى أربعة أقسام:**

القسم الأول : كتب السير والمغازي :

وهي مؤلفات كثيرة، منها:

1 -**سيرة محمد بن إسحاق بن يسار** (ت: 151هـ)، واختصارها لعبد الملك بن هشام(ت: 218هـ).

وقد تحدثتُ عن ابن إسحاق وابن هشام وكتابيهما في رسالتي للماجستير التي عنوانها" أقوال ابن هشام المعافري في التفسير، من خلال كتابه: "السيرة النبوية" (الجزئين: الثالث، والرابع) (جمعًا ودراسة).

ولكون سيرة ابن إسحاق وتهذيبها لابن هشام صارت هي عمدة من جاء بعدهما في هذا الباب؛ سأنقل من الرسالة المذكورة إلى هنا ما يعنينا منها.

أولاً : سيرة ابن إسحاق :

لقد كان تأليف ابن إسحاق لكتاب السيرة النبوية حدثًا عظيمًا في تاريخ الإسلام العلمي؛ إذ لم يدوِّن أحد قبله مثله، فانتشر الكتاب بين الناس، فوصل إلى أيدي العلماء فقرأوه، واستفادوا منه، فأثنوا عليه، ومدحوا مؤلفه؛ شكراً لهذا الخير

العميم الذي قدمه لأمة محمد ﷺ، وأصبحوا يقتبسون منه عند حديثهم عن السيرة النبوية.

قال الشافعي: "من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق"(1).

وقال ابن عدي: "ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن كتب لا يحصل منها شيء، فصرف أشغالهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله ﷺ ومبتدأ الخلق ومبعث النبي ﷺ، فهذه فضيلة لابن إسحاق سَبق بها"(2).

وقال ابن سيد الناس: "وعمدتنا فيما نورده من ذلك على محمد بن إسحاق؛ إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا"(3).

وقال الذهبي: "محمد بن إسحاق بن يسار أحد الأعلام، صدوق قوي الحديث إمام، لا سيما في السير"(4).

وقال أيضًا: "قد كان في المغازي علامة"(5).

وقال كذلك: "وكان أحد أوعية العلم، حبراً في معرفة المغازي والسير"(1).

---

(1) تاريخ بغداد (1/ 219).

(2) الكامل في الضعفاء (6/ 112).

(3) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (1/ 11).

(4) المغني في الضعفاء (2/ 552).

(5) سير أعلام النبلاء (7/ 37).

وقد كان لكتاب سيرة ابن إسحاق ميزات عديدة، وفضائل كثيرة، حتى جعلته عمدة أهل السيرة، ومنهلهم العذب الذي يردونه؛ فلذلك ذاع صيته بين الناس، فأقبل عليه العلماء، وطلبة العلم، وعموم المسلمين، كما اعتمد عليه الباحثون والكتاب في كتاباتهم عن السيرة النبوية.

وزاده قيمة وألقًا وبهاء: عمل ابن هشام فيه؛ فقد قدّم له خدمة جليلة في تنقيحه وتحريره، واختصاره وتهذيبه، والزيادة المحبوبة عليه، وحذف ما يكدره بقاؤه، والحفاظ عليه من الضياع؛ ولذلك بقي ما عمله ابن هشام، وذهب الكتاب الأصل: كتاب ابن إسحاق، ولم يصل إلينا كاملاً، غير أنه طبع جزء منه بتحقيق بعض المحققين المعاصرين[2].

فمن تلك الميزات:

1-جمعه الكبير لأحداث السيرة النبوية منذ مبعث رسول ﷺ إلى موته، ومروره على ذكر الحياة المكية، والمدنية، في العهد النبوي، واهتمامه الواضح بغزوات رسول الله ﷺ، مع تدوين تفاصيل متعددة عن ذلك الظرف الزمني العظيم.

---

(1) تذكرة الحفاظ (1/ 173).

(2) ظهر من الكتاب جزء حققه الدكتور: محمد حميد الله، بعنوان:(المبتدأ والمبعث والمغازي)، وقد طبع في الرباط سنة: 1396هـ. وحقق الجزء نفسه أيضًا الدكتور: سهيل زكار بعنوان: (السيرة النبوية لابن إسحاق برواية يونس بن بكير)، وطبع في دار الفكر بدمشق.

2-أسلوب التسلسل والترتيب الذي سلكه في كتابة تلك الأحداث.

3-موافقته في ذكر تلك الأحداث-خصوصًا المغازي- للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

4-استشهاده بكثير من الآيات القرآنية، وتفسيره لها، وهذا يمثل إضافة حسنة للتفسير؛ فقد جمع ابن إسحاق في هذا الكتاب الآيات النازلة في حوادث السيرة وفسر كثيراً منها، وزاد الأمر حُسنًا ما أضافه ابن هشام من التفسير والتبيين لتلك الآيات.

5-تبيينه معاني بعض الألفاظ الغريبة من لغة العرب: شعرها ونثرها.

6-التقدم والقرب من العصر النبوي؛ فقد أدرك ابن إسحاق أواخر الصحابة موتًا، فقد قيل: إنه رأى أنس بن مالك بالمدينة(1).

7-أنه دوَّن المثال العملي من حياة رسول الله ﷺ، وحياة أصحابه الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكشف بجلاء كيفية معاملتهم، لله تعالى، ومعاملتهم لدينه، ومعاملتهم للحياة والأحياء، فمثَّل ذلك للمسلمين مصدراً من مصادر الاقتداء، وأنموذجًا فذاً للعز والشرف.

هفوات وقع فيها ابن إسحاق في سيرته:

لم يسلم ابن إسحاق من الأخطاء التي يقع في أمثالها البشر عامة، هذا إن اتُفق على جعلها أخطاء لا تقبل الجواب عنها كلها، أو عن بعضها.

---

(1) سير أعلام النبلاء(7/ 34).

وحصر أخطاء معدودة من مجموع خير كثير برهان مدح، لا عنوان ذم، كما قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه[1]

ومع هذا إذا تبين الخطأ ولم يحتمل التأويل فإنه يبقى خطأ يجدر عدم الأخذ به، وتقليد ابن إسحاق أو غيره من الناس فيه؛ لأن المؤمن ينشد الصواب، ويطَّرح الخطأ ممن جاء به، مع حفظ حق صاحب الصواب الكثير.

فمن أبرز ما أُخذ على ابن إسحاق في سيرته:

1-رواية الغرائب، وقلة الإتقان والضبط، والراويةُ عن المجهولين بأحاديث باطلة، وسَوْق بعض الروايات بدون إسناد، أو بمراسيل، مع أن بعضها قد يكون مشهوراً في التاريخ.

قال محمد بن عبد الله بن نمير عن ابن إسحاق: "إذا حدث عمن سمع من المعروفين فهو حسن الحديث، صدوق، إنما أُتي أنه يحدث عن المجهولين بأحاديث باطلة"[2].

وهذا كله بناء على اصطلاح المحدثين. وتطبيق قواعد المحدثين على روايات السيرة النبوية كلها قد يخرج روايات مشهورة إلى حيز الضعف.

---

(1) البيت ليزيد بن خالد المهلبي، خزانة الأدب وغاية الأرب(1/ 456).

(2) الكامل في الضعفاء (6/ 106).

2-إيراده أشعاراً كثيرة أنكر عليه صحتَها أهلُ العلم بالشعر.

قال الذهبي: "وهو صالح الحديث، ماله عندي ذنب، إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة، والأشعار المكذوبة"[1].

وقال أيضًا: "ابن إسحاق كثر وطول بأنساب مستوفاة، اختصارها أملح، وبأشعار غير طائلة، حذفها أرجح، وبآثار لم تصحح، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح، لم يكن عنده، فكتابه محتاج إلى تنقيح وتصحيح، ورواية ما فاته"[2].

وذكر ابن هشام في مقدمته عن نفسه أنه ترك أشعاراً ذكرها ابن إسحاق، ما رأى ابن هشام أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها[3].

مع أن ابن هشام أبقى بعض القصائد التي صرح بعض أهل العلم بإنكارها من جهة نسبتها لشخص معين، أو لشيء آخر -كما بين هو ذلك عند إيرادها-، ولعل غرضه من ذلك بيان علتها -كما تقدم-.

وأما ابن هشام فكان ذا نصيب وافر من العلم، وحظ كبير من الفهم والمعرفة المتنوعة، شهد له بذلك بعض أهل عصره، ومن جاء بعدهم ممن ترجم له، أو اطلع على مؤلفاته.

وقد ظهر ذلك جليًا في تراثه العلمي الذي خلّفه، وبقي بين الناس شاهداً على

(1) ميزان الاعتدال (3/ 469).

(2) سير أعلام النبلاء (6/ 115).

(3) السيرة النبوية (1/ 109).

ذلك النبوغ العلمي، وغزارة مادته المعرفية المتعددة، خاصة كتابه السيرة النبوية الذي هذبه وحرره، واستدرك فيه، ونقحه من سيرة ابن إسحاق، فاستحسنه العلماء من بعده، وتلقوه بالقبول، وسار بين الناس مسير الشمس، حتى كاد ينسيهم الكتاب الأصل.

فابن هشام كان علامة في اللغة المعجمية، يشرح الألفاظ، ويبين معانيها في لغة العرب، ويستشهد على ذلك من شعر الشعراء، وهذا كما يدل على معرفته اللغوية يدل كذلك على سعة حفظه، واتساع مخزونه الشعري، وقوة فهمه لشعر الشعراء، ومرادهم منه.

ومن البراهين على هذا: قصته مع الإمام الشافعي؛ فقد قال ابن كثير في ترجمته: "وقد كان مقيمًا بمصر، واجتمع به الشافعي حين وردها، وتناشدا من أشعار العرب شيئًا كثيراً "[1]، فمجاراته للشافعي في هذا المضمار يدل على سعة باعه في مجال الشعر؛ لكون الشافعي معروفًا بتبحره في شعر العرب[2].

وكان أيضًا نحويًا فذاً، عُرف بذلك في مصر بين أهل عصره، وظهر ذلك في مؤلفاته؛ كما في السيرة، وأثنى عليه مترجموه بذلك.

وكان أيضًا عالمًا بالأخبار والأنساب، وتاريخ الرجال، والمغازي، وبرهان ذلك مؤلفاته في هذا المجال، ومذاكرته للشافعي في الأنساب؛ فقد ذاكره طويلاً في

(1) البداية والنهاية (10/ 282).

(2) سير أعلام النبلاء (10/ 12).

أنساب الرجال والنساء[1].

وكان على جانب كبير من معرفة تفسير القرآن الكريم، خاصة تفسير الآيات الواردة في المغازي، وقد ساعده على ذلك: معرفته الواسعة بلغة العرب بفنونها المتعددة، واطلاعه الكبير على تاريخ السيرة النبوية، ومغازي رسول الله ﷺ.

ولهذا كله أثنى عليه العلماء، ووثقوه، ومدحوه بالأوصاف العلمية الدالة على مكانته المرموقة في آفاق العلم.

قال المزني: "قدم علينا الشافعي، وكان بمصر عبد الملك بن هشام صاحب المغازي، وكان علامة أهل مصر بالعربية والشعر..."[2].

وقال السهيلي: "وأما عبد الملك بن هشام فمشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو"[3].

ولقد بُذلت جهود علمية متنوعة في الإفادة من كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وفي خدمته كذلك، وتعددت وجهات الكاتبين في هذا بين: شارح، ومختصر، وناظم.

أولاً: الشروح:

شُرح كتاب سيرة ابن هشام عدة شروح، وهي على قسمين: شرح عام،

---

(1) الوافي بالوفيات (19/ 143).

(2) سير أعلام النبلاء (10/ 429).

(3) الروض الأنف (1/ 24).

وشرح خاص بغرائبه ومشكلاته.

فمن الشروح:

1- الروض الأُنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: عبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي(ت:581هـ).

وهو من أجود شروح السيرة، إن لم يكن أجودها؛ ولهذا حظي باختصارات وحواشٍ عديدة، منها:

أ-زهر الروض، لشمس الدين محمد بن أحمد الكفيري الدمشقي.

ب-اختصار الروض الأنف، للسنوسي.

ج-مختصر الروض الأنف في شرح غريب السير، لعز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة، وسماه: "نور الروض".

د-المنتقى من الروض الأنف، للحافظ الذهبي، وسماه: بلبل الروض.

هـ-حاشية على الروض الأنف للسهيلي في السيرة، تأليف: يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف المناوي.

2- الزهر الباسم في سيرة المصطفى أبي القاسم، للحافظ: علاء الدين مغلطاي، واختصارها له أيضًا، وهو المسمى: "بالإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا".

3- كشف اللثام في شرح سيرة ابن هشام،لبدر الدين محمود بن أحمد العيني.

4- شرح غريب السيرة النبوية، لأبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجياني الأندلسي.

5- الميرة في حل مشكل السيرة، ليوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي.

ثانيًا: المختصرات:

أ-الذخيرة في مختصر السيرة، لبرهان الدين: إبراهيم بن محمد المعروف بابن المرحل الشافعي.

ب-مختصر سيرة ابن هشام، لأحمد بن زيد الحنبلي، الموصلي، الدمشقي، ويعرف بابن زيد.

ج-خلاصة السيرة النبوية، ليحيى بن حمزة بن علي العلوي .

د-مختصر سيرة الرسول ﷺ، لمحمد بن عبدالوهاب النجدي.

ثالثاً: المنظومات:

من المنظومات لسيرة ابن هشام:

الوصول إلى السول في نظم سيرة الرسول، لفتح بن موسى بن حماد بن عبد الله بن علي بن يوسف الأموي، الجزيري الخضراوي، القصري.

2-الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت: 230هـ). استوعبت السيرة في الجزء الأول وجل الجزء الثاني من الطبقات، فقد ذكر ابن سعد من انتمى إليه

الرسول ﷺ، ونسبه، وجميع مراحل حياته من يوم ولادته إلى بعثته، وهجرته، ووفاته؛ بأخبار مسندة.

وتعد هذه السيرة من أوثق ما دون في هذا العلم.

وابن سعد ثقة يتحرى في كثير من رواياته كما يقول الخطيب البغدادي والعسقلاني، لكنه ينقل عن الضعفاء مثل الواقدي الذي أكثر من النقل عنه حتى اتهمه ابن النديم بسرقة مصنفاته، لكن التدقيق يثبت أن ابن سعد مؤلف له منهجه، وأنه يكثر النقل عن الواقدي كما يكثر عن شيوخ آخرين يبرز بينهم: عفان بن مسلم، وعبيد الله بن موسى، والفضل بن دكين، والثلاثة من ثقات المحدثين. وقد ذكر الحافظ الذهبي: "ويقولون: إن ما رواه عنه – أي: الواقدي - كاتبه في الطبقات هو أمثل قليلاً في رواية الغير عنه"[1].

3-**جوامع السيرة، لابن حزم الأندلسي** (ت: 456هـ). أوجز فيه ابن حزم سيرة الرسول ﷺ في هذا الكتاب.

وقد طبع في مجلد مع عدة رسائل بتحقيق الدكتور: إحسان عباس، والدكتور: ناصر الدين الأسد في دار المعارف بمصر[2].

4-**الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر القرطبي** (ت 463 هـ). **قال في مقدمته:** "هذا كتاب اختصرت فيه ذكر النبي ﷺ، وابتداء نبوته، وأول أمره

---

(1) ينظر: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (ص: 229)، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (1/ 66).

(2) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (ص: 231).

في رسالته ومغازيه وسيرته فيها؛ لأني ذكرت مولده وحاله في نشأته، وعيونًا من أخباره في صدر كتابي في الصحابة. وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه وأوقاته ﷺ. اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة، وكتاب ابن إسحاق رواية ابن هشام وغيره، وربما ذكرت فيه خبراً ليس منهما- والنسق كله على ما رسمه ابن إسحاق- فذكرت مغازيه وسيره على التقريب والاختصار، والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط"(1).

5-الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى الكلاعي الحميري (المتوفى: 634هـ)، والكتاب من عنوانه زاد على سيرة رسول الله ما يتعلق بالخلفاء الثلاثة، وقد بين مؤلفه في مقدمته منهجه في الكتاب، ومصادره في السيرة فيه(2).

6-عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس (المتوفى: 734هـ). وهو كتاب بين الإطالة والقصر، وقد تحدث مؤلفه في مقدمته عن منهجه في كتابته ومصادره فيه، وأوجز فيها موضوعات الكتاب التي سيتحدث عنها تفصيلاً، قال ابن كثير عنه: "واشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه في علوم شتى من الحديث والفقه والنحو من العربية، وعلم السير والتواريخ وغير ذلك من الفنون، وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين"(3).

---

(1) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص: 27).

(2) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (1/ 3-6).

(3) البداية والنهاية (14/ 196).

7-**إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع، لتقي الدين المقريزي** (المتوفى: 845هـ). وهو كتاب كبير جداً شمل السير والمغازي والشمائل والخصائص، مع أنه قال في مقدمته: "فجمعت في هذا المختصر من أحوال رسول الله ﷺ جملة أرجو أن تكون إن شاء الله كافية، ولمن وفقه- سبحانه- من داء الجهل شافية"![1].

8-**المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي العباس القسطلاني** (المتوفى: 923هـ). وهو كتاب جامع للسير والمغازي والدلائل والشمائل والخصائص، وقد رتبه تحت عشرة مقاصد-كما ذكر في مقدمته- وكل مقصد تحته نوع من العلم عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال الشيخ أبو شُهبة عنه (المتوفى: 1403هـ): "وهو كتاب جليل القدر، كثير النفع، لا نظير له في الاستيفاء، وذكر الأقوال والآراء والحجج، اعتمد فيها على سيرة الحافظ ابن سيد الناس، وسيرة الشمس الشامي وغيرهما. وقد شرحها كثيرون، ومن أجل الشروح: شرح الإمام الحافظ: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري المالكي، المتوفّى سنة اثنتين وعشرين ومائة بعد الألف، وهو شرح جليل تعرض فيه لنقد المرويات، وبيان صحيحها من ضعيفها، وبيان الراجح من الأقوال، وهو يدل على سعة علم الإمام الزرقاني وتبحره"[2].

(1) إمتاع الأسماع (1/ 3).

(2) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (1/ 35).

9-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المعروفة بالسيرة الحلبية، لعلي بن برهان الدين الحلبي (المتوفى: 1044هـ). "صنف فيه سيرة الرسول ﷺ مجردة عن الأسانيد، واكتفى بذكر راوي الخبر فقط، وشرح بعض الغريب، وعلق على بعض الحوادث بأسلوب لطيف"[1].

"وقد اعتمد فيه على سيرة ابن سيد الناس، وهو من الكتب التي عنيت بتزييف بعض المرويات، وبيان بطلانها، اعتمادًا على ما ذكره الأئمة السابقون؛ كالإمام القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ"[2].

10-نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: 1345هـ). وهو كتاب مختصر مصوغ بلغة العصر، تكلم فيه عن السيرة والمغازي ثم ختمه بالحديث عن الشمائل والمعجزات النبوية، قال في مقدمته: "فجاء بحمد الله سهل المنال، عذب المورد، تنتفع به العامّة، وترجع إليه الخاصة. وقد كان موردي في تأليفه: القرآن الشريف، وصحيح السّنة ممّا رواه الإمامان البخاري ومسلم، ولم أخرج عنهما إلّا فيما لا بدّ من تفهيم العبارات، فكان يساعدني: «الشفاء» للقاضي عياض، و «السيرة الحلبية»، و «المواهب اللدنية» للقسطلاني، و «إحياء علوم الدين» للغزالي"[3].

(1) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (ص: 232).

(2) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (1/ 36).

(3) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (ص: 6).

11-الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ).

وهو كتاب موجز مرتب معنون الفقرات، كُتب بحسٍّ رفيع، وأسلوب رشيق.

وهو كتاب ذائع الصيت اليوم، وكان الفائز الأول في المسابقة التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي، وأعلنت عنها عقب أول مؤتمر للسيرة النبوية الذي عقدته دولة باكستان في شهر ربيع الأول عام 1396هـ.

قال في مقدمته عن منهجه فيه: "ومن منهجي في هذا الكتاب -عدا ما جاء في إعلان الرابطة-أني قررت سلوك سبيل الاعتدال، متجنبًا التطويل الممل والإيجاز المخل، وقد وجدت المصادر تختلف فيما بينها حول كثير مما يتعلق بالأحداث اختلافًا لا يحتمل الجمع والتوفيق، فاخترت سبيل الترجيح، وأثبت في الكتاب ما ترجح لدي بعد التدقيق في الدراسة والنقد، إلا أني طويت ذكر الدلائل والوجوه؛ لأن ذلك يفضي إلى طول غير مطلوب .

أما بالنسبة لقبول الروايات وردها فقد استفدت في ذلك مما كتبه الأئمة المتقنون، واعتمدت عليهم فيما حكموا به من الصحة والحسن والضعف؛ إذ لم أجد وقتًا يكفي للخوض في هذا المجال .

وقد أشرت في بعض المواضع إلى بعض الدلائل ووجوه الترجيح، وذلك حينما خِفْتُ الاستغراب ممن يقرأ الكتاب، أو رأيت شبه الاتفاق فيما بين الأولين والآخرين على خلاف ما هو الصواب"[1].

---

(1) الرحيق المختوم (ص: 5).

القسم الثاني: كتب الآيات والدلائل:

وهي كتب عنيت بذكر الآيات والدلائل على نبوة نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولعل أوفى كتاب في هذا القسم وأحسنه: كتاب أبي بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ):" دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة".

قال السبكي: "وأما كتاب الاعتقاد، وكتاب دلائل النبوة، وكتاب شعب الإيمان، وكتاب مناقب الشافعي، وكتاب الدعوات الكبير؛ فأقسم ما لواحد منها نظير"[1].

وقال ابن كثير: "... و (دلائل النبوة) وهو من النافعات الشافيات"[2].

وقال الذهبي: "وأما (مغازي موسى بن عقبة) : فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناها، وغالبها صحيح، ومرسل جيد، لكنها مختصرة، تحتاج إلى زيادة بيان، وتتمة. وقد أحسن في عمل ذلك الحافظ: أبو بكر البيهقي في تأليفه المسمى بكتاب (دلائل النبوة)"[3].

قال البيهقي في مقدمته: "... أردت - والمشيئة لله تعالى - أن أجمع بعض ما بلغنا من معجزات نبينا محمد ﷺ، ودلائل نبوته؛ ليكون عونًا لهم على إثبات رسالته. فاستخرت الله تعالى في الابتداء بما أردته، واستعنت به في إتمام ما قصدته،

(1) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (4/ 9).
(2) طبقات الشافعيين (ص: 430).
(3) سير أعلام النبلاء (6/ 116).

مع ما نقل إلينا من شرف أصله، وطهارة مولده، وبيان أسمائه وصفاته، وقدر حياته، ووقت وفاته، وغير ذلك مما يتعلق بمعرفته، ﷺ، على نحو ما شرطته في مصنفاتي، من الاكتفاء بالصحيح من السقيم، والاجتزاء بالمعروف من الغريب، إلا فيما لا يتضح المراد من الصحيح أو المعروف دونه فأورده، والاعتماد على جملة ما تقدمه من الصحيح أو المعروف عند أهل المغازي والتواريخ"[1].

وهذا الكتاب وإن كان من عنوانه في الدلائل لكنه شمل معها السيرة والمغازي والشمائل.

وقد سُبق البيهقي إلى التأليف في هذا الباب، ولُحق أيضًا، فقد "ألف في دلائل النبوة مؤلفون كثيرون من قبل عصر البيهقي، وبعده، ولعل أول من جمعها في باب واحد هو:

1- البخاري في كتاب المناقب، أفرد بابًا كبيرًا أسماه: «علامات النبوة في الإسلام» جمع فيه ستين حديثًا من دلائل النبوة وعلاماتها، ثم أتبعه بباب بقية أحاديث علامات النبوة في الإسلام، فكان أول من جمع هذه الأحاديث في موضع واحد، وكذا صنع مسلم في معجزات الرسول ﷺ"[2].

ثم ساق أهل التحقيق- لكتاب البيهقي -في دار الكتب العلمية – بيروت- أكثر من عشرين كتابًا في دلائل النبوة[3].

(1) دلائل النبوة، للبيهقي (1/ 69).

(2) دلائل النبوة للبيهقي محققا (المقدمة/ 90).

(3) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي محققا (المقدمة/ 90-93).

القسم الثالث: كتب الأخلاق والشمائل:

وهـي كتـب تعنى بالجانـب الشخـصي لنبينـا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حيـث تـذكر الصفات الخَلقية، والخُلقية والسلوكية للنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مع ذكر أوصاف ما يتصل به من لباس ونعل وزينة وسلاح، وما كان يفعله في يومه وليله، ونحو ذلك.

" وهي قسم كبير مـن الـسيرة النبويـة، وقـد تـضمنت كتـب الـسنة شـيئًا منهـا، وكـذلك كتـب المغـازي تـضمنت شـيئًا منهـا، لكـن جـرت عـادة العلمـاء بإفرادهـا بمصنفات مستقلة لما لها من أهمية وتخصص"[1].

فمن تلك الكتب المصنفة في هذا الباب:

1 - الـشمائل المحمديـة والخـصائل المـصطفوية، لأبـي عيـسى الترمـذي (المتوفى: 279هـ).

"وقد اختصره الألباني بحذف إسناد المؤلف في كل حـديث، إلا ما لا بـد مـن ذكـره مـن أعـلاه، كالـصحابي، ومـا دونـه أحيانـًا، وحـذف المتكـرر إذا كـان عـن صحابي واحد، وإذا كان بين روايتيه اختلاف في المعنى أثبتهمـا معـًا، كـأن يقـول: (وفي رواية: كذا وكذا)، وإذا كانت الرواية من طريـق أخرى قـال: (وفي طريـق كـذا وكذا)، وإذا كان فيها زيادة ضمها إلى الأولى وجعلها بين معكوفتين: []، وحـذف كلام المؤلف عن الحديث إذا لـم يكـن فيـه تـصحيح أو تـضعيف، أو فائـدة تـذكر، وحرص أن يذكر مرتبة الحديث؛ لأنها الغاية من التخريج، وقد بلـغ عـدد أحاديـث

(1) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (ﷺ) (ص: 27).

الكتاب قبل اختصاره قرابة (400) أربعمائة حديث، وبعد اختصاره (352) اثنين وخمسين وثلاثمائة حديث، ويضع منها ما تبين ضعف أسانيدها، فتتبع طرقها وشواهدها من الكتب الستة وغيرها، فشد عضد نصفها، وَرَفعها إلى مرتبة ثبوتها، وذكر الأرقام"(1).

2- **أخلاق النبي وآدابه، لأِبي الشيخ الأصبهاني** (المتوفى: 369هـ). جمع فيه ما يتصل بالشمائل المحمدية وساق ذلك بأسانيده.

3- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض** (ت: 544هـ). وقد قسمه أربعة أقسام:

القسم الأول: في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى ﷺ قولاً، وفعلاً. وفيه أربعة أبواب:

الأول: في ثنائه تعالى. وفيه: عشرة فصول.

الثاني: في تكميله -تعالى- له المحاسن خَلْقًا، وخُلُقًا. وفيه: سبعة وعشرون فصلا.

الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار لعظم قدره عند ربه. وفيه: اثنا عشر فصلا.

الرابع: فيما أظهره الله - تعالى - على يديه، من الآيات، والمعجزات. وفيه:

---

(1) الجامع الصحيح للسيرة النبوية (1/ 135).

ثلاثون فصلا.

والقسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. **وفيه أربعة أبواب**:

الأول: في فرض الإيمان به، والطاعة. وفيه: خمسة فصول.

الثاني: في لزوم محبته، ومناصحته. وفيه: ستة فصول.

الثالث: في تعظيم أمره، ولزوم توقيره. وفيه: سبعة فصول.

الرابع: في حكم الصلاة عليه. وفيه: عشرة فصول.

والقسم الثالث: فيما يستحيل في حقه، وما يجوز، وما يمتنع ويصح. وهو سر الكتاب، ولباب ثمرة هذه الأبواب، وما قبله له كالقواعد، والتمهيدات. **وفيه بابان**:

الأول: فيما يختص بالأمور الدينية. وفيه: ستة عشر فصلا.

الثاني: في أحواله الدنيوية. وفيه: تسعة فصول.

والقسم الرابع: في تصرف وجوه الأحكام،على من تنقصه أو سَبَّه.**وفيه بابان**:

الأول: في بيان ما هو في حقه سب ونقص. وفيه: عشرة فصول.

الثاني: في حكم شانئه، ومؤذيه، وعقوبته.

وقال: وختمناه بباب ثالث جعلناه: تكملة لهذه المسألة في حكم من سب الله - سبحانه تعالى - ورسله، وملائكته، وكتبه، وآل النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- وفيه: خمسة فصول.

قال حاجي خليفة (المتوفى: 1067هـ) بعد سرد هذا الملخص: "وهو: كتاب عظيم النفع، كثير الفائدة، لم يؤلف مثله في الإسلام. شكر الله – سبحانه وتعالى – سعي مؤلفه، وقابله برحمته وكرمه[1].

وقال محمد بن مخلوف (المتوفى: 1360هـ): "أبدع فيه كل الإبداع وحمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقًا وغربًا"[2].

وقال الندوي عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "وأما ما تحلّت به نفسه من دماثة الخلق، ورجاحة العقل، وحصافة الرأي، وكرم النفس، وعلوّ الهمّة، ورحابة الصدر، فإنّ كتب الحديث ملأى بتفاصيله. وأحسن كتاب في ذلك كتاب (الشفا) للقاضي عياض الأندلسي. وقد قال لي يومًا وأنا في فرنسا مستشرق اسمه: ماسنيون : يكفي لتعرف أوربا محاسن رسول الله محمد ﷺ ومحامده أن ينقل كتاب (الشفا) للقاضي عياض إلى إحدى اللغات الأوربية"[3].

على أن الكتاب فيه بعض الهنات انتقدها بعض أهل العلم، منهم الذهبي حيث قال: "تواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب (الشفا) لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه على حسن قصده، وينفع بـ (شفائه) وقد فعل، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا –صلوات الله عليه وسلامه– غني بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1054).
(2) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (1/ 205).
(3) الرسالة المحمدية (ص: 96).

من الأخبار عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات، فلماذا يا قوم، نتشبع بالموضوعات؟ فيتطرق إلينا مقال ذوي الغل والحسد، ولكن من لا يعلم معذور، فعليك يا أخي بكتاب (دلائل النبوة) للبيهقي، فإنه شفاء لما في الصدور وهدى ونور"[1]. ودلائل النبوة كذلك لا يسلم من الأحاديث الضعيفة.

وقد اعتنى أهل العلم بهذا الكتاب عناية عظيمة: شرحًا واختصاراً وتخريجًا وحكمًا على آثاره، ساق حاجي خليفة طرفًا من ذلك[2].

القسم الرابع: كتب فقه السيرة وتحليلها:

وهي كتب اعتنت بسرد أحاديث السيرة النبوية والتأمل الدقيق فيها، واستخراج الدروس والعبر والفوائد منها، وهي بذلك تنقل القارئ من الحدث المجرد إلى الغاية المرجوة منه.

وهي في الحقيقة القراءة العميقة المطلوبة من أحداث السيرة النبوية، حتى تتحول تلك الدروس والعبر إلى واقع مشرق تعيشه النفوس مع ذاتها ومع ربها ومع خلق الله، مشكاته تلك السيرة النيرة التي تزداد إشراقًا مع مرور الزمان.

وهذا القسم ما زال مفتوح الباب للمتعمقين في دراسة السيرة عن علم وبصيرة، يمكنهم من خلاله أن يلجوا إلى استنباط كثير من الدروس والعبر التي تنهض بالنفس والأمة.

---

(1) سير أعلام النبلاء (20/ 216).

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1054).

فمن تلك المؤلفات في هذا الباب:

1-زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). وهو كتاب فريد ونسيج وحده في بيان هدي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في العبادات والمعاملات والأقضية وغيرها.

وقد "خصص قسمًا كبيراً في الحديث عن مغازي رسول الله ﷺ وجهاده، وقد اهتم ببيان فقه الأحداث والأحكام من خلال المغازي، وهذا تقدم كبير في منهجية دراسة السيرة النبوية، والاستفادة من أحداثها"[1].

و"يعد هذا الكتاب من أقدم ما صنف في فقه السيرة؛ إذ لم يكتف المؤلف بسرد سيرته ﷺ في جميع مراحل حياته؛ بل استنبط منها الأحكام، وذكر أقوال العلماء في مسائل فقهية كثيرة، وتعرض لدراسات حديثية قيمة لإثبات بعض الأحكام ورد بعض الآراء؛ فلم يترك مجالًا لتعليق أو استنباط أو إيضاح إلا استفاد منه؛ فغدا كتابه فريدًا فيما صنف قبله وبعده؛ هذا إلى جانب الفوائد العلمية التي يقف عليها مطالع الكتاب، والتحقيقات الدقيقة التي تدل على سعة علم ابن القيم وقوة حفظه"[2].

وقد أثنى عليه أهل العلم ثناء كبيراً؛ قال ابن رجب: "وَهُوَ كتاب عظيم جدا"[3].

(1) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (ﷺ) (ص: 26).

(2) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (ص: 231).

(3) ذيل طبقات الحنابلة (5/ 175).

وقال القَنَّوْجي (المتوفى: 1307هـ): "علم آداب النبوة. ولا بد من معرفتها ليقتدى بها؛ لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[آل عمران:31]....وأحسن الكتب المؤلفة في ذلك: زاد المعاد من هدي خير العباد، للحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب: سفر السعادة، للمجد الفيروز أبادي؛ فإنهما جمعا كل أدب وعادة وسيرة كانت للنبي ﷺ في كل باب من أبواب الدين والدنيا، وهما عمودا الإسلام، وقاعدتا الدين، لم يؤلف في الإسلام قبلهما مثلهما، ولا يساويهما كتاب في هذا العلم، يعرف ذلك من رسخت قدمه في علم السنة المطهرة"(1).

2- السيرة النبوية - دروس وعبر، لمصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ). وهو كتاب مختصر في السيرة، يذكر فيه السباعي الأحداث بإيجاز ثم يعقبها بقوله: "الدروس والعظات" ويذكر ذلك.

يقول في مقدمة كتابه عن عمله في هذا الكتاب: "فهذه مذكرات كتبتها على عجل وشدة من المرض بعد أن ألقيتها محاضرة مفصلة على طلاب السنة الأولى في كلية الشريعة، توخيت فيها أن أبرز أوضح مظاهر الأسوة في سيرة الرسول الكريم ﷺ، مما ينبغي على كل مسلم وداعية إلى الله عز وجل، وعالم بالشريعة، وحامل لفقهها، أن يتدبره ويجعله نصب عينيه؛ ليكون له شرف الاقتداء برسوله ﷺ، وليفتح أمامه باب النجاح في دعوته بين الناس، وباب القبول والرضى من الله جل شأنه"(2).

---

(1) أبجد العلوم (ص: 259).

(2) السيرة النبوية - دروس وعبر (ص: 11).

3 - **فقه السيرة، لمحمد الغزالي السقا** (المتوفى: 1416هـ).

يقول الغزالي عما قدمه في هذا الكتاب: "وقد بذلت وسعي في إعطاء القارئ صورة صادقة عن سيرة رسول الله ﷺ، واجتهدت في إبراز الحكم والتفاسير لما يقع من حوادث، ثم تركت للحقائق المجلوّة أن تدع آثارها في النفوس دون افتعال أو احتيال، وقد استفدت من السير التي كتبها القدامى والمحدثون استفادة حسنة"[1].

ويقول عن قصده منه: "وقصدت من وراء ذلك أن تكون السيرة شيئًا ينمّي الإيمان، ويزكّي الخلق، ويلهب الكفاح، ويغري باعتناق الحقّ والوفاء له، ويضم ثروة طائلة من الأمثلة الرائعة لهذا كله"[2].

4 - **السِّيرةُ النّبوية - عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث-دراسة شاملة. للدكتور: عَلي الصَّلاَّبي**. وهو كتاب متوسط الحجم استقصى فيه المؤلف أحداث السيرة- كما قال في مقدمته-، وزاد على ذلك ذكر الفوائد والدروس والعبر والنتائج والحكم من بعض تلك الأحداث.

يقول في مقدمته عن الشيء الجديد الذي جاء به كتابه: "ففي هذا الكتاب تقصٍّ لأحداث السيرة... ويقف الكتاب بالقارئ على الأحداث مستخرجًا منها الدروس والعبر والفوائد؛ لكي يستفيد منها المسلمون في عالمنا المعاصر....

---

(1) فقه السيرة للغزالي (ص: 6).

(2) فقه السيرة للغزالي (ص: 6).

فيقف الباحث على فقه النبي ﷺ في سياسة المجتمع ومعاهداته مع أهل الكتاب التي سجلت في الوثيقة، وحركته الجهادية، ومعالجته الاقتصادية والارتقاء بالمسلم نحو مفاهيم هذا الدين، الذي جاء لإنقاذ البشرية من دياجير الظلام، وعبادة الأوثان، وانحرافها عن شريعة الحكيم المتعال"[1].

القسم الخامس: نظم السيرة:

فقد نظمت السيرة النبوية في منظومات كثيرة، بعضها نظمٌ لكتاب معين، وبعضها الآخر نظم عام دون تقيد بكتاب.

ومن تلك المنظومات:

1- الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية، لابن أبي العز الحنفي (المتوفى: 792هـ). وهي منظومة موجزة في مئة بيت، افتتحها ببيتين قبل سرد الأحداث **فقال**:

اَلْحَمْدُ للهِ الْقَدِيرِ الْبَارِي ... ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ
وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ... مَنْظُومَةً مُوجَزَةَ الْفُصُولِ

وقال في خاتمتها:

وَتَمَّتِ الْأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّةْ ... فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي وَعَلَى ... صِحَابِهِ وآلِهِ وَمَنْ تَلاَ

---

(1) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: 9).

2 – نظم الدرر السنية، في السير الزكية، للحافظ العراقي (المتوفى: 806هـ).

في ألف بيت. يقول في مقدمتها:

يقـولُ رَاجـي مَـن إليـهِ المَهـرَبُ ... عبدُ الرحيمِ بنُ الحسينِ المُذنبُ:

أحمـدُ ربّـي بـأتمّ الحَمـدِ ... وللصّلاة والسّلام أُهـدِي

إلـى نبيّـهِ وأَرجـو اللهْ ... في نُجْـحِ مـا سـألتُهُ شِـفَاها

مِـنْ نظـمِ سـيرةِ النَبـيّ الأمْجَـدِ ... ألفيـةً حاويـةً للمَقصِـدِ

ولـيعلمِ الطالـبُ أنَّ السّيَرَا ... تَجمَـعُ مـا صـحَّ ومـا قـدْ أُنْكـرَا

والقصدُ ذكـرُ مـا أتـى أهلُ السّيَرْ ... بـهِ، وإنْ إسـنادُهُ لـمْ يُعْتَبَـرْ

فـإنْ يكـنْ قـدْ صـحَّ غيـرُ مـا ذُكِـرْ ... ذكرتُ ما قد صحّ منه واستطرْ [1]

ويقول في خاتمتها:

صَـلَّى عَليـه رَبُّنـا وسَـلَّمَا ... وَصَـاحِبَيْهِ نُعّمَـا وَأنعَمَـا

هُمـا الضَّجِيعانِ مـنَ الأقْمـارِ ... قَـد جَـاوروا في اللَّحْـدِ خَيـرَ جَـارِ

ثُـمَّ عَلَـى عثمـانَ مـع علـيّ ... وسـائر الأصـحاب والـوليّ [2]

وقد شُرحت هذه المنظومة بشروح كثيرة منها: "العجالة السّنيّة على ألفيّة السّيرة النّبويّة" للمناوي (ت: 1031هـ).

---

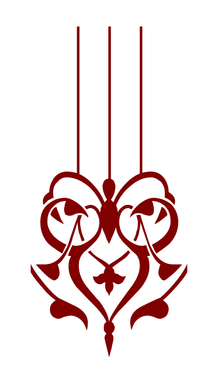
(1) ألفية السيرة النبوية – نظم الدرر السنية الزكية (ص: 29).

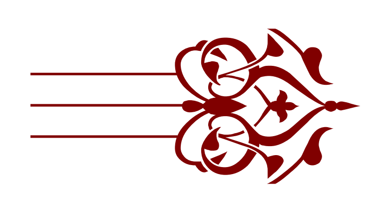
(2) ألفية السيرة النبوية – نظم الدرر السنية الزكية (ص: 156).

وبعد هذا نقول: إن المصنفات في السيرة النبوية -على تنوعها- كثيرة جداً، حتى قال سليمان الندوي: "والذي ألفه الناس في سيرة النبي ﷺ من عهد الرسالة إلى يومنا هذا في مختلف الأوطان الإسلامية والأجنبية في معظم لغات العالم؛ يعدّ بالألوف، واعتبر ذلك بما صنف باللغة الأوردية الحديثة وحدها في موضوع السيرة النبوية، مع أن الأوردية لم تصر لغة تأليف إلا منذ قرنين على الأكثر، وفي تقديري أنّ ما صنف بها وحدها في السيرة النبوية يبلغ ألفًا إن لم يزد عليه"(1).

---

(1) الرسالة المحمدية (ص: 87).





ثالثًا: الجهود العلمية
في التمييز بين صحيح السيرة من ضعيفها:

من الأمور التي لا ينبغي أن نغفل عنها في هذه المقدمة أن نشير إلى قضية مهمة ألا وهي عناية العلماء والباحثين بالسيرة النبوية من ناحية التصحيح والتضعيف لما ورد فيها.

فإن أكثر الكتب التي دونت السيرة النبوية مرتبةَ الأحداث كانت تعنى بذكر الحدث من غير التفات إلى صحته أو ضعفه، فكانت تورد الروايات الصحيحة والضعيفة، والمتصلة والمنقطعة، والمرفوعة والموقوفة والمقطوعة من غير تمييز بينها صحة وضعفًا وقبولاً وردا.

وهذا هو الغالب في مكتوب السيرة، يقول العراقي:

وليعلمِ الطالبُ أنَّ السّيَرَا ... تَجمَعُ ما صحَّ وما قدْ أُنْكِرَا

والقصدُ ذكرُ ما أتى أهلُ السّيَرْ ... بهِ، وإنْ إسنادُهُ لمْ يُعْتَبَرْ[1]

لكننا نلاحظ أن الكتب الحديثية التي دونت شيئًا من السيرة اعتنى بعض أهلها باختيار الروايات الصحيحة وترك ما سواها كما فعل البخاري ومسلم.

وهناك من مصنفي الحديث من ذكر جملة من أحاديث السير والمغازي والخصائص والشمائل وفيها الصحيح وفيها الضعيف، فجاء الحاكمون -في القديم والحديث- على تلك الأحاديث فبينوا الصحيح من الضعيف من تلك الأحاديث.

(1) ألفية السيرة النبوية - نظم الدرر السنية الزكية (ص: 29).

حتى أطل علينا العصر الحاضر فكانت هناك جهود مشكورة في العناية بالجانب النقدي لروايات السيرة، وتأليف كتب، وكتابة أبحاث مستقلة تعنى بصحيح السيرة النبوية على سبيل العموم، أو على سبيل دراسة خاصة لمرويات غزوة أو مرحلة معينة في العهد النبوي.

ومن تلك الجهود على سبيل المثال:

1- **صحيح السيرة النبوية**، للشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ).

2- **مختصر الشمائل المحمدية**، للشيخ الألباني كذلك.

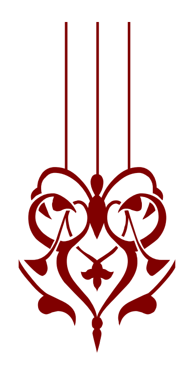
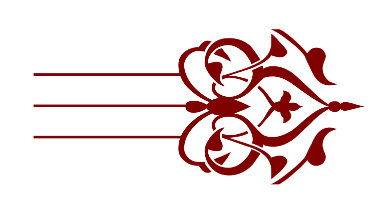
إضافة إلى جهوده التصحيحية والتضعيفية في مشروعه الحديثي الكبير لكثير من الأحاديث النبوية عموما.

3- **السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَةُ** (مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ) للدكتور: أكرم ضياء العمري.

وله عمل مشكور كذلك في الإشراف على عدد من الرسائل الجامعية في الجامعة الإسلامية في هذه السبيل.

4- **صحيح السيرة النبوية**، للشيخ: إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: 1425هـ).

5- **الرسائل الجامعية** (الماجستير والدكتوراه) في عدد من جامعات العالم الإسلامي، ومنها جامعة أم القرى في مكة المكرمة.

فهرس المحتويات

محتوى الكتاب

مقدمة في علم النحـــو.

مقدمة في علم الصـــرف.

مقدمة في علم البـــلاغة.

مقدمة في علم العــروض.

مقدمة في علم أصــول فقه.

مقدمة في علم الفرائــض.

مقدمة في علم العقــيدة.

مقدمة في علم التفســير.

مقدمة فـــي علم الفقه.

مقـدمة في علم الســـيرة.

